

طريقين مختلفين

أروى فهد

طريقين مختلفين

أروى فهد

المقدمة

في هذه الحياة الكثير من المواقف المتناقضة والمختلفة

منها الجيد ومنها السيء .

تحدث اشياءً قد نظنها الأفضل ولكنها في الواقع عكس ذلك تماماً

والعكس صحيح .

لذلك يجب علينا أن نكون أكثر تفاعلاً في نظرتنا للحياة

يجب أن نصنع من عثراتنا نقاط قوة وليس نقاط ضعف ...

وأن لا نستسلم مهما حصلت من صعوبات في طريقنا

وأن لا نندم على خطوة عكست لنا الطريق

فربما كانت تلك هي الخطوة الصحيحة التي ستوصلك يوماً ما إلى
حلمك

صدقوني نحن نبحت جاهدين عن أشياء بعيدة لتسعدنا

وننسى أن نسعد بما نملك .

وفي قصتنا هذه سنقدم لكم جانبين مختلفين من جوانب الحياة

أخذنا بعض مواقفها من أرض الواقع ... هناك من حدثت معهم نفس

هذه المواقف وهناك من تكررت معهم ... هناك أشخاص وقف

الحظ إلى جانبهم مع أن فرصهم كانت ضئيلة ،ونفس الحظ تخطى

عن آخرين كأنه يقول لهم وقفت معكم بما فيه الكفاية .

في هذه القصة نتعلم أنك تعيش الحياة ولكن لا تعرف إلى أين ينتهي

بك المصير .

الفصل الأول

بعيداً عن ضوضاء المدن وازدحامها ، في حي صغير بدأت قصتنا

....

في غرفةٍ صغيرة تطل نافذتها المفتوحة على فناء المنزل المليء
بالأشجار ..

تتسلل نسيمات الهواء البارد إلى داخل الغرفة حيث الكتب مرميةً
على الأرض والأوراق المتناثرة في أنحاء الغرفة .

سارة_ بعد أن انتهت من الرسم على كراسها_ :انظري لهذا
التصميم

ترفع نظرها عن كتابها (أميرة) : يبدو جيداً .

سارة تحمست و عدلت جلستها وبدأت بابتسامتها العريضة تتحدث
عن أحلامها: عندما أنهى دراستي وأتخرج من الثانوية سأشتري
ماكينة خياطة

وأصمم أحدث الملابس والفساتين وأصبح من أشهر مصممي
الأزياء في العالم .

تحمست أميرة للموضوع ووضعت الكتاب من يدها قائلة : أنا
سأفتح محلاً للمجوهرات والإكسسوارات لأن هذا المجال هو شغفي

.

سارة بصوت هادئ يعتليه الإصرار : لقد وعدني أبي أنهم سيشترون لي الماكينة عندما أخرج من الثانوية وأنا بدوري سأبذل كل جهدي لأطور هذه المهنة وأعوض أهلي عن أتعابهم وسأجعل من هذا البيت الصغير والقديم قصراً سكنت قليلاً ثم انتبهت وواصلت كلامها تسأل أميرة : ولكن لماذا لا تودين مواصلة الدراسة في الجامعة ؟

أميرة : صحيح أنني أعيش في بيت كبير ولا ينقصنا فيه شيء ورغم أنهم يوفرون لي كل ما أريد ويستطيعون دفع تكاليف الدراسة إلا أنهم لن يوافقوا أبداً على إرسالتي إلى الجامعة وقد رفضوا هذا الموضوع من قبل .

سارة تضع يدها على خصرها : لما لا؟ أنتِ متفوقة ومجتهدة وتستحقين أن تكلمي تعليمك.

أميرة بكل رضئ: التفوق ليس الأهم فأهلي كما تعرفين لا يشجعون أن تذهب الفتيات إلى الجامعات وخاصةً أنها بعيدة جداً .. سكنت قليلاً

ثم أكملت حديثها قائلةً : تكفيني شهادةً ثانوية ، ثم إنني أحب الاعتماد على نفسي وأريد أن أحقق حلمي البسيط في امتلاك محل المجوهرات .

سارة تضع الكتاب على رأسها وتمسكه بيديها الاثنتين قائلةً: هاقد بدأ مشوارنا في الصف الثالث الثانوي هي سنةً فقط تفصلنا عن أحلامنا قاطعها أخوها الصغير أيمن ذو العشر سنوات الذي دخل فجأةً وبدأ يصرخ : أمي .. أمي إنهن يتحدثن ولا يذاكرن ، ثم وجه كلامه لأخته سارة قائلاً : أمي منعنتي من اللعب هنا لكي لا أزعجن وأنتن تتحدثن! .

أسماء : أيمن ماذا تفعل هنا هيا اذهب للعب في الخارج ، ثم نظرت إليهما بابتسامة وقالت : إن احتجتما لأي شيء ناديانى ووجهت كلامها لأميرة وأنت يا ابنتي لا تشعري بالخجل منى فأنا مثل والدتك .

أميرة بابتسامة : هذا أكيد أطال الله عمرك .

سارة : أمي غداً سيكون أول يوم للدوام في المدرسة وقد بدأنا بالذاكرة قبل شهرين ونحن نشعر قليلاً بالتوتر .

أسماء : القلق والتوتر لن يفيدكما بشيء توكلنا على الله في كل شيء .

سارة : سنبذل قصارى جهدنا بإذن الله .

أسماء : إذاً لن أطيل عليكم أنا ذاهبة .

أميرة : أمك لطيفة جداً ... وهي محقة تماماً .

سارة : لنكمل المذاكرة فقد أضعنا الكثير من الوقت .

بدأت الشمس تسارع خطاها نحو المغيب وبدأ الشفق الأحمر يفتح كالوردة وحن وقت الذهاب .

أميرة تلم كتبها مسرعة : تأخر الوقت ونحن منهمكتان بالقراءة ولم ندرك ... عليّ الذهاب .

سارة : لم لا تبقيين اليوم عندنا ؟

أميرة بسخرية مصطنعة : أظنك تريدين ان يتهدم بيتكم عندما يأتي أبي غاضباً .. ثم انفجرت من الضحك .

سارة ضاحكةً : أسرع بالذهاب لن أفرط بالبيت من أجلك .
أميرة تخرج مسرعةً : مع السلامة .
تناديهما سارة : سنلتقي غداً في المدرسة .
أميرة: إن شاء الله .

في اليوم التالي...

مع بداية الصباح على صوت العصافير تغني فوق أغصان الشجر
تنشر الشمس خيوطها الذهبية في السماء ...

فتحت سارة عينيها متفائلةً في يومٍ جديدٍ وعامٍ دراسيٍّ جديدٍ وبدايةٍ
جديدة

غسلت وجهها ولبست عباءة المدرسة ولفت حجابها على رأسها
وبعد ذلك جهزت كتبها ودفاترها في الحقيبة ، ثم ذهبت لتساعد
والدتها في إعداد الفطور .

سارة: صباح الخير يا أمي .

أسماء: صباح النور يا ابنتي أراك مستعدةً للمدرسة !.

سارة بنشاطٍ وحيوية : أكيد أنا جاهزة .

بماذا أساعدك يا أمي ؟

أسماء : كل شيء جاهز نادي والدك وأخويك ليستعدوا للإفطار .

سارة تطرق باب الغرفة : صباح الخير يا أبي هيا إنهض لنفطر معاً

علي : صباح النور يا ابنتي ، أنا قادم .

سارة : إياد هيا ألم تجهز نفسك بعد؟ أصبحت الآن في الصف الثامن ومازلت كسولاً .

إياد بمزحة : ورثت الكسل عن أختي الكبيرة .

سارة بفخر : اخذع غيري بهذا الكلام فلو كنت كسولةً مثلك لكان العالم في خطر ، ثم ضحكت وذهبت لأيمن : استيقظ يا عزيزي لديك مدرسة .

أيمن يغطي وجهه بلحافه : لا أريد .

إياد يتنأب : حاولي معه فأنا لم أستطع إيقاظه .

سارة : سأريك كيف سأقنعه ، أيمن هيا انهض لقد أصبحت كبيراً ومنذ اليوم ستدخل الصف الخامس مع أصدقائك ...

قاطعها أيمن : حقاً هل أصبحت كبيراً .

سارة : نعم ، لذلك استعد بسرعة قبل أن نتأخر .

اجتمعت الأسرة على مائدة الطعام وعندما انتهوا من الأكل واستعدت سارة وأخويها للذهاب إلى المدرسة .

علي : هذا المصروف لكم ثم قال بحزن : أعلم أنه لا يكفيكم ولكن هذه هي الحال وإن كان بوسعي أن أعطيكم أكثر لما قصرت معكم بشيء... .

قاطعته سارة : نحن نعلم الحال يا أبي والمصروف يكفيننا فلا تقلق علينا .

علي : وفقكم الله يا أغلى ما أملك .

الأولاد : مع السلامة .

علي وأسماء : مع السلامة حفظكم الله ورعاكم .

في المدرسة الثانوية

اجتمعت الصديقات بعد غياب وبدأن يرحبن ويسلمن على بعضهن .

هيام : أهلاً سارة كيف حالك اشتقنا لك كثيراً .

سارة : الحمد لله وأنا أيضاً اشتقت لكن .

مارية : أهلاً بكن في هذا العام الجديد .

هيام : أين أميرة ألن تحضر اليوم ؟

مروة : ها هي جاءت .

أميرة : صباح الخير صديقاتي العزيزات كيف حالكن ؟

الصديقات : صباح النور .

هيام : أهلاً بصديقتنا المدللة كيف كانت العطلة ؟

أميرة : كانت جيدة ، ولكن لمّ لم تأتيني لزيارتي في العطلة أم أن

صداقتكن مقتصرة على المدرسة فقط !؟

هيام بدمها الخفيف وأسلوبها كالعادة : ظننت أنك تقضين العطلة في

سويسرا .

- أميرة : هاهاها بل قضيت العطلة بين الكتب و المراجع .
- تدخلت سارة قائلةً : كانت تسافر أحياناً إلي وذاكر معاً .
- أميرة ضاحكةً : نعم سافرت إليها بطائرتي الورقية .
- ضحكت الفتيات من جدالهن اللطيف .
- مروة : لندخل إلى الصف قبل أن تأتي المعلمة .

في الصف:

- المعلمة : صباح الخير .
- وقفت الطالبات : صباح النور .
- المعلمة: أهلاً وسهلاً بكن أنا سماح معلمة اللغة العربية .
- الطالبات : أهلاً وسهلاً بك.

عرّفت كل واحدة عن نفسها أمام المعلمة التي كسبت قلوب طالباتها بأسلوبها الرقيق الذي تميزت به عن بقية المعلمين والمعلمات الآخرين بالإضافة إلى تعاملها معهن كأنها صديقة أكثر من كونها معلمة .

- المعلمة : أخبرنني هل اطلعتن عل المنهج قبل الدراسة .
- بعض الطالبات : نعم وحفظنا بعض الأشياء .
- المعلمة : حسناً لنبدأ الدرس .

بعد انتهاء الدوام المدرسي .

تخرج الطالبات من الصف عائدات إلى منازلهن ويتحدثن و يودعن بعضهن .

أميرة : مع السلامة سنلتقي غداً إن شاء الله .

سارة : مع السلامة .

هيام تضحك قائلةً : إذا تعالي غداً لتأخذيني على متن الطائرة الورقية .

تكمل سارة المزحة قائلةً: لقد تعطلت قبل شهر لذلك أتينا مشياً على الأقدام .

شاركت مروة محاولة إخفاء ضحكتها : لم لم تخبريني لأصلحها فقد كنت مهندسة طيران قبل أن أتقاعد ... ثم انفجرت من الضحك .
وضحكت معها صديقاتها .

عادت أميرة إلى البيت وما إن دخلت ...

ملاك : أهلاً بأختي الصغيرة .

أميرة تركض نحوها بفرحٍ شديدٍ وتضمها : أختي حبيبتي كيف حالك .. متى جئتِ .. لقد اشتقت إليك كثيراً .

ملاك : يا حبيبتي أنا أيضاً اشتقت إليك ... جئت في الصباح .

إيمان : ما بالكما كأنكما لم تلتقيا منذ أعوام ؟

أميرة : أمي الشهر الذي تغيبه عني ملاك منذ أن تزوجت كأنه سنةٌ بالنسبة لي .

إيمان : هيا أميرتي اذهبي وغيري ملابس المدرسة بينما نجهز الغداء .

أميرة بكل احترام: حاضر يا أمي .

ملاك : أنا سأساعدك يا أمي بتحضير الغداء وسأصنع كعك التمر الذي تحبه أميرة و أخي محمد .

إيمان : يا ابنتي ارتاحي أنتِ ضيفتنا اليوم .

ملاك تشمر ساعديها : لا يا غاليتي أريد أن أساعدك .

اجتمعت الأسرة على مائدة الغداء .

أحمد غسل يديه وجلس بسرعةٍ نحو المائدة غير آبه لوزنه وبدأ يتذوق الأكل : بسم الله سلمت يداك يا عزيزتي .

إيمان : سلمك الله لنا من كل شر .

أحمد : لقد كنت جائعاً فقد أنهكني العمل .

ملاك : أبي .. كيف تجري أمور المحل معك ؟

أحمد بعد أن شرب رشفة من الماء : الحمد لله ولكن هناك بعض التغييرات التي نجريها عليه من ترتيب و توسيع للمحل .

أميرة توقف اللقمة في يدها وتقول بحماس: سيصبح محلنا أجمل محل للمفروشات والأثاث في المنطقة كلها .

أحمد ينظر لأبنه محمد ويقول مشجعاً : عندما يكبر إبنى سيتولى
مسؤولية المحل .

محمد وهو يمضغ الطعام : لقد بدأت بتعلم الشغل يا أبي وعندما أكبر
سأكون سنداً لك بكل شيء .

ملاك توجه كلامها لأخيها محمد : أنت الآن في الصف التاسع أليس
كذلك ؟

محمد : نعم وأنا من الطلاب المتفوقين دائماً .

أميرة بعد لحظة شرود : أبي هل ستساعدني لكي أفتح محل
مجوهرات ؟

أحمد يشتد انتباهه نحو أميرة بكل فخر قائلاً : التجارة تجري في
عروقنا يا ابنتي ..ثم يلوح بملعقته قائلاً : لك ما تريدين وأنا دائماً
إلى جانبك .

أميرة : حفظك الله يا أبي .

ملاك متفاجئة: محل مجوهرات ! فكرة رائعة .

أميرة : ليست مجرد فكرة ... هذا حلمٌ بالنسبة لي .

إيمان : يا عزيزتي أنتِ فقط أكملتي دراستك وبعدها لك ما تريدين .

أميرة بكل تقدير وثقة : لن أخيب ظنك بي يا أمي .

في بيت علي .

سارة بعد أن انتهت من غسل الصحون وتنظيف المطبخ : أمي هاقد انتهيت هل أعد الشاي أم القهوة .

أسماء : سنشرب القهوة يا ابنتي .

علي يجلس مهموماً وأفكاره تسرح في عالمٍ آخر بينما تلاحظه أسماء وتقترب نحوه ،جلست بجانبه .

أسماء : علي ماذا بك يا عزيزي ؟

علي : لاأريد أن أخفي عليك .. قطعة الأرض التي اشتريناها قبل أعوام أصبح نصفها مخططاً للطريق والنصف الآخر يريدون أخذها مني ولديهم عقود وأوراق مزورة .

أسماء تضرب كفاً بكف : لا حول ولا قوة إلا بالله !

ماذا سنفعل الآن بهذه المشكلة؟

علي والحزن يعتلي وجهه : لن أستطيع مواجهتهم إلا بفتح قضية بالمحكمة وأنت تعرفين أن المحاكم هذه الأيام تريد الكثير من المال .

أسماء تضع يدها على خدها بحزن : ومن أين لنا كل هذا المال لدخول المحاكم ؟

جاءت سارة تحمل فنجانين من القهوة : تفضلا أجمل قهوة لأجمل...توقفت لتنظر إليهما قائلةً : مابكما ملامحكما شاحبة والحزن بادٍ عليكما ؟

علي يخفي مشاعره ويكتم حزنه : لا شيء يا ابنتي أنتي تعرفين أن الشغل في الورشة متعب ولا أجد منه الدخل المناسب لذلك أنا مهموم .

سارة تحاول أن تخفف عن والدها : يا أبي قلت لك لا تقلق رزقنا على الله وكما تقول أمي دائماً توكل على الله .. أليس كذلك يا أمي ؟
أسماء بابتسامة مصطنعة : بلى يا ابنتي معكِ حق .

علي يحاول الخروج من الموضوع : ابنتي كبرت وهاهي تلقي علي النصيحة أظنني أصبحت عجوزاً وقد ولى زماني .

سارة بضحكة خفيفة : لا يا أبي مازلت شاباً ... وغمزت له قائلةً :
حتى أن النساء يركضن ورائك في الشارع من شدة وسامتك .

أسماء تضع يديها على خصرها : يركضن وراءه ؟؟ وماذا أيضاً
أخبروني إن كان هناك شيء آخر لا أعلمه .

سارة : لا شيء ولكن يا أمي مازلت تغارين عليه .

أسماء تمثل أنها غاضبة : سأريكما أنتما الإثنين .

سارة بحركاتٍ طفولية وبكل براءة : آسفةٌ يا أمي لن نعيدها مرةً
أخرى .

أسماء : حسناً يا ابنتي إذهبي لمراجعة دروسك وأنا سأهتم بالباقي .
ذهبت سارة لمراجعة دروسها بعد أن لطفت جو والديها بمزحها ،
ولكن هذه المشكلة ماتزال عالقةً في ذهنيهما لا يجدان لها حلاً .

أسماء : والآن ما العمل ؟

علي بعد تفكيرٍ طويل : سأخذ المال من أخي حميد .

أسماء : ولكن هل سيوافق أن يعطيك مبلغاً كبيراً من المال لكي
تسترجع الأرضية ؟

علي : أنا أخوه الوحيد وهو أخي الأكبر فما الفائدة من هذه العلاقة إن لم يقف الأخ بجانب أخيه .

أسماء : ولكن من أين سترد له الدين ؟

علي يأخذ رشفة من القهوة : لا تنسي أن الورشة مقسومة لي وله سأرهن عنده نصيبي من الورشة وسأشتغل بكل جهدي فيها وإن لم أستطع قضاء الدين وإرجاع المبلغ سأعطيه نصيبي من الورشة .

أسماء : ولكن منذ أن توفي أبوكما قبل ثلاث سنوات وأنت تدير الورشة لوحدك ولم يطالبك أخوك بنصيبه مما تجني منها .

علي وضع الفنجان في الصحن : تعلمين أن أخي يشتغل في مكتب التربية والتعليم وليس بحاجة إلى تلك الورشة القديمة ..وأضاف قائلاً لقد قررت وانتهى الأمر .

أسماء غير راضية عن هذه القرارات ولكنها تحاول أن تقف إلى جانب زوجها في محنته وتعرف أيضاً أن لا حل آخر أمامهم ،شردت قليلاً ثم قامت من مكانها بكل هدوء ودخلت إلى غرفتها ثم عادت بعد لحظات وجلست ،أمسكت بيد زوجها ووضعت الخاتم في راحة يده قائلةً : خذ هذا الخاتم وبعه لعله يؤمن لنا بعضاً من المبلغ .

علي بدهشة : أليس هذا خاتم زواجنا ؟

أسماء والدمعة تتغلغل بين جفنيها : نعم وهو كل ما بقي لدينا .
علي يلبسها الخاتم في إصبعها : لن أبيعها .. هذا الخاتم مكانه في يدك فقط .

أسماء : ولكن حاجتنا له أهم مكانته عندنا .

علي بإصرار : قلت لن أبيعها .. سأذهب غداً إلى المدينة وأطلب منه أن يقرضني بعض المال وكل شيء سيكون بخير بإذن الله .

أسماء : بإذن الله هو القادر على كل شيء .

مع بداية صباح اليوم التالي

يتجهز الأولاد للمدرسة ويتجهز والدهم للذهاب إلى المدينة .
سارة : صباح الخير يا أبي .. إلى أين أنت ذاهبٌ في هذا الصباح
الباكر؟

علي : صباح الخير يا ابنتي .. لدي عملٌ بسيط في المدينة وسأذهب
لزياره أخي حميد .

سارة تضم والدها قائلةً : حفظك الله يا أبي .. ولاتنسى أن تسلم علي
عمي حميد .

علي بكل تفاؤل متوكلاً على الله : حسناً يا ابنتي .. مع السلامة .
الأولاد مع السلامة يا أبي .

الأم : مع السلامة حفظك الله وأبلغك مرادك.

سارة : إياد ، أيمن هيا بنا لدينا مدرسة.

في الطريق

أميرة تركض بسرعة وتلوح بيدها : سارة إنتظريني .

تلقت سارة : أميرة ! على مهلك أنا بانتظارك .

أميرة : رأيته من هناك فأسرعت للحاق بك لكي نمشي معاً .

سارة : أنتي تتأخرين في الذهاب إلى المدرسة وإلا لذهبنا سوياً كل يوم .

أميرة بضحكة خفيفة: استيقظت اليوم باكراً لأن أختي ملاك أيقضتني .

سارة تلمحها لكمةً صغيرة على كتفها : هكذا أنتِ .. دائماً كسولة ..متى ستتحملين المسؤولية ؟

أميرة تضحك غير مبالية : عندما يصبح للدجاجة أسنان .

ردت عليها سارة ضاحكةً : لا لا بل عندما يصبح للأفعى أقدام .. ثم أكملت بجديّة قائلة : إنظري كيف أن الطريق سهلت علينا ونحن معاً .

أميرة : معك حق وابتداءً من الغد سأستيقظ باكراً لنذهب إلى المدرسة سوياً .

سارة وهي تغطي فمها بيدها من كثرة الضحك قائلةً : يبدو أن أسنان الدجاجة بدأت تنبت .

أميرة تنفجر من الضحك : أضحكتني حقاً .. ليس هذا فقط بل سأشتري لها فرشاة أسنان لكي لا تصاب بالتسوس .

تحدثهما وضحكهما جعل مسافة الطريق تقل وماهي إلا خطوات حتى صارتا في المدرسة .

في المدينة ...

مريم تسمع صوت طرقٍ على الباب : من هذا ياترى ؟

مريم : رامي ... يا رامي اذهب وافتح الباب .

رامي : حاضر يا أمي .

رامي فتح الباب قائلاً : أهلاً وسهلاً بك ماذا تريد ؟

علي : هذا منزل حميد أليس كذلك ؟

رامي : نعم ، ولكن من أنت ؟

علي : علي أنا أخوه علي ألا تذكرني ؟ أنا عمك يا ولد .

رامي يسلم عليه بارتباك : أهلاً بك يا عم تفضل .

ناوله علي الكيس الذي وضع فيه بعض الفواكه والكعك التي
اشتراها كهدية لهم و دخل معه .

رامي الذي مازال يشعر بالخجل لأنه لم يتذكر عمه ويصعد على
الدرج وهو يقول : تفضل تفضل البيت بيتك .

مريم بفضول : رامي مع من تتحدث .

رامي : هذا عمي علي يا أمي .. ثم دخلا إلى المجلس والتفت لعمه
قائلاً : تفضل بالجلوس .

مريم أحضرت كأس العصير ودخلت مرحبةً به : أهلاً وسهلاً بك
كيف حالك ؟

علي : الحمد لله على كل حال .

ريم تسلم على عمها : لقد اشتقنا إليك يا عم .

علي : وأنا أيضاً اشتقت إليكم .

مريم بكل احترام: تفضل يا أخي ، حميد سيرجع بعد قليل ، ثم نظرت لولديها رامي وريم : إجلسا مع عمكما بينما أحضر الغداء .
رامي يحاول تبرير موقفه : أتدري يا عم آخر مرة رأيتك فيها كنت لا أزال صغيراً لذلك لم أتذكرك .

علي : أعرف ولكن ها أنت ذا تبدو شاباً ، كم عمرك الآن ؟

رامي : عمري خمسة عشر عاماً .

علي : ماشاء الله ، الوقت يمضي بسرعة ، ثم التفت إلى ريم قائلاً :
يا ابنتي سارة تسلم عليكِ .

ريم : سلّمها الله من كل شر ، لما لم تأخذها معك لقد اشتقت إليها كثيراً .

علي : لديها دراسة ، وهي الآن في آخر سنة لها بالمدرسة .

ريم : وفقها الله ، أما أنا فمازلت في الصف الثاني الثانوي .

علي يتذكر قائلاً : صحيح أين مروان ؟

رامي : أخي مروان منذ أن تخرج من الثانوية أحياناً يذهب للمعهد وأحياناً يبحث عن شغل ...

قاطعته ريم بضحكةٍ قائلةً : تستطيع القول أننا قد نسينا ملامحه من كثرة تغيبه عنا .

علي يبتسم من كلامها ثم قال : وكيف حال ابنة أخي الكبيرة ريما ؟

ريم : بخير يا عم لقد أصبح لديها ولد وبنت .

علي متفاجئاً : كيف ذهبت هذه السنين أتذكر كيف كانت أختك ريما طفلةً تبكي ورأيي أينما ذهبت و قاطعه صوت أحدٍ بالدرج .

وقف بالباب ووجهه محمرّ من أشعة الشمس والعرق يتصبب من
جبينه وقال بكل دهشة : أخي !

نهض علي من مكانه بكل شوق وحضن أخاه وقبله على رأسه .

حميد بترحيبٍ ورحابة : أهلاً وسهلاً بك يا أخي أنرت الدار .

علي : نور الدار أهله .

حميد : إجلس يا أخي بينما أبدل ملابسني وأعود .

قدمت مريم الغداء وتغدا الجميع وبعد ذلك أحضرت لهم الشاي
وجلسوا ، ذهب رامي وريم لمراجعة دروسهما وأما حميد ومريم
فقد جلسا مع علي للحديث وشرب الشاي .

حميد يمد كوب الشاي لعلي : تفضل يا أخي .

علي : أ زاد الله فضلك يا أخي .

حميد : شكراً على هذه الزيارة لقد اشتقنا إليك حقاً ، ثم تنهد وقال
أخذتنا هذه الدنيا ومشاغها فنسينا أهلنا ... ، شرب رشفةً من الشاي
وأكمل قائلاً : كم من السنين مرت ونحن لم نجتمع .. آآآه رحمك
الله يا أبي كان آخر لقاءٍ لنا في جنازته .

علي بارتباكٍ وخجل : بصراحةٍ يا أخي لقد جئت لأطلب منك طلباً .

حميد توقف عن شرب الشاي وانتبه له قائلاً : ما طلبك يا أخي ؟

بدأ علي يقص قصته على أخيه وأنه بحاجةٍ للمال لكي يسترد

أرضيته ...

حميد : لا حول ولا قوة إلا بالله ما هذا الزمن الذي يواجهنا ؟

وضرب بيده على ركبته ثم قال : وما حال الورشة ؟

علي : الورشة أصبحت قديمةً ومهترئةً وينقصها الكثير من الأدوات ولم تعد تدخل علينا المال الكافي وأصبح العمل فيها مجرد مضيعةٍ للوقت .

حميد : أنت تعلم يا أخي أن العمل لم يعد كما كان في السابق والتعليم بدأ ينهار ، وأخبرك أيضاً أن هذه آخر سنةٍ لي في العمل ومن بعدها سأقاعد ...

قاطعه علي مندهشاً : تتقاعد ! ولكن لماذا ؟

حميد : عندما أردت أن آخذ بطاقةً شخصيةً غير والي تاريخ الميلاد بحيث يكون أكبر بسبع سنوات لكي أستطيع الحصول عليها ، واعتماداً على التاريخ في البطاقة سأقاعد قبل سن التقاعد ولن يعطوني غير نصف الراتب الذي كنت أحصل عليه .

علي بحزن : ماذا سنفعل الآن .

حميد وضع يده على كتف علي وقال : لا تفقد الأمل يا أخي أنا معك ولن أتركك ماحييت ، سنواجه كل مشاكلنا معاً .

علي ينظر لأخيه بإحباط : ما الحل يا أخي .؟

حميد : سأعطيك ثلاثين ألفاً لعل المبلغ يساعدك قليلاً وحتى يفرجها الله سأعطيك مرةً أخرى ، ولا تقلق سأندبر لك محامياً ، فأنا أعرف محامياً من أقرباء صديقي .

علي يمسك يد أخيه بطريقة شكر : شكراً لك نعم الأخ أنت ، لن أنسى معروفك معي...

قاطعته حميد : أي معروف أنت أخي الوحيد مانفعي إن لم أقف بجانبك .

علي : سأرهن عندك نصيبي من الورشة إلى أن أرد لك الدين...
حميد : ماهذا الكلام ؟ ليس بين الإخوة رهن وأما الدين ستقضييه متى استطعت .

علي : حسناً يا أخي كما تشاء .

حميد : أما موضوع الورشة فسأزورك في أقرب وقت ونرى ماذا نستطيع فعله لنرجعها كما كانت .

علي بنبره حزن : معك حق يجب أن تعود كما كانت في زمن أبي ثم تنهد قائلاً رحمة الله عليك يا أبي قد بذل عمره يطعمنا من خير هذه الورشة .

أخذ علي المال من أخيه وعاد إلى البيت ، وهنا بدأ يفكر مع زوجته أسماء كيف سيدافعان عن قطعة الأرض .

مرت عدة أيام كان علي يذهب إلى المحكمة في كل جلسة وكان أخوه حميد يذهب لمساندته والوقوف إلى جانبه ويدعمه بالمال أيضاً ،

أما الأولاد فقد أخذت الدراسة والمذاكرة أوقاتهم ، وتركيزهم على التفوق والنجاح كان من أولوياتهم .

في صباح يومٍ مشرقٍ حيث العصافير تفرد أجنحتها مغردةً مع
زرقة السماء ...

والشوارع تضح بأصوات الأطفال يركضون نحو مدرستهم .
سارة تنتظر أميرة التي جاءت بعد لحظات تحمل في يدها كيساً قائلَةً
: إجزري ما هذا .

سارة بفضول: لا أريد أن أحزر فقط أخرجيه بسرعة .

أميرة : الخبز الذي تحببته بالجبن والزيتون ، صنعته أمي خصيصاً
لك .

سارة والفرحة ترسم على وجهها : شكراً جزيلاً ، إشكريها عني .
والتقطت الكيس وأخرجت قطعةً وتناولتها ، ثم وضعت الباقي في
حقيبتها .

بينما هما تمشيان كان هناك شاب جالس على جانب الطريق وعندما
ابتعدتا مسافةً عنه لاحظت سارة ابتسامةً على وجه أميرة ثم
أمسكت بيدها لتوقفها قائلَةً : أميرة ! ما بك ؟
أميرة تحاول أن تخفي مشاعرهما : لا شيء .

سارة بإصرار : لا تحاولي إخفاء شيءٍ عني أعرفكِ جيداً ثم إن
حركاتكِ تفضحك .

أميرة وعيناها تلمعان : صدقيني لا يوجد شيء مما يدور في بالك .
سارة ترفع سبابتها : تحبين عصام وهذا واضح ، هيا اعترفي لي
فأنا لن أخبر أحداً بذلك .

أميرة : هو مجرد إعجاب .

سارة ترفع حاجبها وتتنظر في وجه أميرة نظرة عدم تصديق .

أميرة بخجل تحاول إثبات كلامها : أقسم لك أنها الحقيقة ، هو
لا يعرف أصلاً أنني أفكر به أو أعجب به .

سارة بعد لحظة من الصمت تغيرت ملامحها وانفجرت من الضحك
:

انظري لنفسك تحلفين لي كأني أستجوبك في قسم الشرطة .

أميرة تضربها بالكتاب : غليظة كعادتك .

سارة وهي تضحك : ألم تجدي غير عصام لتعجبي به ؟

أميرة تسارع خطأها : أغلقي الموضوع لا أريد أن أتحدث معك
إطلاقاً .

سارة تلحقها وتمسك يدها : لاتغضبي مني أنا آسفة أردت فقط أن
أمزح معك .

أميرة تضحك قائلةً : لست غاضبة منك .. سارة تبتسم .. فأكملت
أميرة الحديث : إنما من حظي السيء الذي جعلنا نصبح صديقتين .

سارة تضحك قائلةً : لو لم يجمعنا الحظ السيء لما كنت حصلت
على الخبز بالجبن .

أميرة تضحك وتلكمها على كتفها : أنت أفضل صديقة عرفتها في
حياتي .

عندما وصلتا إلى المدرسة ، وقبل الحصة .

الطالبات في الفصل

مروة : صباح الخير .

سارة وأميرة معاً : صباح النور .

هيام : أنتما الإثنتين تذكراني بشيء .

سارة وأميرة بفضول : ماهو؟؟

هيام تحاول كتم ضحكتها وهي مستعدة للهرب قائلةً : تذكراني
بفردتيّ الحذاء لا تمشيان إلا معاً ، ثم هربت مسرعةً من أمامهن .
يركضن وراءها بين الكراسي ... أمسكتها سارة أما أميرة فضربتها
ضربةً بالكتاب على يدها التي تغطي بها رأسها وقالت : ألا يكفي
غلاظة سارة ؟

بقية الطالبات يصرخن من طرف الفصل ويتصادمن بحيرة ..

ركضت سارة وأميرة وهيام نحوهن يسألن : ماذا حدث؟

مارية بخوف وارتباك بثينة .. بثينة ... لقد أغمي عليها .. ، ثم ذهبت
مسرعة تنادي المعلمة سماح .

جاءت المعلمة بسرعة : ابتعدن عنها ... احضري الماء وافتحن
النوافذ

، رفعتها وبدأت ترش على وجهها الماء .. فتحت عينيها وبدأت
تستعيد وعيها شيئاً فشيئاً .

المعلمة اطمأنت : الحمد لله ... ولكن يا ابنتي ماذا حصل لك ؟

بثينة بدأت بالبكاء قائلةً : لم أعد أستطيع مواصلة الدراسة لن أحضر
بعد اليوم .

المعلمة : لماذا يا ابنتي ؟ ما السبب الذي يمنعك ؟ .

بثينة يتقطع كلامها بسبب البكاء : عندي أربع أخوات ... وأنا أختهن
الكبيرة ومنذ أن ماتت أمي تحملت أنا مسؤوليتهن وأصبح

البيت على عاتقي ... وأخواتي وتأتي ظغوطات الدراسة
لتحمني فوق طاقتي ... لم أعد أستطيع ... أنا لا أقدر ...

قاطعتها المعلمة : وأين والدك ؟

بثينة تنطق كلماتها بصعوبة وقهر : أبي يعاني من حالة نفسية
وإن لم يستخدم الدواء يجن جنونه ويبدأ بضربنا والصراخ علينا
... أصبح وجوده في حياتنا أصعب من غيابه .

الطالبات يقفن حولها والدمع ينهمر من أعينهن فكم من واحدةٍ
لا تقدر قيمة أهلها ، وأخرى لا تطيع والديها كما ينبغي ، ومنهن من
تربت على الدلال ولم تحمل مسؤولية شيء ...

أثرت فيهن قصة بثينة وتعاطفن معها أما المعلمة فقد ضمتها بكل
عطف وحنان قائلةً : يا ابنتي لا يجب أن تستسلمي للمصاعب هكذا
أنتِ تقريباً في نهاية المشوار لن تتركي دراستك وكل مابدأت به
ينتهي أمام عينيك ، استعيني بالله وأنا معك ولن أتخلى عنك ..
بثينة تهز رأسها بالنفي : لم أعد أستطيع .

المعلمة : أخبريني من سيتكفل أمر أخواتك إن لم تسعِ أنتي لتحسين
مستقبلهن ؟

بثينة بدأت تمسح دموعها وتركز في كلام المعلمة .

المعلمة تشجعها بنصيحة : اصبري يا ابنتي ، عليك مواصلة
الدراسة والبحث عن وظيفة وسوف تنالين ثمرة أتعابك وستتغير
حياتك ، لن يدوم لك أحد ولن يقف معك أحد مادمتِ لاتقفين مع
نفسك ، صدقيني حتى والدك لن يساعدك ومادام في تلك الحالة فأنت
ستصبحين مسؤولةً عنه أيضاً ، أخبريني من سيعتني بهم إن
استسلمتِ ، ثم أمسكت بيدها وقالت : ثقي بي ... حاولي .

بثينة شعرت بالإطمئنان ودب شعور الإصرار في دمها لتحقيق كل ماتسعى إليه ، ثم قالت لن أستسلم أعدكٍ أنني سأسعى جاهدةً لنيل ما أريد .

المعلمة تبتسم : هكذا أريدك أن تكوني ، ثم نظرت لبقية الطالبات وقالت : هيا في أماكنك معلم الفيزياء في الخارج ينتظر الحصة .

في الحصة الثالثة يشرح المعلم الدرس فيتوقف لسماع صوت الرجل الذي ينادي في الخارج فيلقي نظرة عليه .

الرجل : أين ابنتي بثينة ؟

المعلم : في الصف .

الرجل يدخل إلى الصف متجهاً نحو بثينة وهو يقول بصوتٍ عالٍ : هل أغمي عليكٍ لقد أخبروني بذلك ، وبدأ يضربها أمام الطالبات : أنتي لا تسمعين الكلام قلت لك ألف مرة إتركي المدرسة واهتمي بأعمال المنزل .. يضربها ويشدها من حجابها والدمع يتطاير من عينيها ، شعر الجميع بالحزن والخوف عليها ولكن ماباليد حيلة حتى المعلم لم يستطع فعل شيءٍ لمنعه .. ، رمى كتبها على الأرض ثم أمسك يدها وهو يسحبها خارج الفصل ويصرخ : هيا إذهبي إلى البيت ... تحركي .

الطالبات يجمعن الكتب من الأرض : مسكينةٌ بثينة من كان يدري أنها تعاني كل هذه المشاكل .

أخبرت الطالبات المعلمة سماح بالقصة .

المعلمة : لا حول ولا قوة إلا بالله ، مسكينة لا أظنها ستأتي إلى المدرسة بعد كل ما حصل معها اليوم .

عادت الطالبات إلى منازلهن حزينات ويتحدثن لأهلهن عن ما
شاهدنه

من عنف ومعاناة وبدأت كل واحدةٍ تشعر بقيمة أهلها وتقدرهم
وتشكرهم على كل ما قدموا لها .

وفي اليوم التالي ..

تدخل إلى الصف وأثار الكدمات على وجهها والحزن بين عينيها
(بثينة): صباح الخير .

الطالبات بدهشةٍ وحزن : صباح النور ، كيف حالك؟

المعلمة سماح جاءت تركض مسرعةً نحوها : بثينة .. الحمد لله ...
ظننت أنك لن تأتي إلى هنا مرةً أخرى .

بثينة تحبس دموعها قائلةً : لقد كان كلامك نصيحة أم لابنتها وأنا
وعدتك أنني سأبذل جهدي ، ولن أخلف بهذا الوعد ماحييت .

ضمتها المعلمة ضمةً أمّ تحييتها على إصرارها ، بكت الطالبات من
حزن الموقف ونهض البعض منهن لمواساة بثينة يربتن عليها
ويمسكن بيديها : نحن معك ولن نتخلى عنك أبداً ، وإن احتجت أي
شيء فاطلبي ولا تترددي ..نحن أخواتك.

بثينة تحبس بكائها : شكراً لكن .

ومنذ ذلك اليوم وبثينة توفق بين مسؤولية البيت

والتعليم تسعى نحو هدفها في الحياة وكانت المعلمة والطالبات
يساعدها كلما احتاجت ...

بعد مرور أسبوع ...

محل أحمد (والد أميرة) للمفروشات والأثاث تطور أكثر من قبل
وبدأ شغله يزدهر أكثر وأكثر ..

أما علي (والد سارة) فقد كان يبذل قصارى جهده في الورشة
ويسعى جاهداً لرد أرضه ...

أميرة وسارة تجتهدان وتذاكران لتحقيق النجاح .

بعد دوام المدرسة ..

سارة وأميرة خارجتان من باب المدرسة قالت سارة : هل يمكنكِ
المجيء اليوم لنذاكر سوياً ... اشتقت للمذاكرة معكِ ؟

أميرة : لما لا تأتين أنتِ إلى بيتنا ؟ منذ زمنٍ لم تأتي .

سارة بتردد : حسناً إن وافق والداي سأتي .

في الطريق كانت تقف هناك سيارة جديدة وفخمة فنظرن إليها
باستغراب وإعجاب .. سارة تنظر لروعة السيارة قائلةً :

تخيلي لو أنك تملكين هذه السيارة ؟

أميرة بتكبر مصطنع : رائع ، لو كنت أملك السيارة لما كنت أَرْضِي
أن أتحدث معكِ ، ثم رفعت رأسها وهي تحبس ضحكتها و تغمض
عينها بغرور : أفسحي الطريق للأميرة .

سارة ترمقها بنظرة وتضحك قائلةً : إن الله يمنع لحكمة ، هذا وأنتِ
تتخيلين ، ماذا لو امتلكتها بالفعل !؟

أميرة تعود لواقعها : لا تصدقي ، أنا لا أحب الغرور والتعالي على
أحد .

سارة : رأينا هذا .

بينما هما تمشيان وتتحدثان كان يتحدث مع صديقه ثم نظر إلى
سيارته فوقعت عينه على أميرة سكت للحظة يتأمل فيها ملامحها ثم
قال : من تلك الفتاة ؟

بسام : أي فتاة ؟

عامر بصوت منخفض : تلك التي مرت بجانب سيارتي .

بسام : أي واحدة منهما ؟

عامر وابتسامة الفضول على وجهه : ذات الحجاب الأخضر .

بسام : لا أدري فأنا لا أتواجد هنا بكثرة ، ثم ابتسم قائلاً : ما الأمر
؟ هل وقعت في الشباك ؟

عامر يرفع حاجبه بنظرة حادة : لنعد لموضوعنا .

بسام يؤشر بيده : إذاً عندما تشتري ذلك البيت ماذا ستفعل به ؟

عامر : أفكر بهدمه وبناء عمارة كبيرة مكانه .

بسام : فكرة جيدة متى سنبدأ ؟

عامر يبتسم بغرور : قريباً يا صديقي قريباً .

وصلت سارة إلى البيت ...

أسماء تستقبلها مستعجلة : أهلاً يا ابنتي سلمي على عمك وتعالى
بسرعة لتساعديني في إعداد الغداء .

سارة بفرحة : عمي حميد هنا ، وركضت بسرعة إلى المجلس ،
سلمت على عمها وذهبت لتساعد والدتها في إعداد الغداء .

وقت الغداء ...

سارة : عمي ... لماذا لم تحضر أحداً معك ؟

حميد : في المرة القادمة يا ابنتي ، ابتلع الطعام الذي في فمه وأكمل
: لقد أتيت اليوم لكي أرى الورشة

وعندما نجهز أدوات ترميمها سأحضر عائلتي كاملةً إلى هنا .

علي : أهلاً وسهلاً بك في أي وقت .

أسماء : كيف حال مريم ؟

حميد : هي بخير الحمد لله .

تغدى الجميع وشربوا القهوة وجلسوا لمناقشة موضوع الورشة
واتفقوا على التعاون في إصلاحها وإعادة إحياءها ،

وتحمل حميد مسؤولية الأدوات الجديدة ونقلها إلى الورشة ،

أما موضوع الأرض وقضيتها التي في المحكمة فقد أخفوها عن
سارة وأخويها لكي لا يشغلهم موضوعها عن الدراسة ،

وفي الناحية الأخرى عامر الذي لم يستطع أن ينسى ملامح أميرة
وظل يفكر بها طوال اليوم ، لم يدرك ماذا يفعل ليعرف من تكون
فاتصل بصديقه _ حيث لم تكن الهواتف متوفرة بشكلٍ كبير ولم يكن
يستطيع امتلاكها إلا أشخاصٌ قليلون _ .

الهاتف يرن

أنور الذي يعيش في نفس منطقة أميرة : أهلاً أهلاً مساء الخير .

عامر : مساء النور .

أنور : ماذا تريد في هذا الوقت المتأخر ؟

عامر : بصراحة أريد أن أسألك بشأن فتاة من منطقتكم .

أنور باستغراب : فتاة ! ومن هي هذه الفتاة ؟

عامر بنبرة غضب : كن واقعياً ، لو كنت أعرفها لما كنت اتصلت
بك .

أنور بضحكةٍ خفيفة : حسناً أخبرني عن مواصفاتها على الأقل .

عامر تأخذه ذاكرته إليها قائلاً وهو يتخيلها : لم أرها عن قرب
ولكنها فتاةٌ شابة ، رشيقة القامة ، أنيقة المظهر ، وذلك الحجاب
الأخضر عليها كأن ورقة زرع التفت على وردةٍ بيضاء ...

يقاطعه أنور بضحكة ثم قال : ما هذا يا رجل ؟ يبدو أنها أخذت عقلك
، قلت لك وصفاً أعرفها من خلاله لا أن تصف لي سحرها .

عامر بإصرار : إعرف لي من تكون ، لن يأخذها أحدٌ غيري ، ثم
تذكر قائلاً : إسأل بسام لأنه رآها عندما أتيت اليوم للعمل في ذلك
الحي .

أنور : لك ماشئت لن نلتقي إلا وقد عرفت لك من تكون .

عامر : أعتمد عليك يا صديقي ، تصبح على خير .

أنور : وأنت بخير .

في اليوم التالي

ذهب

أنور لبسام وأخبره القصة وأخذه معه إلى المكان الذي رأى عامر فيه الفتاة ..

بسام : أظنها طالبةً ثانوية ، لانتظر قليلاً هنا فعندما تعود للمنزل ستمر من أمامنا وسنعرف من أين هي .

أنور : إن أضطر الأمر سنتتبعها لنعرف بيتها ، فقد وعدت عامر .

خرجت أميرة وسارة من المدرسة عائداً إلى البيت كعادتهن ومررن من أمام الشابين فأوماً بسام لأنور بأنها هي ، وفي مفترق الطريق ودعت كلٌ منهما الأخرى

وظل أنور يراقب طريق أميرة حتى عرف بيتها .

أنور باستغراب : معقول ! هذه ابنة أحمد تاجر المفروشات كيف لم أعرفها .

تفاجأ بسام : وهل كنت تعرفها من قبل ؟

أنور : نعم ، ولكنها قد كبرت وأصبحت شابة ، أظن أن اسمها كان أميرة .

بسام : أحسنت يا صديقي ، ولكن هل تعتقد أن عامر يرضى أن يتزوج ابنة تاجر المفروشات هذا ؟

أنور ينظر إليه ويعقد حواجه : وما العيب في ابنة التاجر ؟

بسام يرد بسرعة : لا ... العيب ليس فيها بل في صديقنا عامر ، كما تعرف إنه مغرورٌ ومتكبرٌ ويهتم أيضاً بطبقات الناس ، فكيف ستكون حياتها معه .

أنور يضحك قائلاً : لا تقلق يا صديقي فالحب يصنع المعجزات ، سيتحول من عامر بن العقيد إلى عاشقٍ مهووس .

الفصل الثاني

أخبر أنور صديقه عامر بكل ما يعرفه عن أميرة ، فقرر عامر الذهاب لخطبتها ، أخذ عامر بعض الهدايا و ذهب مع صديقه أنور لوالديها ورحبوا بهما أحسن ترحيب وتعرفوا على عامر فتذكر أحمد كيف كان والد عامر...

أحمد : رحم الله أباك ، لقد كان رجلاً عظيماً وكانت البلاد كلها تذكر العقيد محمد بكل الخير وما زالت .

عامر : رحمة الله عليه .

أحمد يحاول خلق حوار : إذاً كيف هي الحياة في المدينة ؟ ثم قال :
اشربا الشاي قبل أن يبرد .

عامر يأخذ كوب الشاي قائلاً : الحياة في المدينة جيدة , وسأشتري
قريباً قطعة أرضٍ هنا وأبني عليها عمارة سكنية .
أحمد : من الجيد أن توسع مشاريعك يا بني .

أنور أخذ رشفةً من الشاي ثم قال : بصراحةٍ ياعم لقد جننا ولدينا
طلبٌ عندك .

أحمد : تفضل يا بني .

أنور : نريد أن نطلب يد ابنتك لصديقي عامر .

عامر يهز رأسه بتأكيد ، ثم أضاف قائلاً : وأتمنى أن لا تردنا .

أحمد يفكر بتردد ثم قال : يجب عليّ أن أسألها أولاً ، أمهلنا ثلاثة
أيامٍ وبعدها سنرد لك جواباً .

عامر : لك ما تريد يا عم .

أميرة مصدومة : ماذا ؟ زواج ؟ أنا لا أريد أن أتزوج .

إيمان : فكري بالموضوع لكي نرد له الجواب .

أميرة رافضة : الموضوع لا يحتاج إلى تفكير ، أنا لن أتزوج .

أحمد يهدأها : يا ابنتي هي مجرد خطبة ، ثم إن الشاب ابن رجلٍ
معروف وهو غني ولن يُنقص عليك شيئاً .

أميرة : ولكنني لست موافقة ، ثم إنني لا أعرفه .

إيمان تمسك يدي أميرة : يا ابنتي حتى أنا لم أكن أعرف والدك
وهانحن ذا ، سنتعرفين عليه بعد الخطوبة ...

أميرة ساكتة ولا تريد الحديث .

إيمان تكمل حديثها قائلةً : ثم إنك لا بد أن تتزوجي يوماً ما وهذا هو
مصير كل فتاة .

أميرة سحبت يديها من يد والدتها بصمت وذهبت إلى غرفتها .
أحمد يخاطب إيمان : عليك إقناع ابنتك بزواجها من هذا الشاب ،
فهي لن تجد أفضل منه ، إنه يملك كل شيء ستعيش معه كالمملكة ...
إيمان بنبرة حزن : ولكن لا نستطيع إجبارها على شيء لا تريده .
أحمد : حاولي معها لدينا فقط ثلاثة أيام .

إيمان : حسناً سأحاول.

ذهبت إيمان إلى غرفة أميرة ، ووجدتها جالسة على الأرض حزينة
,

وقفت بالباب وقالت : يا ابنتي لن أضغط عليك باتخاذ قرارٍ
مصيري كهذا ولكن فكري بالأمر وأعطني جواباً .
أميرة تهز رأسها بالنفي .

إيمان : لا أريد جوابك الآن ، فكري على مهلك .
وسحبت الباب لتتركها تفكر وذهبت .

بدأت الشمس تتدلى راحلةً و الليل أسدل ستاره
، فأضاءت نوافذ المنازل كأنها نجوم وقعت على الأرض .

تتقلب أميرة على سريرها تفكر في موضوع زواجها من ذلك الشاب الذي لا تعرف عنه شيئاً ، وبينما هي تفكر يتسلل النعاس إلى عينيها وتغط في نوم عميق .

في صباح اليوم التالي

إيمان : صباح الخير يا ابنتي ، انتظري قليلاً لتتناولي الإفطار معنا .
أميرة تحاول أن تكون طبيعية : صباح النور يا أمي سأذهب للمدرسة .

إيمان : ولكنك لم تتناولي شيئاً !

أميرة وهي ذاهبة : لست جائعةً يا أمي ، مع السلامة .

خرجت أميرة من المنزل مهمومة البال ، مشغولة الخاطر ...
سارة نظرت في وجهها قائلةً : أميرة ، مابك اليوم أراك حزينة .
أميرة بحزن : لا أدري ماذا أقول يا صديقتي .

سارة : قولي ماتريدين المهم أن أعرف مابك .

أميرة تشرح لها القصة وهي غير راضية عن ما يحدث .

سارة مندهشة : لا تقولي لي أنه صاحب تلك السيارة !!

أميرة لا مبالية : بلى هو نفسه .

سارة : لما لا تفكرين بالموضوع بجدية ، قد أتى به القدر إليك .

أميرة بحيرة وتوتر : لا أريد ، الأمر صعبٌ بالنسبة لي ، لا أدري ماذا أفعل .

سارة توقفها قائلةً : لا تقولي لي أنك ترفضين عامر بسبب عصام؟! أميرة تنفي شكوك سارة : لا لا ... الموضوع لا يتعلق بعصام فهو مجرد إعجاب لا أكثر ، ولكن المشكلة في أنني لا أعرف شيئاً عن عامر ولا أفكر بالزواج ، بل أريد أن أسعى وراء أحلامي البسيطة ، وأنت أكثر واحدة تعرفين هذا .

سارة تنتهد قائلةً : أعرف يا صديقتي ولكن هل سيتفق أهلك معك ؟ أميرة بنبرة إحباط : هنا تكمن المشكلة ، أهلي موافقون وينتظرون مني أن أوافق أنا أيضاً ، ثم نظرت في وجه سارة قائلةً : ما العمل يا صديقتي ما العمل ؟

سارة تحاول أن تهدئها : لا تقلقي ، توكلني على الله ، وإن كان مكتوباً لك فلن تأخذي غيره .

في المدرسة ..

مارية تسأل مروة : هل عرفتِ إجابة هذا السؤال ؟.

مروة تقلب كراسها : أجل وقد كتبتُه هنا .

سارة تسمعها وتقرب قائلةً: صباح الخير ، ألم تذاكري يا مارية ؟ أميرة ساكتة على غير عاداتها ولا تشارك في الحديث .

مارية : قلبت الكتاب رأساً على عقب ولم أجد الجواب المناسب .

مروة بجدية : قد يكون الجواب أمام عينيك ولكن كلما كثرت الاحتمالات يصعب عليك الاختيار ، فقط عندما تهدأين وتفكرين

تحصلين على الإجابة ، وليس من العيب أن تستشيرى غيرك عندما تضيع الحلول .

أميرة تمعنت بكلام مروة فسألتها : ماذا تقصدين ؟

مروة : أعني أنها ليست غبية عندما سألتني ...

في هذه اللحظة جاءت هيام تركض نحوهن متشوقة : صباح الخير يا أعز صديقات على قلبي .

الفتيات : صباح النور .

سارة بمزحة : هل كان هناك وحشٌ يطاردك حتى جئت تركضين .

هيام : ليس وحشاً ولكن إحزرن ماذا سمعت ؟

الفتيات بفضول : ماذا ؟

هيام بتشويق : علمت أن عامر ابن العقيد سيبنى عمارة فخمة هنا .

سارة وأميرة كل واحدةٍ تنظر للأخرى ..

مروة تفاعلت معها قائلةً : حقاً !

التفتت سارة نحو هيام وقالت : من أين تعرفينه ؟

هيام بمدحٍ شديد : كيف لا أعرفه ، ذلك الشاب الوسيم الأنيق ، الذي يملك ثلاث عمارات وبيته مثل القصر وإن رأيت أخته وأمه لقلت أنهن ملكات ، إنه غنيٌ وجذاب و... تلوح بيديها : لا أدري كيف أصفه لكن ..

قاطعتها سارة : ومن أين تعرفين كل هذا عنه ؟

هيام : كان أبي يعرف والده ثم إن أخي يعرفه شخصياً .

سارة تغمز لأميرة التي تقف مذهولةً من كلام هيام ، ثم سحبتها
جانباً وقالت لها : هل سمعتِ ؟

أميرة منبهرة : نعم سمعت ، ولكن كيف لشابٍ بهذه الأوصاف و هذا
الثراء أن يتزوج بفتاةٍ عاديةٍ مثلي ؟

هيام يشدها الفضول فتقترب من أميرة وسارة قائلةً : ماذا تخبئان
أنتما الإثنتين ؟

سارة بابتسامةٍ وارتباك : لا شيء ، كنت فقط أسألها إن كانت
ستذاكر عندي اليوم .

أميرة تحاول أن لا تنظر في وجه هيام : سأخذ الإذن من والدي و
أتي إليك .

هيام لم تصدق كذبتهما : لا تكذبا عليّ فأنتما الإثنتين وجهان لعملةٍ
واحدة ، يختفي وجهٌ لينكشف الآخر .

أميرة تحاول المماطلة في الموضوع : ماذا تقصدين بكلامك هذا ؟
هيام ترمقهما بنظرتها الفضولية وتشير إليهما بسبابتها : أعرف أن
هناك شيئاً تخفيانه ، ثم تهمس لهما : أخبراني حالاً ولن أقول لأحد .

يرن جرس بداية الحصّة الأولى ...

أميرة : حسناً سنخبرك بعد الصف .

انتهت الحصص وخرجت جميع الطالبات من الفصل وبقيت أميرة
وسارة وهيام ..

هيام لا تستطيع الصبر أكثر : والآن لم يعد هناك أحد ، أخبريني
بسرعة فأنا لم أفهم شيئاً من دروس اليوم من كثرة تفكيري بسرّكما .

أميرة تشرح الموضوع لهيام : ذلك الشاب الذي تحدثتِ عنه قد تقدم
لخطبتي ..

هيام تضع يديها على خديها وتشهق بدهشة : هاااا عامر العقيد !

أميرة تستفسر : هل هو عقيد في الجيش ؟

هيام توضح لها : لا لا ، ليس هو ، بل والده كان عقيداً ومع مرور
الوقت اشتهرت عائلتهم بسم العقيد ، أما هو فقد سخر أموال والده
بالعقارات والأراضي .. والآن دعينا من هذا أخبريني ماكان ردك ؟

أميرة تسند رأسها على راحة يدها : لم أقرر بعد لكنني رافضة ...

قاطعتها هيام : رافضة ! كيف ترفضين فرصة ذهبية كهذه ! أنتِ
ترفضين فرصة جاءت إليك على طبقٍ من فضة ، ثم نظرت نحو
سارة ولكمتها على كتفها : أخبري صديقتك المجنونة ، كيف ترفض
شاباً كهذا ؟

سارة تهز كتفها : لا أدري هي أعلم بقراراتها ، في النهاية هذه
حياتها هي .

هيام تضرب رأسها بيدها : يالكما من غبيتين ، التفتت نحو أميرة
بكل جدية : أتعلمين أن كل فتاة تراه تتمنى فقط أن ينظر إليها وأنتِ
الذي جائك بنفسه يطلب يدك ترفضينه .

أميرة : ولكني لا أعرفه .

هيام : وما المشكلة ستتعرفين عليه مع مرور الوقت .

فكرت أميرة بالأمر جيداً وأثر فيها كلام صديقتها هيام ومدحها فيه
وبدأت تفكر به ، وفي اليوم الثالث ..

إيمان : يا ابنتي هل فكرتِ بموضوع ذلك الشاب ؟ أبوك سيرد له
الجواب اليوم كما وعده ، فأتمنى أن لا تخيبي ظن والدك .

أميرة وعيناها تنتظران للأرض : نعم يا أمي فكرت جيداً .

إيمان تنتظرُ منها إجابة : وهل أنتِ موافقة ؟

أميرة بخجل : نعم ، ولكن خطبةً فقط ولن أتزوج قبل أن أخرج من الثانوية .

إيمان بفرحةٍ شديدة : حسناً سأخبر والدك .

أحمد يشرب القهوة في المجلس فجأةً تدخل زوجته إيمان والفرحة على وجهها .

أحمد وضع الكوب في الصحن ثم قال : إذاً ماذا قالت ؟ لأن أنور سيأتي بعد العصر ليرد لعامر جواباً كما وعدته .

إيمان : لقد وافقت ولكنها تريد أن تتخرج من الثانوية أولاً .

أحمد يبتسم لسماعه الموافقة : سأخبره بذلك .

جاء أنور وسمع منهم الموافقة ، إتصل بصديقه عامر وأخبره ، فقرر عامر أن يستعجل بالخطبة .

عامر : ألن تباركي لي ! سأخطب يا أمي .

كريمة بفرحة : مباركٌ عليك يا ولدي وأخيراً قررت أن تتزوج .

عامر : نعم يا أمي وأريد أن تجهزي نفسك لتذهبي معي أنتي ورائيا وأريج .

كريمة : لك ماشئت يا بني ، ولكن متى سنذهب ؟

عامر بابتسامة : غداً .

أخبرهم أنور أن عامر سيأتي للخطبة يوم الجمعة أي غداً ليستعدوا .
جهز عامر هدايا كثيرة وبعضها ثمينة وبقاوة وردٍ معطرة للعروس
بالإضافة إلى خاتم الخطوبة الباهض الثمن وهدايا أخرى مثل
المكسرات والحلوى ، واشترى لأمه وأخته أريج ورائيا أجمل
الثياب ليبدن بقمة الأناقة ثم جهز السيارة مع أخيه عمر واستعدوا
للذهاب .

في بيت أحمد ...

البيت من أعلاه لأسفله مرتب والجميع يجهزون الضيافة والحلوى
ويجهزون أنفسهم لاستقبال الضيوف .

جهزت ملاك أختها أميرة بأجمل الثياب وألبستها الحجاب المطرز
بطريقة جذابة .

كانت أميرة قلقةً ومتوترة وتختلط في قلبها المشاعر ولا تدري ماهي
حزنٌ هي أو سعادة .

ملاك تمسك يد أميرة : لما أنت متوترة هكذا ؟ يجب أن تكوني
سعيدةً ومبتسمةً فأنت عروسٌ ولست الوجبة الرئيسية على الغداء .

ضحكت أميرة من كلام أختها ضحكة خجل .

ملاك تضمها وتقبلها على رأسها : هكذا أريدك سعيدة .

وصل الضيوف فاستقبلوهم أحر استقبال ورحبوا بهم بابتسامةٍ
وسعادة وقبلوا منهم الهدايا .

جلس عامر وأخوه في المجلس مع أحمد والد العروس ، بينما أخذت
إيمان النساء (أم عامر وأختيه) لغرفة النساء .

إيمان تفضلن بالجلوس بينما أحضر لكن الضيافة .

كريمة أم عامر بابتسامة : أزداد الله فضلك .

رانيا أخت عامر الكبيرة ، تنتظر للبيت منذ وصولها بنظرة
استهزاء ولم يعجبها شيء .

رانيا تنكز أريج لتتنبه إليها ، ثم تهمس لها : أرأيتي؟

أريج باستغراب : ماذا ؟

رانيا بتكبر : إنظري للبيت ، إنهم ليسوا من مستوانا .

أريج تعارضها الرأي : إنهم أناسٌ لطفاء ، لا تهتمي لبيتهم .

رانيا تميل بوجهها وهي ترمش بعينيها بتكبر .

كريمة تؤشر لهما بيدها : ماكما ؟

تدخل إيمان والبسمة على وجهها تقدم لهن العصير وتأتي من خلفها
ملاك بصحون الكعك والبسكويت ،

وبعد أن انتهين من الضيافة والتعارف بينهن أدخلت ملاك أختها
أميرة ليتعرفن عليها وتتعرف عليهن .

سلمت أميرة عليهن وجلست بأدب والخجل بادٍ على وجهها .

كريمة أعطتها باقة الورد فشكرتها أميرة مما جعل كريمة تحبها

ورأتها بذلك مناسبةً لابنها عامر على عكس رانيا أخت عامر

الكبيرة التي لم يعجبها شيء منذ وصولها وكانت ترمق أميرة بنظرة

استصغار ، أما أريج الأخت الصغيرة لعامر فهي من الأشخاص الذين يتقبلون أي تغييرات و تقبلت أن تصبح أميرة فرداً من العائلة .

بدأت الغرفة تمتلئ بالنساء من جيرانٍ وصديقات يباركن للأميرة حتى سارة وأما جانتا ،

تلك النساء والشابات تعاملن مع الضيوف (أهل عامر) بأخلاق أما ثيابهن فكانت أنيقة لكنها تقليدية ، وأسلوبهن مهذب ولكن ببساطة وذلك لم يعجب رانيا فهي تخال نفسها أفضل منهن لأنها من أسرة غنية وكانت تتباهى أمامهن بثيابها ومجوهراتها بفخر ، أما أمها فقد أحبتهن كثيراً بكل مافيهن وتعاملت معهن بلطف .

بعد أن ذهب المعازيم استأذنت كريمة لتدخل أميرة إلى المجلس حتى يراها عامر وتראה (النظرة الشرعية) .

فدخلت أم عامر مع إيمان وأدخلن أميرة ، وعندما رآها عامر ابتسم ابتسامة النصر وهو يتأمل جمالها و رقّتها أما هي فكانت مطأطئة رأسها وخديها محمرّان من الخجل فرفعت عينيها ونظرت إليه نظرة خاطفة لم تستطع منها أن ترى ملامحه ولكنها انبهرت بهيبته ووسامته ، تمت الخطوبة فألبستها كريمة خاتم الخطوبة ، بارك لهما الجميع ، ومن شدة الخجل لم تستطع أميرة الجلوس معهم فانسحبت بهدوء وخرجت من المجلس ذاهبةً إلى غرفتها .

بعدها بقليل عندما بدأت الشمس بالمغيب ...

عامر وقف مودعاً : نستأذنك يا عم فقد تأخر الوقت وعلينا الذهاب .

أحمد وقف إكراماً للضيف : لم العجلة يا بني ؟ فلتبقوا اليوم عندنا .
عامر بتهذيب : أشكركم على كرم الضيافة ، ولكن لن نستطيع البقاء

أحمد يسلم على عامر : نحن الآن أهل والبيت ببيتكم ، واعدرونا إن
قصرنا بحقكم .

عامر : لم تقصروا معنا بشيء ، وأنت قد قلت نحن الآن أهل ، و
الأهل لا يتعاملون برسمية .

إيمان ذهبت لتنادي أميرة حتى تودعهم فمن غير اللائق أن يذهبوا
من دون أن يروها ، سلمت أميرة عليهن ولم تستطع أن تنظر لعامر
الذي كان يسترق النظر إليها بينما هو ينتظرهن قرب السيارة .

إيمان تودع كريمة : مع السلامة ، أعدن علينا الزيارة .

كريمة : مع السلامة ، إن شاء الله سنجتمع على خير .

ركبوا سياراتهم وذهبوا فدخلت أميرة متجهة نحو غرفتها ، تلحقها
أختها ملاك : إلى أين تذهبين ؟

أميرة تحاول أن تخفي الخجل : إلى غرفتي ، أريد أن أبدل ملابسني

ملاك تضع يدها على خصرها وتؤشر بالأخرى : لقد وقعت يا أختي
إنظري لخديك كيف أصبحت من الخجل ، ثم ضحكت وقالت : كلنا
مررنا بهذه المرحلة ، ولكن بعد الزواج ستنمين أن تعود هذه
اللحظات .

أميرة تتظاهر بالغباء : أي لحظات ؟

ملاك : هذه ، أخبريني الآن هل رأيت عامر ؟

دخلت أميرة غرفتها وجلست على السرير ثم قالت : لا ، لم أستطع أن أنظر إليه .

جلست ملاك بجانبها وقالت : إذاً لا تستطيعين أن تصفيه لي .

أميرة تضع سبابتها على خدها لتتذكر : إنه طويل وعريض بعض الشيء وهو وسيمٌ فعلاً وعيناه .. هكذا ... لا أدري كيف أصف لك ، صدقيني عندما وقفت أمامه بدأت يداي ترتعشان

انفجرت ملاك من الضحك : هذا كله وأنتِ قلتِ لم تريه ؟

أميرة تدفعها بيدها : أنتِ طلبتِ أن أصفه لكِ .

ملاك تضحك بمكر قائلةً : لقد رأيته قبل أن يغادر ولكن أردت أن أعرف مشاعركِ فقط .

أميرة ترميها بالوسادة : مكاراة .

بعد يومٍ حافل قامت إيمان وابنتها الكبيرة ملاك بتنظيف البيت وساعدتهما أميرة ببعض الأعمال البسيطة .

وفي اليوم التالي ذهبت أميرة كعادتها مع سارة إلى المدرسة وفي الطريق ..

سارة بابتسامة : جاءت الأميرة .

أميرة تصافحها : لم يتغير شيء أنا مازلت أنا فلا تعامليني بهذه الرسمية .

سارة : أعرف ولكنك الآن مخطوبة ومن يدري متى تتزوجين وتذهبين ، ثم قالت بحزن : سأفتقدكِ حقاً .

أميرة تلتطف الموقف : غبية ، أنا سأتزوج ولن أموت لنفتقديني بهذا
الحزن ، ولن أتزوج قبل أن أكمل الثانوية .

سارة : وإن يكن ، فإن عشت في المدينة لن تكون لقاءاتنا كما هي
الآن.

أميرة : سأتي بين الحين والآخر إلى بيت أبي وكلما أتيت سأرسل
لك لتأتي .

سارة : حسناً ، أغلقي الموضوع سنعكر صفو يومنا بالتفكير في
المستقبل .

مضت أميرة مع سارة في الطريق ورأت أن موضوع خطبتها قد
أصبح أشهر من نارٍ على علم ، فكانت لاتصادف امرأة ولا شابة إلا
وباركت لها أو نظرت إليها من أسفلها إلى أعلاها مستغربةً مالذي
جعل شاباً ثرياً يخطبها هي بالذات !
في المدرسة ..

مارية : هل علمتن بخطبة أميرة ؟

مروة : نعم ، فخير خطبتها من عامر ليس في الحي فقط بل أصبح
في الأحياء المجاورة .

بثينة : هنيئاً لها فهي تستحقه .

هيام : نعم ، أميرة جميلة ورقيقة وتستحق كل الخير فهنيئاً لها
بخطبتها منه .

وصلت أميرة فركضت جميع الطالبات نحوها يباركن لها حتى
المعلمة سماح تهنئها ، فشعرت بالخجل لأن خطبتها أصبحت
موضوعاً على كل لسان ،

أميرة تقرص هيام وتهمس لها : مالذي يحدث أنا لست أول فتاة
تنخطب ؟

هيام تسحبها من بينهن وتقول لها : قلت لك وأقولها من جديد أنت
انخطبت لعامر الشاب الذي لا يوصف ، ومن الطبيعي أن يتفاجأ
الجميع بهذا الخبر .

أميرة : لكنني أشعر بالخجل من تصرفهن .

هيام تمسك يدها : لا عليك ، ثم انتبهت ليد أميرة قائلةً : ولكن أين
خاتم الخطوبة ؟

أميرة : لن ألبسه للمدرسة .

المعلمة سماح تخاطب الطالبات : هيا كل واحدةٍ إلى فصلها ستبدأ
الحصة الأولى .

توجهت الطالبات إلى فصولهن وبعد انتهاء الدوام عادت كل واحدةٍ
إلى بيتها .

عندما وصلت سارة إلى البيت رأت أمها مشغولةً ومرتبكة تجهز
البيت وتنفض الفرشة .

سارة باستغراب : أمي ، مالذي يجري هنا ؟

أسماء : عمك حميد سيأتي غداً مع عائلته وسيبيتون عندنا لذلك أريد
أن يكون البيت مرتباً وجاهزاً .

سارة بفرحة : حقاً يا أمي ! إذاً سأبدل ملابسي وأساعدك .

أسماء : نعم يا ابنتي فما زال هناك الكثير من الأعمال .

ساعدت سارة أمها في كل أعمال المنزل وغيرن الفرش واللحافات القديمة بأخرى كانت مخبأة للحاجة ، وجهزن الغرف وبخّرنها .
في اليوم التالي ذهبت سارة إلى المدرسة وعندما عادت ، في باب البيت ،

سألت أخويها : إياد ، أيمن ، أين عمي ؟

إياد : لا أدري ؟

صعدت سارة إلى أمها مستغربة : أمي أين عمي ألم يأتي بعد ؟ .
أسماء : حسب ما أعرف أنهم سيتغدون عندنا ولكن لا أدري ما الذي أخرجهم .

سارة تضع حقيبتها وتخلع حذاءها : وهل الغداء جاهز ؟
أسماء بنبرة تعب : لقد جهزت كل شيء ولكن الغداء سيبرد إن لم يصلوا الآن .

سارة تقبل رأس والدتها : إذهبي يا أمي لترتاحي بينما أجهز السفرة .

وماهي إلا لحظات حتى دق الباب .

سارة تشهق بفرحة : لقد وصلوا .

أسماء : إهتمي بباقي التجهيزات وأنا سأستقبلهم .

دخل علي الذي جاء من الورشة فالتقى بهم على الطريق واصطحبهم ، فدخلوا بعده واحداً تلو الآخر حميد وزوجته مريم وأولادهما مروان و ريم ورامي ، وأعطوهم هدية الزيارة .

استقبلوهم بفرحة وسعادة متبادلة ، وسلم بعضهم على بعض ، و دخلوا إلى المجلس .

علي : ضعوا حقائبكم واجلسوا ، فالببيت بيتكم .

حميد مستعجل : مروان خذ الحقائب أنا سأذهب إلى الحمام .

مريم تجلس بصعوبة : قدمي تؤلمني .

مروان يمسك يد والدته ويساعدها على الجلوس .

أسماء بقلق : ما خطب قدمك ؟

مريم بألم : كانت ركبتي تؤلمني قليلاً ثم لويت كاحلي وأنا أحاول الخروج من السيارة .

أسماء : لا عليك سأدهنها لك وأربطها وستشفى إن شاء الله .

ريم تتسائل : عمتي أين سارة ؟

أسماء : إنها في المطبخ إصعدي إليها وأخبريها أن تنزل الغداء بينما أربط لوالدتك قدمها .

أيمن : أختي في المطبخ تعالي ، سأخذك إليها .

ريم تسللت إلى المطبخ ثم دخلت بشكل مفاجئ وهي تقول : إحزري من جاء ؟

سارة بفرح شديد تسلم عليها وتضمها : أهلاً بك لقد اشتقت إليك كثيراً .

ريم تضمها بفرحة : وأنا أيضاً .

أسماء جاءت مسرعة : هيا يا ابنتي ناوليني الأطباق لنزلها أولاً بأول .

ريم تشمرّ ساعديها : هاتي هذا عنك .

أنزلن كل شيء ، السفرة أصبحت جاهزة في المجلس والتم الجميع حولها على شكل دائرة الرجال معاً والنساء معاً ، عدا سارة .

أسماء : سارة ، هيا تعالي يا ابنتي .

سارة : قادمة .

أنزلت ثوبها المشمّر ولفت حجابها ونزلت إليهم وألقت عليهم التحية ، وجلست بجانب ريم لتتغدى معهم ، تفاجأ الكل منها عندما رآوها فقد أصبحت شابة .

نظر إليها مروان باستغراب ثم واصل الأكل .

حميد : كيف حالك يا ابنتي؟

سارة بأدب : الحمد لله يا عم .

مريم تخاطب أسماء بمزحة : ابنتك أصبحت شابة ، ولى زمانك يا عزيزتي.

أسماء تضحك قائلةً : هكذا يأخذنا العمر من دون أن ندرك .

مروان يغمز لعمه و يجاملها : لا تقلقي يا عمتي فأنتِ مازلتِ شابة .

علي يوافق مروان الرأي ويقف بصف زوجته : أكيد مازالت شابة ولن تشيخ أبداً مهما مر الزمان .

ريم شربت رشفةً من الماء و قالت : حتى طبخها لذيذ أليس كذلك ؟

مروان يمد يده : بلى ، ناوليني الخبز الذي بجانبك .

سارة تمد له الخبز فأخذه منها وهو يحاول أن لا يطيل النظر إليها .

أسماء تخاطب مروان : لم تقل لي كيف تجري دراستك ؟
مروان يشرح لعمته : درست دورة اللغة الإنجليزية لمدة سنة ، أما
الآن فأنا أحاول أن أوفق بين دراستي وعملي .

علي يشده الموضوع فابتلع ما يفهمه وقال : وماذا تعمل ؟
مروان يأخذ رشفة من الماء ثم قال : أعمل في وقت فراغي لدى
أحد التجار في محل كبير .

أسماء : من الجيد أن تعتمد على نفسك وتعمل .
حميد يؤخر اللقمة في يده وتدخل قائلاً : إبنني يحب أن يعتمد على
نفسه ، كما أنه أحياناً يدفع تكاليف دراسته من تعب يديه .
علي افتخر به واحترمه أكثر فقال : أنت تتصرف برشد يا بني ،
فالإعتماد على النفس في الكسب فضيلة .
مروان بيتسم قائلاً : العمل أفضل من تضييع الوقت .

بعد أن انتهوا من الأكل وغسلوا أيديهم وقاموا لمقاعدهم ، أخذت
سارة مع أخويها إياد وأيمن الصحون ، فقامت ريم لمساعدتهم .
سارة : ارتاحي فأنتِ ضيفتنا ، أنا سأهتم بالأمر .
ريم : سأساعدك في المطبخ ، لكي ننتهي منه سريعاً .
تدخل مروان بفضول وهو يغسل يديه : دعيتها تساعدك فلن ينقص
طولها إن رتبت المطبخ .
سارة سكتت ولم تدرِ ماتقول .

ريم تضع يدها على خصرها وتخاطبه : لا تتدخل أنت ، وإلا تركنا
عمل المطبخ عليك .

فقام مروان من مكانه ولف السفارة بما بقي فيها من أطباق وأخذها
إلى المطبخ ،

لحقته ريم وسارة وهو يقول لهما : لست كسولاً مثلكن ، وضع
السفرة على الأرض وقال : والآن أكملن عملكن بسرعة .

وخرج إلى سطح المنزل ليجلس قليلاً في الظل ويستمتع بالهواء
الطلق ، فصعد إليه أخوه الأصغر رامي وجلس معه .

بدأت سارة و ريم بغسل الأطباق وتنظيف المطبخ وأعدت سارة
الشاي مع النعناع .

أسماء جاءت إلى المطبخ وهما مشغولتان بالتنظيف : حفظكما الله يا
ابنتي ، سارة هل الشاي جاهز .

سارة تجفف يديها المبلولتين : نعم يا أمي ، انتظري قليلاً ، الآن
سأسكبه في الأكواب لتأخذه .

أسماء : على مهلك يا ابنتي .

خرجت أسماء إلى السطح فوجدت مروان ورامي جالسان تحت ظل
الشجر الممتد من فناء المنزل حتى السقف .

أسماء : هل أعجبكما الجو هنا .

رامي : نعم الجو جميل .

مروان بإحساس : الجو لطيف جداً ، ثم أشر بيده نحو الشجر قائلاً :
أذكر كيف كانت هذه الأشجار صغيرةً عندما أتينا إلى هنا آخر مرة
، والآن أصبحت أطول من المنزل .

أسماء بابتسامة : استمتعا بالجو أنا سأنزل لهم الشاي .

سارة : ريم خذي الشاي لأخويك وأنا سأكمل الباقي .

ريم ترفع يديها من المغسلة : يداي مبلولتان بالماء والصابون ،
خذيه أنتي فيديك جافه .

سارة بتردد : لا ، فأنا أستحي ، هيا خذيه قبل أن يبرد .

ريم تضحك قائلةً : منذ متى تستحين منهما ؟ هل نسيتِ كم كنا نلعب
في صغرننا .

سارة بجديّة : كنا صغاراً ، أما الآن فالوضع مختلف .

ريم : إذهبي بسرعة سيبرد الشاي وأنتِ تتكلمين .

سارة تتوعد ريم : سأريك ، وضعت كوبين من الشاي في الصحن
وخرجت به إلى السطح تقدمت بخجل قائلةً : رامي خذ الشاي .

نظرا باتجاهها فأخذ رامي منها الشاي ودخلت .

رامي : تفضل يا أخي .

مروان أخذ الشاي وتذوقه فأخذه الإنسجام وهو يتأمل جمال المناظر
ويرتشف الشاي مرت ساعتان وهما يجلسان على السطح ولم ينتبها
للوقت إلا عندما نادتهما ريم لكي ينزلا للجلوس مع العائلة .

أما سارة فأخذت ريم إلى غرفتها ليجلسا ويراجعا دروسهما ، وكذلك
فعل رامي و إياد وأيمن .

أما مروان فقد جلس مع الكبار يتكلمون في شؤون العمل وتطوير
الورشة ، فقررروا الذهاب إليها غداً صباحاً لترميمها .

سارة تترك الكتاب قليلاً عندما انتبهت أن الشمس بدأت بالمغيب .

ريم تتسائل : هل ستذهبين إلى المدرسة غداً ؟

سارة تلم كتبها في الحقيبة : غداً سيذهبون للعمل في الورشة ونحن سنظل في البيت لنجهز لهم الغداء .

ريم : ولكن دروسك .

سارة : لا تقلقي سأخذها من صديقتي أميرة ، أما الآن سأسبق أُمي إلى المطبخ وأجهز لتحضير العشاء .

ريم تترك كل ما بيدها : سأتي معك .

سارة : حسناً تعالي لتؤنسيني .

صعدتا إلى المطبخ وبدأتا بالتجهيز لطبخ الفاصولياء واحدة تقطع البصل والأخرى تفرم الطماطم .

أسماء لم تجدهما في الغرفة فعرفت أنهما بالمطبخ وذهبت إليهما ،

أسماء بفخر : حفظك الله يا ابنتي ، أنت تتحملين المسؤولية من دون أن أطلب منك .

سارة ترفع الملعقة بيد وتشير بالأخرى إلى أمها : أنا ابنتك فيجب أن أكون مثلك .

ريم تضحك قائلةً : ماخابت تربيتك يا عمتي .

أسماء : بماذا أساعدكما ؟

سارة تغمز لأمها : ارتاحي يا أُمي فا أنا أتولى الأمر .

أسماء : حسناً ، على مهلكن فلسنا مستعجلين .

نزلت أسماء لتواصل جلستها معهم وهن تكفلن بتجهيز العشاء ،
دخل أيمن يهمس في أذن والدته : أمي أنا جائع .

أسماء : اذهب لأختك إنها في المطبخ وتعشى مع إيباد ورامي
واذهبوا للنوم ، أما نحن سنتأخر بعشائنا .

تعشى الأولاد وذهبوا للنوم وعندما شعر الباقون بالجوع أحضرن
العشاء ، وتعشوا معاً وعندما انتهوا من الأكل وارتاحوا قليلاً ..

علي : أخي غرفتك جاهزة وإن احتجت أي شيء لا تتردد في
الطلب ، ثم أشار بيده : ومروان سينام هنا في المجلس ، أما ريم
ستنام مع سارة في غرفتها .

حميد يتثاءب : أنا متعب سأذهب للنوم لكي أستيقظ باكراً .

علي : تصبح على خير يا أخي .

مريم تحاول الوقوف قائلةً : حميد ، ساعدني لأنهض .

ساعدها حميد لتقف وذهبا لغرفتهما .

علي وأسماء ذهبا لغرفتهما كذلك ، ريم نامت في غرفة سارة
، أما مروان فلم يكن يشعر بالنعاس ، واستلقى وهو يفكر حتى أخذه
النوم .

في اليوم التالي

استيقظ على صوت العصافير التي تملأ الفناء وتقف على شبابيك
البيت مغردةً مع طلوع النهار .

مروان يفتح النافذة : ما أجمل هذا النسيم العليل ، فجلس فيها يراقب
حركات الطيور ويشتم نسيمات الهواء الباردة .

علي دخل إلى المجلس : صباح الخير يا بني أراك استيقظت باكراً .
مروان يلتفت إليه بابتسامة : صباح النور يا عم .

استيقظ الجميع والبسمة على وجوههم ، غسلوا وجوههم وصعدوا
إلى سطح المنزل ليتمتعوا بتلك الأجواء الساحرة .

أعدت أسماء الإفطار ..

أسماء : هيا الطعام جاهز هل ستنزلون ؟

حميد مستمتع بتلك الأجواء : هل يمكنك إحضار الفطور إلى هنا ؟

أسماء : حسناً سأحضره إليكم .

حميد يتأمل الجو ثم مد يديه وتثاءب : لقد اشتقت لهذا الجو البارد
الهادئ ، انشغلنا بأعمالنا ومتطلباتنا المادية ونسينا راحة البال .

جلس الجميع على مائدة الطعام ..

أسماء تخاطب إياد وأيمن : كلا بسرعة لكي لا تتأخرا على المدرسة

إياد وأيمن : حاضر يا أمي .

مريم تنظر لرامي وريم : أنهما أفضل منكما ، مواضبان على
الدراسة .

ريم : مابك يا أمي هي أربعة أيام سأخذ الدروس من صديقاتي وها
أنا أذاكر .

رامي يبلع مايفمه سريعاً : نعم يا أمي ، ثم إن هذه فرصة لا تتكرر
، من يدري متى سنكرر هذه الزيارة وفي أي عام .

مروان يأكل معهم بصمت وكأنه غير موجود .

حميد ارتشف قليلاً من القهوة : رامي ، كل بسرعة لدينا عملٌ كثير
وأنت ستأتي معنا ، ثم ضرب بيده على ظهر مروان قائلاً : أليس
كذلك ؟

مروان انتبه بعد أن كان شارد الذهن : نعم يا أبي .

علي ينهض من مكانه : الحمد لله ، أنا سأجهز نفسي وأتي .

تجهز الجميع وذهبوا إلى الورشة وبقيت النساء في البيت ليجهزن
الغداء .

في طريق المدرسة ..

أميرة تنتظر سارة التي ليس من عوائدها أن تتأخر فوجدت إياد
وأيمن ذاهبان للمدرسة .

أميرة : أين سارة ، ألن تحضر اليوم ؟

إياد : لا عندنا ضيوف لذلك لن تأتي ، ولكنها قالت ستأخذ منك
الدروس .

أميرة تهز رأسها : حسناً .

ذهبت إلى دوامها ، وبعد الدوام فكرت في نفسها لماذا لا تذهب
لزيرة سارة وتعطيها دروس اليوم .

في الورشة

بعد ساعات من العمل المتواصل حميد يجلس على الأرض قائلاً : لم أعد أستطيع ، لقد تعبت .

علي بنبرة تعب : إرتح ونحن سنكمل عنك .

رامي جلس بجانب والده : وأنا تعبت أيضاً .

مروان يمسح جبينه بمعصمه : انظروا كيف بدأت تصبح جديدة ، لم يذهب جهدنا سدى .

رامي : لقد كانت مدمرة حقاً .

علي لم يستطع المواصلة فجلس بجانبهم وقال : هذا يكفي اليوم ، سنرتاح ونكمل بقية العمل غداً إن شاء الله .

جمعوا الأغراض في الورشة وأغلقوها ، ثم اتجهوا عائدين للمنزل .

في البيت

جهزت أسماء وابنتها سارة الغداء بمساعدة مريم وابنتها ريم ، أعددن من كل الأكلات الشهية والحلوى وجهزن لهم الحمام والثياب النظيفة ..

وصلوا إلى البيت متعبين و متسخين ويشعرون بالجوع .

علي : هل الغداء جاهز ؟

أسماء تمد له الثياب : جاهز يا عزيزي ، ولكن قبل ذلك اذهب لتستحم .

علي بابتسامة : حفظك الله يا عزيزتي .

مريم جهزت ثياب زوجها و ولديها فاستحموا واحد تلو الآخر
وتغدوا وشربوا الشاي وجلسوا ليرتاحوا .

بعد أن غلست ريم وسارة الأطباق ، ونزلن إلى غرفة سارة ليرتحن
قليلاً .

علي يسكت قليلاً لسماع صوتٍ ما ثم قال : يبدوا أن هناك من يطرق
الباب .

أسماء تنادي : إياد إذهب واعرف من في الباب .

إياد : حاضر يا أمي سأذهب الآن .

نزل إياد وفتح الباب : أهلاً وسهلاً بك ، إدخلي .

أميرة : شكراً لك ، أين سارة ؟

إياد : في غرفتها .

صعدت أميرة الدرج مع إياد وفي تلك اللحظة قام مروان من مكانه
ليذهب إلى الحمام فالتقى بأميرة ، أوسع لها الطريق لتدخل

،

استغربت أميرة لأنها لا تعرف أن هناك شاباً من أقارب سارة ،
ضل الفضول يأكلها ،

سارة تقف لترحب بها : أهلاً بصديقتي العزيزة .

أميرة بابتسامة تسلم عليهما ثم قالت لريم : كيف حالك ؟

ريم تسلم عليها بابتسامة أيضاً : الحمد لله .

سارة تعرفهما على بعضهما ، تؤشر بيدها نحو أميرة قائلةً : ريم

هذه أميرة صديقتي منذ الصف التاسع ، ثم أشرت بيدها نحو ريم

وقالت : أميرة هذه ريم ابنة عمي حميد .

أميرة :تشرفت بمعرفتك .

ريم : ولي الشرف أيضاً بمعرفتك .

سارة تخاطب أميرة قائلةً : لم أكن أتوقع أنك ستأتين إلي اليوم .
أميرة تخرج دفاترها من الحقيبة قائلةً : أخبرني إياك أنك لن تأتي
فقلت في نفسي سأحضر لكِ دروس اليوم قبل أن تتراكم عليك .

سارة : حسناً إجلسا بينما أحضر شيئاً نشربه .

وقفت ريم بسرعة قائلةً : اجلسي أنتِ وأنا سأحضره .

ذهبت ريم إلى المطبخ أما أميرة فاستغلت الفرصة وسحبت يد سارة
وهي تهمس قائلةً : من ذلك الشاب ؟

سارة باستغراب : أي شاب ؟

أميرة تنظر في وجهها نظرة استكشاف : ذلك الشاب الذي في بيتكم

.

سارة تضحك قائلةً : هاااا تقصدين مروان ابن عمي هو أخ ريم ، ثم
قالت باستغراب : و لكن أين وجدته ؟

أميرة لم تصدقها وقالت : لا يهم أين وجدته ، ولكن أخبريني الحقيقة
، ألم يأتي لخطبتك ؟

سارة تفاجأت : يالك من سخيفة ، لا يوجد شيء من هذا .

أميرة واثقة من شكوكها فقالت : ولكن تصرفه يدل على ذلك ،
صدقيني لقد رأيت في الدرج مبتسماً لوحده وهذا ما أكد لي .

سارة ترميها بالوسادة : ماهذه الإستنتاجات الغبية ، وإن كان مبتسماً
من يدري بماذا كان يفكر ..

نقاطها أميرة : لا تحاولي إخفاء شيء علي ، أنا خبيرة بلامح المحبين .

سارة تحاول إقناعها : كم أنت ساذجة ، لقد جاءوا لترميم ورشة جدي ولا يوجد شيء مما يدور في رأسك .

أميرة تقرصها على ذراعها سأحاول أن أصدقك ولكن لن أسامحك إن لم تكن تلك الحقيقة .

سارة تلكمها على كتفها وأميرة تدفعها ، ريم تدخل والعصير في يدها وتضحك قائلةً : ما هذه الصداقة ؟ إن تأخرت قليلاً كنتما ستقضيان على بعضكما .

أميرة وسارة تضحكان : هكذا هي صداقتنا وهذا ما يميزها .
أخذت سارة دروسها من أميرة وتحدثن وقضين وقتاً ممتعاً إلى أن حان وقت الذهاب ، ودعتن أميرة وذهبت ، فمر اليوم كسابقه .

في اليوم التالي

ذهب الرجال إلى الورشة ليكملوا ماتبقى من تجديد وتصليح ، والنساء بقين في المنزل لإعداد الغداء ، وعندما عادوا من العمل استحموا وبدلوا ملابسهم ،

تغدى الجميع على سفرة واحدة و بعد الغداء نهض كل منهم إلى مكانه ليرتاحوا ، سارة وريم أخذتا مايمكنهن حمله من الأطباق .
مروان بدون أن يقول شيئاً لمّ السفارة بما بقي فيها و وقف قائلاً : بعد إذنكم سأصعد إلى سطح المنزل قليلاً .

أسماء : ألا تريد الجلوس معنا ؟.

مروان بابتسامة : بلى يا عمتي ولكن سأستنشق بعض الهواء الطلق وأعود ، ثم توجه بكلامه لوالديه : أريد أن أخبركم بأنني سأعود إلى بيتنا غداً صباحاً .

حميد : لما العجلة يا بني ؟ إنتظر يومين آخرين وسنذهب معاً .

تحجج لهم مروان بالدراسة والعمل وعندما أقنعهم بذلك وافقوا على ذهابه صعد إلى المطبخ و ريم وسارة وراءه ، وضع السفارة على الأرض بهدوء ومن دون أن يقول شيئاً وخرج نحو سطح المنزل ، لم تقتنع ريم بكلامه وأثارها الفضول فتركت سارة وأخذت كوب الشاي إلى السطح .

ريم مدت له كوب الشاي قائلةً بهدوء : مروان ، ماذا بك يا أخي ؟
مروان يأخذ منها الشاي ويرفع نظره إليها بابتسامة : لاشيء ، لماذا تسألين ؟

ريم جلست بجانبه وقالت : أعرف أن هناك شيئاً ما وإلا لما قررت الذهاب فجأةً ، ثم نظرت إليه متسائلة : ألسنت مرتاحاً ببقائك هنا ؟
مروان تذوق الشاي ثم وضع الكوب على الأرض والتفت إليها قائلاً : بالعكس ، فهذا المكان هو المعنى الحقيقي للراحة ، ثم سكت وهو يدير وجهه وينظر للأفق .

ريم : أكمل .

مروان يأخذ رشفات متتالية من الشاي وهو ساكت ولا يقول شيئاً .

ريم نفذ صبرها فلوحت بيدها أمام وجهه قائلةً : لماذا لا تتكلم ؟
أصبحت على غير عادتك أين أخي الذي أعرفه ؟ منذ أن أتينا إلى هنا وأنت تتصرف بغرابة وأغلب وقتك ساكت ، ماذا جرى لك ؟
أخبرني .

مروان يحكُّ رأسه بضحكةٍ مصطنعة : أوف أنتِ تسألين كثيراً ؟
قلت لكِ لا يوجد شيء ، أنا فقط متعب وأريد أن أرتاح قليلاً بعد
العمل في الورشة .

ريم وقفت متغاضيةً عن أذاره : حسناً يا أخي أنا ذاهبة ، ولكن
وضعك هذا لا يعجبني أبداً .

الفصل الثالث

ذهبت ريم فاخفت ابتسامة مروان وتتهد من أعماقه وهو يفكر
ويقول في نفسه : عن أي صمتٍ تتحدثين ؟ ما أشعر به لا أستطيع
حتى أن أصفه .

في المطبخ ريم تساعد سارة وهي مشغولة البال تفكر بحال أخيها .
سارة تتحدث ولا تجد استجابةً من ريم فسألتهما ماذا يحدث ؟

ريم بنبرة قلق : لا أدري ما الذي حدث له فصمته بدأ يقلقني ، وأكثر من ذلك أنه يتحجج بأنه متعب من العمل .

سارة : وما أدراكِ أنتِ ربما يكون متعباً حقاً .

ريم تنتهد قائلةً : أنتي لا تعرفينه ، صدقيني إنه يدرس ويسهر طوال الليل يذاكر ثم يذهب للمعهد ويعود للعمل وأحياناً يغيب عن البيت لأيام ، ولكنه عندما يصل إلى البيت يكون مبتسماً بشوشاً ، أنا لم أراه على هذه الحال في حياتي .

سارة يقلقها وضع ريم بسبب وضع أخيها فتحاول أن تهدئها قائلةً : لا عليكِ ربما هي فترةٌ و سيعود كما كان ، والآن تعالي معي لنرتاح قليلاً .

دخلت سارة غرفتها مع ريم لترتاحا قليلاً ثم ستراجعان دروسهما ، جاءت أسماء وببدها ثياب إياد المدرسية وقالت : أعرف يا ابنتي أنكِ أهملتِ دراستك هذه الفترة بسبب الأعمال المنزلية ولكن سأعوضك عن وقتك مرةً أخرى ..

سارة تركت كتبها من يدها و وقفت قائلةً : ماذا تريدان يا أمي ؟
أسماء تمد لها الثياب : غسلنا كل الملابس ولم يبقى سوى هذه ، فهلاً غسلتها لأخيك ؟

سارة تأخذ من يد والدتها : حاضر يا أمي .

ريم : هل أساعدك ؟

سارة : ارتاحي أنتِ فهي قليلة سأغسلها الآن وأعود سريعاً .
غسلت سارة ملابس أخيها وذهبت لتعلقها على الحبل في سطح المنزل ، فخرجت بكل هدوءٍ وأدب تعلق الملابس على الحبل ،

ومروان يسترق النظر إليها ، رأتها سارة ولم تقل له شيئاً ولكن كلام ريم خطر في ذهنها ، علقت الملابس وذهبت إلى الداخل .

أسماء تناديها من الدرج : سارة ، أمازال مروان جالساً على السطح ؟

سارة تجيبها : نعم يا أمي .

أسماء : قولي له أن ينزل ليجلس معنا قليلاً .

عادت سارة إلى السطح فاستغرب مروان ، نظرت إليه وقالت بهدوء : إنهم ينادونك لتجلس معهم ، قالت تلك الجملة وذهبت .

وقف مروان ونزل للجلوس معهم ، كانوا يتحدثون ويضحكون ويتشاركون الكلام ومروان يتحدث معهم تارةً ويشرد تارةً أخرى وكلما انتبهوا لتوتره وسأله تحجج بالدراسة أو بالعمل .

أسماء : هونها عليك يا بني وتوكل على الله .

مريم : أنت دائماً تقلق بشأن دراستك ولكن ليس إلى هذا الحد ، هناك شيء آخر ؟

مروان بابتسامةٍ مصطنعة : لا يا أمي ، لا تشغلي بالك كثيراً .

حميد : هل مازلت مصراً على الذهاب غداً ؟

مروان : نعم يا أبي .

حميد : ولكن من سيساعدنا غداً في بقية العمل ؟

تدخل علي قائلاً : دعه يأخذ راحته ، فلم يبق سوى ترتيباتٍ بسيطة سننهيها غداً إن شاء الله .

حميد : حسناً كما تريد .

بدأ النهار يشد الرحال وذهبت الشمس مودعةً ، تاركةً السماء للقمر
فبدأت النجوم باللمعان و هبّ نسيم الليل البارد .

تعشى الجميع وذهبوا للنوم استعداداً للغد .

وفي صباح اليوم التالي

صعدوا إلى سطح المنزل ليستمتعوا بنسيم الصباح ويتناولوا الإفطار
، مروان يطوي ملابسه ويجهز حقيبته ، نزلت ريم لمناداته ..

ريم : صباح الخير يا أخي ، هيا تعال لنفطر معاً .

مروان يغلق الحقيبة : صباح النور ، هيا بنا .

تناول الجميع الطعام وتجهز كل واحدٍ للذهاب إلى عمله ،

حميد وعلي ورامي ذاهبون إلى الورشة ، سارة أصرت عليها ريم
أن تذهب للمدرسة لكي لا تضيع دروسها أكثر فتجهزت للذهاب مع
إياد وأيمن ، مروان حمل حقيبته مستعداً للذهاب وسلم على عمه
وعمته .

حميد : مع السلامة يا بني ، هل مفاتيح البيت معك ؟

مروان تحسس جيوبه ليتأكد ثم قال : نعم يا أبي إنه معي .

مريم : إن احتجت لأي شيء فالمطبخ أمامك وإن لم تجد إذهب إلى
المطعم ، ولا تهمل نفسك .

مروان يقبل رأس والدته : لا تقلقي يا أمي سأندبر أمري .

حميد : هما يومان فقط وستجدنا قد لحقنا بك إلى البيت .

ذهب مروان وإصراره على الذهاب أكبر من شوقه للبقاء ، تخطو
قدماه مبتعدةً و قلبه مازال معلقاً في كل زاويةٍ من المنزل .

انتهى علي وأخوه من ترميم الورشة وأصبحت جاهزة لافتتاحها من جديد مرّ اليومان بسرعة وحن وقت الذهاب ، في الصباح الباكر جمعوا أغراضهم وملابسهم في الحقائب ، وجلسوا جلسةً أخيرة على مائدة الإفطار يتحدثون عن بعض المواضيع .

مريم وأسماء مشغولتان بحديثهما ، سارة و ريم تودعان بعضهما وتتحدثان عن أمورهما الدراسية والأولاد كذلك ..

حميد يخاطب علي بصوتٍ خافت : قل لي ماذا فعلت بموضوع الأرضية ؟

علي يهمس له : بقيت عدة جلسات ، لقد أتعبتني هذه القضية ، ولكن إن شاء الله سيكون الحكم لصالحني .

حميد : إن شاء الله ، وإن احتجت لي فأنا موجود .

علي بخجل : شكراً لك يا أخي ، لا أدري كيف أرد لك الجميل ، وأدعوا الله أن يفرجها لكي أعيد لك المال الذي أخذته منك .

حميد بابتسامة : لا داعي للشكر ، ولا تقلق ستفرج إن شاء الله .

عندما حانت لحظات الوداع سلم بعضهم على بعض ، وتمنوا منهم أن يكرروا الزيارة فوافقوا على ذلك ، ذهب حميد وأسرته فعاد البيت كما كان بل أصبح هادئاً و كئيباً ، و عاد كل واحدٍ لأعماله وعادت سارة للمواضبة في المدرسة والاهتمام بدروسها كما كانت .

في المدرسة

المعلمة سماح تقرأ كشف الطالبات ثم نظرت إليهن قائلة : زميلتكن هديل غائبة منذ أسبوع ، من منكن تعرف سبب غيابها ؟

رفعت مارية يدها وقالت : غائبةً لأن زفافها سيكون في بداية الأسبوع القادم .

بدأت الطالبات بالحديث منهن من تبارك ومنهن من تفاجأت وأثرن شوشرةً في الفصل .

المعلمة تصفق بيديها قائلةً : هدوء .

سكتت الطالبات فقالت المعلمة : ولكن ماذا ستفعل بدراستها ؟

مارية : لن تكمل دراستها لأنها ستذهب مع زوجها إلى الريف ولن تستطيع المجيء من هناك لحضور المدرسة .

المعلمة شعرت بالأسى عليها وقالت : هذه مشكلة أغلب الفتيات ، يمنعهن الزواج من مواصلة التعليم و يتوقفن في نهاية المشوار .

مارية : لقد اقترحنا عليها أن تذاكر في البيت و تحضر أثناء الإختبارات لعلها تحصد شهادةً ثانوية ، ولكنها أبت .

المعلمة تمسح السبورة : لن نستطيع أن نفعل لها شيئاً فقد اتخذت قرارها ، ثم التفتت إلى الطالبات قائلةً : والآن لنعد لدرسنا .

بعد انتهاء دوام المدرسة

سارة تمشي في الطريق مع أميرة كعادتهما ..

أميرة بنبرة ضحك : ما أخبار ابن عمك ؟ ماذا كان اسمه ؟

سارة تنظر إليها بطرف عينيها قائلةً : مازلتِ مصرّةً على رأيك ؟

أميرة تنفجر من الضحك : أريد فقط أن أستفركِ لأتسلى .

بينما هما تمشيان وتتحدثان كان عصام يجلس مع صديقه مؤيد على جانب الطريق ، ولكن أميرة مرت من أمامه من دون حتى أن تنظر إليه و واصلت المشي مع سارة حتى ابتعدتا مسافةً عنهما .

مؤيد يضع يده على كتف عصام قائلاً : حاول نسيانها يا صديقي ، فقد أصبحت مخطوبة وستتزوج قريباً .

عصام بحزن : أعرف ذلك ، ولكنني لا أستطيع نسيانها ، سكت قليلاً ثم نظر في وجه مؤيد قائلاً : لقد أحببتها بصدق ولكنني لا أعلم إن كانت تبادلني هذا الشعور أم لا ...

يقاطعه مؤيد : لو كانت تبادلك الحب لما وافقت على خطبتها من عامر .

عصام يشبك أصابعه ويضع رأسه بين راحتي يديه ، تنهد وقال : ربما هو أفضل لها مني فهو ثري وسيحقق كل ما تطلبه منه وهي تستحق ذلك ، أما أنا فلا أملك شيئاً أمامه وكانت ستنتظرنني طوال العمر لأجمع مصاريف زفافها .

مؤيد يواسيه قائلاً : أنت تملك قلباً يساوي كل كنوز الأرض ، وستجد فتاةً تحبك وتقبل بك كما أنت .

عصام يحبس دموعه قائلاً : أتدري أنني أبذل كل جهدي و آتي إلى هذا المكان كلما سمحت لي الفرصة فقط لكي أراها .

مؤيد يتسائل : ولكن لماذا لم تلتفت انتباهها لكي تعرف مشاعرك نحوها .

عصام يهز رأسه بالنفي قائلاً : لا أريد أن تنتبه لي فينتبه إلينا الناس ويبدأون بتأليف القصص عنا .

مؤيد يمسكه من كتفه ليذهبا : أنت فعلاً رجلٌ شهيم ، وهذا هو الحب الحقيقي ، توكل على ربك يا صديقي وسيجزيك خيراً منها .
عصام يغلق الموضوع و يبتسم قائلاً : ألم أقل لك ، قررت أن أسافر لأبحث عن عمل أكفل به أمي وإخوتي .

مؤيد يتفاجأ : حقاً ! ولكن لم تخبرني من قبل ؟

عصام : اتخذت قراري فجأة فلم يعد هناك داعٍ للبقاء ، لذلك سأرتب أموري بأسرع وقتٍ وأسافر .

مؤيد يشجعه على ذلك : وفقك الله يا صديقي ، سأفتقدك كثيراً ، ولكن من الجيد أن تشق طريقك في الحياة ، فلا تستسلم .

بعد أن انخطبت أميرة حاولت نسيان عصام وبدأت تتعلق بعامر وتفكر فيه وكيف ستكون حياتها معه ..

إيمان تجهز لتقديم الغداء فانتبهت لأميرة وقالت : مابك يا ابنتي ؟ بما أنت شاردة .

أميرة بابتسامة : لا شيء يا أمي ، ماذا سنتغدى اليوم ؟

إيمان تجهز السفرة قائلةً : الأرز مع اللحم والخضار .

محمد يركض نحو أمه ويضمها قائلاً : أنا جائع يا أمي ، رائحة الطعام تملئ البيت .

إيمان تمسح على رأسه قائلةً : إصبر قليلاً بينما يأتي والدك لتغدى معاً .

وصل أحمد بينما هم يتكلمون فأحضرت إيمان الأكل وجلسوا
جميعهم ليتناولوا الغداء .

في المدينة في بيت عامر

رانيا لبست أغلى ثيابها ومجوهراتها وتألقت وزينت البيت بكل ما
يمكنها لأن خطيبها سيزورهم وهو من طبقة راقية وتريد أن تبرز
ثراءها وأناقته ، ولكن فجأة دخل عامر غاضباً وعيناه محمرتان
بسبب بعض الأخطاء التي تحدث في العمل .

كانت رانيا واقفة في الممر فقالت له : مابك يا أخي ؟

دفعها عامر بيده حتى وقعت على الأرض وقال : لا تتدخلي ،
ابتعدي عن طريقي ، وذهب إلى غرفته .

أريج تركض نحو أختها وتساعدتها على النهوض .

رانيا : إنه لا يسمع كلام أحد كعادته ، ولكن ماذا سنفعل الآن ؟
سيصل فارس في أية لحظة وأظن أن عامر نسي الموضوع تماماً .

أريج : لا تقلقي سأحاول أن أتكلم معه .

ذهبت أريج ووقفت على باب الغرفة ، طرقت الباب بهدوء .

عامر بصوت مرتفع ونبرة غضب : من يطرق الباب ؟ ماذا تريدون
مني ؟

أريج : هذه أنا يا أخي ، أريد أن أخبرك أن فارس خطيب رانيا
سيأتي بعد قليل .

عامر ينظر لساعته ويضرب رأسه بيده : لقد نسيت أمره ، سيأتي
لنحدد موعد الزفاف .

حاول عامر أن يهدأ ويعود لطبيعته ، لكي يستقبل فارس .
في تلك اللحظة أتى فارس محملاً بالهدايا والورد ، فاستقبله عامر
بابتسامة ولم يبخل في ضيافته وجلس معه في مجلسهم الفخم .
دخلت كريمة وعمر ليرحبا بصهرهم وجلسا معهم .
أما رانيا وأريج جلستا في الغرفة المجاورة ليستمعا لحديثهم .
جلست رانيا على الكرسي بفخر : لا أريد أن ينقص شيء فهذا
عرس رانيا ابنة العقيد .

أريج بفرحة : هل سيحددون موعد الزفاف حقاً ؟
رانيا تضع قدماً على قدم : أجل ، وسيكون حفل زفافي أفضل
زفاف في البلد كله .
دخل عمر لمناداة رانيا ، لأنهم يريدون سماع رأيها بالموضوع
، فدخلت رانيا وسلمت على خطيبها وجلست بجانب أمها .
عامر : لقد تحدثت مع فارس ويريد أن يكون الزفاف بعد عشرين
يوماً فما رأيك .

رانيا تعارض رأيه : لماذا لا يكون بعد شهر ، حتى أستطيع تجهيز
كل شيء ، فالزفاف مرة في العمر وأريد أن يكون كل شيء كما
أحب .

كريمة تقرصها بهدوء من دون أن يلاحظ أحد لكي تهذب كلامها ،
ولكنها تتجاهل ذلك .

عامر يخاطب فارس قائلاً : مارأيك أنت ؟

فارس باحترام : كما تريدون فسعادتها تهمني وكل ما يرضيها
يرضيني ، ثم نظر باتجاه كريمة وقال : مارأيك يا حماتي .
كريمة بابتسامة مصطنعة : الرأي رأيكم فهو زفافكم ، وأنا لن
أعارضكم بشيء .

عامر بفرحة : إذاً على بركة الله .

فرح الجميع بهذه المناسبة وبارك بعضهم لبعض وتناولوا الحلوى ،
مر الوقت بسرعة و عندما ذهب فارس عاد البيت إلى ماكان عليه .
عامر يشرب الشاي وهو شارد ، والغضب يتطاير من عينيه بسبب
حسابات العمل ، أما كريمة فكانت غير راضية عن قرار ابنتها رانيا
وعاتبها على تصرفاتها .

رانيا ترفع صوتها قائلةً : بلى ، سأفعل ما يحلو لي ، فهذه حياتي أنا
، ولن يمنعني أحد .

كريمة تقف غاضبةً منها : إنظري كيف أصبحت تتحدثين مع أمك ،
وفوق ذلك تتجاهلينني ، ولاكن أنا أخطأت عندما سكت على
تصرفك .

عامر يضرب بيده على الطاولة الخشبية وينفجر من الغضب قائلاً

:

مايكما ؟ ألا تسكتان قليلاً ، ثم وقف و رمى الكوب على الأرض
قائلاً :

إن لم أستطع حل هذه المشكلة سنخسر صفقة مهمة .

أريج وعمر واقفان بصمت ولا يجروان على المشاركة في النقاش .

كريمة تمسك غضبها قائلةً : إنظر كيف أصبحت أختك تتعامل معي

عامر يتكلم من بين أسنانه من شدة الغضب : معها حق ، يجب أن يكون زفافها حديثاً على كل لسان ، فهذه أخت عامر ، ثم دفع أخاه عمر ليزيحه عن طريقه وهو يقول : لا تزعجوني بنقاشاتكم هذه مجدداً و اتجه بغضبٍ ليصعد إلى غرفته .

رانيا بهدوء : أسفةٌ يا أمي ، ولكنني أريد أن أفرح بيوم زفافي وأريد أن يكون زفافي فخماً وراقياً .

عمر يتدخل قائلاً : أمي على حق فتصرفك ليس لائقاً .

رانيا تضع يدها على خصرها وتخاطب عمر : إسكت أنت و لا تتدخل في ما لا يعينك .

كريمة تحاول مسايرتها : أنا لن أمنعك ، فمن حقاك أن تفرحي ، ولكن يا ابنتي لا داعي لكل هذا التبذير والتفاخر ، الزواج يا ابنتي مودةٌ وتفاهم وليس بالفخامة والرقى فالمال يشتري كل شيء عدا الحب والإحترام .

رانيا تضع يديها على وجهها وبدأت بالبكاء : أنتم لا تهتمون بسعادتي .

أريج تتعاطف معها قائلةً : أمي دعها تفعل ما تشاء لكي لا تكون حزينةً في حفل زفافها ، فأخي وصهري سيتكفلان بكل تجهيزات العرس .

كريمة ترفع يديها وهي ذاهبة : إفعلوا ما تشاءون ، فلا أحد في هذا البيت ينصت لكلامي .

في بيت علي

علي يغلق نوافذ المجلس قائلاً : منذ أن ذهب حميد وعائلته والبيت ممل وكئيب ، كنا قد تعودنا على وجودهم .

أسماء توافقه الرأي : معك حق ، ثم تذكرت شيئاً وقالت : قل لي كيف يجري معك العمل في الورشة ؟

علي جلس قائلاً : ليس جيداً كثيراً ولكنه أفضل من قبل .

أسماء بقلق : كيف ستؤمن المبلغ الذي تدينته من أخيك فهو كبير ، وكما تعرف فالبيت أيضاً ينقصه بعض الأشياء ..

قاطعها علي قائلاً : سيفرجها الله يا عزيزتي فهو أعلم بحالنا .

سارة تناديهما : أبي أمي سأذهب للنوم تصبحان على خير .

علي وأسماء : وأنت من أهل الخير يا ابنتي .

في الطرف الآخر من المدينة

بعد يومٍ طويلٍ من العمل الشاق في نقل البضائع وحرصها ...

يسند ظهره على الجدار لكي يتناول وجبة العشاء مع صديقه .

مروان بنبرة تعب : أنهكني العمل اليوم لم أعد أرغب بالأكل .

هشام يمضغ الطعام قائلاً : هل ستعود اليوم إلى المنزل ؟

مروان : لا فالوقت متأخر ، سننام هنا في المخزن .

هشام : لقد أصبح ظهري يؤلمني بسبب النوم في هذا المخزن
المليء بالخردة .

مروان يغمس قطعة الخبز في الحساء قائلاً : لا خيار أمامنا ، فقد
نتعب اليوم لنرتاح غداً .

هشام يواصل الأكل والحديث ويلاحظ أن مروان شارد الذهن ولا
يتناول الطعام حتى قطعة الخبز مازلت في يده .

هشام يطرق بأصابعه على رأس مروان قائلاً : هل أنت معي ؟
مابالك أنت لست على طبيعتك منذ أيام .

مروان يتناول لقمته قائلاً : لا شيء ، فقط أفكر بدراستي ...يقاطعه
هشام ويمسك بكتفه قائلاً : لا تكذب علي ، أعرف أن هناك شيئاً آخر
لذلك وفر علينا الوقت و أخبرني سريعاً .

مروان يتنهد قائلاً : ماذا أخبرك ومن أين أبدأ ؟

هشام يصغي إليه : قل كل ما في قلبك فأنا صديقك ومن واجبي
الإستماع لهمومك وسأساعدك إن استطعت .

مروان يضع يده على صدره ليشعر بخفقان قلبه وهو ساكت .

هشام يضحك قائلاً : أهاا يبدو أن صديقي وقع في الحب ، أليس
كذلك ؟ ولكن من تلك التي سرقت قلبك ؟

مروان يتنهد قائلاً : ابنة عمي ، ثم يمسك رأسه بيديه قائلاً : أنا حتى
لا أعرف كيف وقعت في حبها ، أنا لم أعد أستطيع التفكير بشيء
سواها ، ليتني لم أذهب إلى هناك ، ليتني لم أعرف...

يقاطعه هشام : على مهلك يا رجل ، لماذا تقول ذلك ، الحب ليس
سيئاً لهذه الدرجة .

مروان ينظر في وجه هشام ويقول بنبرة وله : كنا نلعب معاً عندما كنا صغاراً ولكن عندما انقطعت عائلتنا فترةً طويلة لم أعد أهتم بالأمر ، ولم أتوقع أنني عندما أراها ثانيةً سكت ولم يكمل .
هشام يشجعه على مواصلة الحديث : أخرج كل ما في قلبك لترتاح .
مروان يكمل قائلاً : ولكن الآن عندما رأيتها سرقت قلبي من أول لحظة ، حين أطلت كالبدر في ظلمة السماء ، وأشرفت كالشمس في صباح بارد ، شغلت بالي من دون أن تدري

سكت قليلاً ثم أكمل بحزن : أتعلم يا صديقي أنني في كل لحظةٍ أراها يرجف قلبي ، لقد كنت أتهرب من الجلوس معهم رغم أنها كانت أسعد لحظات ، وكنت أتهرب من النظر إليها لكي لا أقع في عشقها أكثر ، كنت أجلس على سطح المنزل بحجة المناظر الجميلة وهروباً من جمالها الأسر ، كتبت مشاعري لكي لا يعرف أحدٌ ، ولكن عندما لم أستطع التحمل أكثر غادرت متحججاً بالدراسة ..
هشام بحزن : ولكن لماذا لم تخبرها بذلك وترح نفسك ؟

مروان بنبرة غضب : كيف تريدني أن أخبرها بذلك ، فيقولوا جاءونا ضيوفاً بعد غيابٍ طويل ليلعبوا بعرضنا في بيتنا ، فأصبح نكرةً في نظر عمي ..

هشام يقاطعه بارتباك : لا ، لم أكن أقصد ذلك ، بل أقصد أن تتقدم لخطبتها من عمك فقرأتكم ستسهل عليك الأمر .

مروان يقف لينظر للسماء من النافذة وهو يقول : كيف سأقدم لخطبتها ؟ وما الذي سيجعلها توافق على شابٍ مثلي لم يحدد مستقبله بعد ، ها أنا أعمل لكي أسدد تكاليف دراستي ، و أتعشى ما بقي من وجبة الغداء ، وأنام بين قطع الخردة ، أنا كمن يحاول القفز من بركة الوحل إلى العشب الأخضر ؟

هشام يعارضه : وما العيب في ذلك أنت تعمل لتكسب بالحلال ،
وهي ستقدر ذلك .

مروان يتنهد : ربما هي لا تكن لي أي مشاعر ، وأخشى أن أطلبها
فترفض ، فتوجع قلبي أكثر .

هشام يتسائل : لماذا لا تطلب من والدك أن يعطيك المال ؟

مروان بابتسامة قهر : أبي ليس أفضل حالاً مني ، فلم تعد وظيفته
كما كانت في السابق ويكفيه تحمل مسؤولية البيت ،

حتى إنه اقترض بعض المال من صديقه ليساعد عمي في استرجاع
أرضيته ، ولكن عمي لا يعرف بهذا الأمر ،

ثم نظر في وجه هشام وقال : أشعر بالضياح ، ولا أدري ما أفعل .

هشام وقف وأمسك بكتف مروان : صدقني يا أخي الأمر ليس صعباً
كما تتخيل فقط إتبع قلبك وسيدلك على الطريق الصحيح ،

ثم إنك مجنونٌ بها فكيف ستسمح لحبك أن يضيع أمام عينيك .

مروان يكتف حزنه قائلاً : معك حق ، سأحاول أن أحافظ على هذا
الحب ، ثم ابتسم وقال : شكراً لك يا صديقي لقد ارتحت من همومي
بالحديث معك .

هشام يغلق الموضوع بابتسامة وقال : والآن لننم قليلاً فلدينا دوام
غداً ، ولا نريد أن نتأخر ، سيقول مدير المعهد (وهو يقلد لهجته) :
أنتما فاشلان .

مروان يضحك قائلاً : حسناً ، تصبح على خير .

قرر مروان أن يخبر والديه بشأن حبه لسارة وفي اليوم التالي
أخبرهم بذلك وفرحوا لسماع هذا الخبر ..

مريم تهنئه : أحسنت الإختيار يا ولدي ، فسارة فتاة مؤدبة ولطيفة .

حميد بفرحة : كنت قد فكرت بذلك من قبل ، ولكن يسعدني أنك
أردتها من تلقاء نفسك .

ريم تغمز لمروان قائلةً : وأخيراً عرفت مالذي كان يشغلك .

حميد : لا تقلق يا بني سأخطبها لك في أسرع وقت .

مروان بتردد : ولكن يا أبي أنا لا أملك سوى القليل من المال ،
وأنت ...

حميد يقاطعه : لا تقلق بشأن المال ، فأنا سأنتفق مع أخي على ذلك ،
والمهم أن تكون واثقاً من قرارك .

مريم : الزواج مسؤوليةٌ يا بني فإن كنت تجد نفسك أهلاً لها زوجناك
وإلا لن نخطوا هذه الخطوة في حياتك .

مروان يحبس فرحته قائلاً : أعرف يا أمي ، وما أقدمت على هذه
الخطوة إلا وأنا واثقٌ من نفسي ، ثم إنها مجرد خطوبة لكي لا
يسبقني شابٌ آخر .

مريم : هذا إن وافقت على طلبنا .

حميد يضرب بيده على ظهر مروان : سأذهب إليهم هذا الأسبوع
وأخبرهم بذلك ، وإن لم تكن موافقة سنعطئها وقتاً أطول لتفكر .

ريم : ستوافق إن شاء الله ، لكي تعيش معنا فقد افتقدتها كثيراً .

مروان يقول في نفسه : أدعوا الله أن توافق .

مرت أربعة أيام

سارة : صباح الخير

أميرة بفرحة : صباح النور .

سارة : مالي أراك سعيدةً والفرح يتطاير من وجهك .

أميرة أخرجت علبةً من حقيبتها ، وأعطتها لسارة .

سارة فتحت العلبة فوجدت فيها من كل أنواع المكسرات والحلوى ،
فقالت : يبدو أن السيد عامر كان عندكم .

أميرة بخجل : لقد جاء بالأمس وأعطاني بعض الهدايا ...

سارة بفضول : هل تحدثتِ معه ؟

أميرة وعيناها تلمعان : لا ، ولكن قبل أن يذهب طلب أن يراني ولم
يقل لي شيئاً سوى (اهتمي بنفسك) وذهب .

سارة تضحك قائلةً : وهل كنتِ تريدين أن يلقي عليك خطبة الوداع .

ضحكت أميرة ثم قالت بنبرة شوق : إنه يأسرني بكل ما فيه ، ولم
أكن أريد أن يختصر كلامه بل أريد سماع صوته أكثر .

سارة باستغراب : أدهشتني بكلامك يا عصفورة الحب ، ثم قالت
جادةً : أوشكت أن تنقضي نصف السنة الدراسية ، ركزي أكثر على
دروسك .

أميرة تبتسم : أنا مركزة على دروسي ، ولكنه بدأ يشغل تفكيري .

وصلتا إلى المدرسة ، وأخذن جميع حصصهن ودروسهن كالعادة
وعندما خرجت الطالبات من الفصل يودعن بعضهن ذاهبات ،

في الممر كانت المعلمة سماح تتحدث مع إحدى الطالبات ...

سناء بالحاح : أرجوكي لا أريد أن أضيع سنةً أخرى .

المعلمة : سأرى إن كان بإمكانني مساعدتك .

أميرة وسارة وهيام أثارهن الفضول حول تلك الطالبة فاقتربن أكثر لمعرفة مايجري .

هيام باحترام : معلمتي ، هل كل شيءٍ بخير ؟

المعلمة تنهدت وقالت : أريد مساعدتها لكي تعود للمدرسة ولكنها تأخرت فإختبارات نصف العام قريبة واسمها لم يعد في السجل .

هيام توجهت بكلامها للطالبة : لماذا تركتِ دراستك ؟

سناء تشرح لهن القصة بحزن : أنا كنت طالبةً في الصف الأول الثانوي ولكن أهلي زوجوني لمكانٍ بعيد رغماً عني ولم يسمحوا لي بمواصلة الدراسة ،

وذلك الرجل كان أكبر مني بخمسة عشر عاماً ، عشت معه أربعة أشهر كالكابوس ، كان يضربني ويصرخ في وجهي على أتفه الأشياء وعندما تركته وعدت للمنزل تفاجأ والداي من حالي ، فطلبت منه الطلاق ولم أكن أعرف أنني حامل ...

المعلمة سماح أكملت عنها : هي الآن مطلقة ولديها طفلة ، تحملت مسؤوليةً أكبر منها بسبب الطمع .

بثينة تتنهد قائلةً : كنت أظن أنني الوحيدة التي أعاني من المشاكل .

أميرة تتعاطف مع سناء قائلةً : وأين طفلتك الآن ؟

سناء : أمي ستعتني بها بينما أكمل دراستي .

سارة تستفسر : ألن يطالبك ذلك الرجل بابنته ؟

سنا تتهد قائلةً : هو لم يسأل عني منذ أن تركت منزله ، ولم يهتم يوماً بمعرفة إن كان لديه بنتٌ أم ولد ،

مسحت دمعها ثم أكملت قائلةً : ولكن العيب ليس فيه ، العيب في أهلي الذين أعماهم الطمع فرموني بعيداً كالحجر ،
لم يهتموا بي وأنا فتاة أما الآن سيهتمون بي وأنا مطلقةٌ ولدي طفلةٍ عمرها شهرين .

هيام تتهد قائلةً : لا حول ولا قوة إلا بالله ، لدينا كل فترة قصة في هذه الثانوية .

المعلمة تخاطب سناء : لا عليكِ يا ابنتي ، إذهبي لمنزلك وأنا سأحاول أن أتدبر أمر عودتك في الإدارة .

سنا بتهذيب : شكراً لك ، لن أنسى وقوفك معي ، ثم لوححت بيدها ذاهبةً : مع السلامة لقد تشرفت بمعرفتك .

لوحن لها و ودعنها بابتسامة ، وقلوبهن تتقطع عليها .

عادت كل واحدةٍ إلى منزلها .

وصلت سارة إلى البيت متأثرةً بموضوع سنا لتتفاجأ بوجود عمها حميد في البيت استغربت من وجوده ولكنها توقعت أنه جاء من أجل العمل ، سلمت عليه وذهبت إلى غرفتها لتبديل ملابسها ، وساعدت أمها ، لاحظت أن تصرفاتهم تجاهها غريبه ،

وبعد الغداء جلس الكل ليشربوا الشاي ..

علي يفتح الموضوع قائلاً : يا ابنتي أصبحتِ واعيةً وتستطيعين اتخاذ قراراتك وأنا لن أجبرك على شيء ، وقد طلب عمك يدك لابنه مروان فما رأيك ؟

حميد يهز رأسه لتأكيد الكلام .

سارة انصدمت و تفاجأت ولم تستطع قول شيء ، فانسحبت بهدوء
و غضب إلى غرفتها .

حميد لا تضغطوا عليها يمكنها التفكير براحتها فلسنا مستعجلين على
زواجه ، هو فقط أراد أن يخطبها لكي لا تذهب من يده .

علي يؤشر لأسماء حتى تذهب إليها وتحدث معها ، ثم قال لأخيه أنا
لست معترضاً ولكن رأيها مهم فهذه حياتها .

حميد بتفهم : سنعطيهما ثلاثة أسابيع لتفكر بالأمر عسى أن توافق ،
وسنأتي إليكم بعد انتهاء امتحانات نصف العام لنعرف الجواب .

علي : أهلاً وسهلاً بكم في أي وقت ، ونحن سنحاول إقناعها .

سارة بنبرة غضب : لا أريد أن أتزوج ، ومن من ؟ مروان !.

أسماء بهدوء : وما العيب في مروان حتى تتكلمين عنه بهذه الطريقة
؟

سارة برفض واضح : أرجوكي يا أمي ، أنا لا أريد حتى أن أتكلم
بهذا الموضوع ، وأخبريهم أنني لست موافقة .

أسماء تزيح الكتب من أمام سارة قائلةً : دعينا نتكلم كصديقتين وبكل
وضوح .

سارة تستمع لأمها رغم أنها منزعة .

أسماء تناقشها بأسلوب رقيق : يا ابنتي نحن لن نجبرك على شيء ،
ولكن يجب أن تعرفي أنك لن تجدي شاباً أفضل من مروان ، فما
الذي يجعلك ترفضين .

سارة تضم يديها واحدة فوق الأخرى : أنا لا أريده يا أمي .

أسماء : إنه شابٌ مهذبٌ وكلنا نعرف أخلاقه وإن كنتِ تريدين الوسامة فهو شابٌ وسيمٌ وجذاب ، وما اختاركِ أنتِ إلا لأنه أحبكِ .

سارة تتمتع بغضب : إنه غريب الأطوار و منعزل و يتصرف بغرابه ، ثم تكلمت بصوتٍ واضح : هو لم يزل يدرس ولم يحصل على وظيفةٍ بعد ، ثم إنه يعمل لكي يدفع تكاليف دراسته فكيف يقم نفسه في موضوع كالزواج ؟

أسماء تتفاجأ من كلام ابنتها قائلةً : أهذا ما جعلك ترفضينه ؟ العمل ليس عيباً ، ثم إنه لن يترك غداً هي مجرد خطوبة وعندما تتيسر أموره سيتزوج .

سارة تنتهد قائلةً : أنا لا أريد أن أتزوج ، سأكمل تعليمي وأفتح مشروعني الذي لطالما حلمت به .

وقفت أسماء لتخرج من الغرفة وقالت : سيعطيك عمك فرصةً لتفكري على مهلكِ فلا تتسرعني باتخاذ القرار .

علي ينتظر الجواب من أسماء : ماذا قالت ؟

أسماء : لم توافق بعد ولكنها تحتاج الوقت لتفكر .

حميد : لها ماتريد ، وإن شاء الله لن يقع إلا مافيه الخير .

ذهب حميد و ظلت سارة تفكر وليس هناك أي أملٍ لتوافق على طلب مروان .

في اليوم التالي

أميرة : مابك ؟ أراك مهمومة البال .

سارة تلکمها على کتفها : لقد كان ما تفکرين فيه صحيحاً .

أميرة باستغراب : ماذا تقصدين ، مالذي فکرت فيه ؟

سارة تذکرها : مروان ، ابن عمي تقدم لخطبتي .

أميرة تذکرته على الفور وقالت : ذلك الشاب ، ألم أقل لك أيتها الغبية ، فقد عرفت مشاعره منذ أن رأيتہ ، ولكن أخبريني هل وافقتِ عليه ؟ .

سارة بنبرة غضب : لست موافقةً عليه فمجرد التفكير فيه يزعجني .

أميرة : ألم تطلبي منه الوقت لتفکري جيداً ؟

سارة : لقد أعطوني ثلاثة أسابيع ، ولكنني لن أوافق عليه حتى وإن أعطوني سنةً كاملةً لأفکر .

أميرة : ولكن لماذا ؟ يبدو أنه مغرّم بكِ فعلاً ، ومن يراه يرى الحب في عينيه ، فمشاعره تبدو شفافةً وصادقةً ، ثم غمزت لها قائلةً : وهو وسيّم أيضاً .

سارة غير مهتمة : ليذهب بحبه إلى البحر .

أميرة بتعجب : هذا حبٌّ يا صديقتي وليس قارباً ليذهب به إلى البحر .

ثم قالت وهي تحاول إقناعها : إنظري إلي ، لم أكن موافقةً على خطبة عامر لي ، وها أنا اليوم أعشق حتى حروف اسمه .

سارة بنبرة ساخرة : لا وجه للمقارنة فعامر سيجعلك أميرةً بالفعل ، أما مروان لا يملك حتى تكاليف زواجه .

أميرة بحزن : إن لم توافقي عليه فلا تظلميه بكلامك ، من يدري فرما يجعل منك ملكةً بحبه لكِ وليس بالمال .

سارة غير راضية : من السهل عليك قول ذلك ، ثم سارعت خطواتها
قائلةً : فقط أغلقي الموضوع لا أريد أن أتكلم عنه .

أميرة : كما تشاءين .

أغلقت موضوع مروان وأكملنا الطريق بصمت كل واحدة تفكر في
ما يشغلها ، وعندما وصلنا إلى المدرسة ..

أميرة تسأل المعلمة سماح : ماذا فعلت بشأن عودة سناء للمدرسة ؟
المعلمة : قدمت طلباً للإدارة وهاهم يناقشون الأمر ، وإن شاء الله
سيوافقون على مشاركتها في الإختبار لكي لا يضيع منها هذا العام .
هيام : إن شاء الله ، فهي مسكينة حقاً ، ويجب عليهم مراعاة ظروفها

سارة : معك حق .

توجهت الطالبات نحو فصولهن لتبدأ الحصة الأولى ، وبعد انتهاء
الدوام المدرسي عادت كل واحدة إلى منزلها ، وهكذا حتى انقضى
أسبوع

وبدأت بعده إختبارات نصف العام وبدأ الطلاب والطالبات يكتفون
أوقات المذاكرة ،

أما مروان فقد كان يعد الأيام والليالي لكي يسمع رد سارة على طلبه
,

وفي الجهة الأخرى عامر الذي يفكر في طريقة للتواصل مع أميرة

...

يرن الهاتف المحمول

يرد أنور بابتسامة : صديقي العزيز منذ أن وقعت في الحب وهاتفي لا يتوقف عن الرنين ، ومن قبل لم أكن أسمع صوتك إلا مرة في الشهر .

عامر يضحك قائلاً : لهذا السبب اتصلت بك ، فأنا الآخر قد مللت من سماع صوتك .

أنور يضحك قائلاً : وماذا ستفعل لكي لا تسمع صوتي ؟

عامر جاداً في كلامه : سأشتري هاتفاً لأميرة بدلاً من أن تذهب إليهم أنت كلما احتجت أن أكلهم .

أنور : قل لي أنك تريد سماع صوتها فحسب .

عامر بتردد : هذا إن وافق والداها على ذلك ، ولهذا أريد منك أن تذهب غداً إليهم وتخبرهم بذلك ، وإن وافقوا سأشتري الهاتف وأتي ، ثم ضحك وقال : إن وافقوا سترتاح مني ومنهم .

أنور : لك ما شئت ، وأنا طوع أمرك يا صديقي .

ذهب أنور لبيت أحمد وأخبره باقتراح عامر ، فكر أحمد وقال : لا مانع لدي ، و أهلاً وسهلاً به في أي وقت .

أخبر أنور صديقه عامر بأنهم موافقون ، وفي اليوم التالي جاء عامر كعادته بسيارته الفخمة وظلته البهيه ، وقد اشترى هاتفاً لأميرة و هدايا أخرى .

سلم عامر عليهم و جلس معهم في المجلس فأعطوه الضايفة بكرم .

عامر باحترام : أين أميرة ، أريد أن أريها كيف تستخدم الهاتف .

أحمد يأمر ابنه محمد : إذهب لمناداة أميرة .

ذهب محمد إليها وجاء بها ، أطلت أميرة بابتسامة خجل تأسر القلب

جميلة المظهر ، أنيقة الملبس ، فألقت التحية على عامر بكل خجل
وأدب وجلست بجانب أمها .

أحمد بابتسامة : يا ابنتي إجلسي بجانب خطيبك ليريك الهاتف .
قامت أميرة متفاجئة و ببطء وجلست بجانبه فأخرج لها الهاتف وبدأ
يشرح لها ، التشغيل من هنا والرد على المكالمات من هنا و كذا ...
أميرة جالسة إلى جانبه بخجل تفهم قليلاً وتشرّد قليلاً ، نظر إليها
وقال : هل فهمتِ ؟

أميرة تهز رأسها بالنفي ولم تستطع النظر في وجهه بسبب توترها .
أحمد يتحمس لموضوع الهاتف قائلاً : عليك أن تركزي يا ابنتي لقد
أعجبتني الفكرة وسأشتري لي واحداً ، وأنتي ستعلميني كيف
أستخدمه .

إيمان غمزت لأحمد بالنهوض حتى يتركا لهما الوقت ليتحدثا ،
نهضت إيمان قائلةً : أنا سأذهب إلى المطبخ ، وأخذت معها محمد ،
ثم نهض أحمد قائلاً : تحدثا ، أنا سأذهب إلى غرفتي وأعود حالاً .
عامر بابتسامة : لقد تركا لنا فرصةً للحديث يجب أن تركزي ، أنتِ
فقط تعلمي كيف تردين على اتصالاتي وستفهمين الباقي مع مرور
الوقت .

أميرة تهز رأسها حسناً .

عامر يحاورها بهدوء : لم أنتي ساكتة ، قولي أي شيء ، إرفعي
رأسك لنتحدث .

أميرة ترفع رأسها ببطء وتنظر في وجهه عن قرب لأول مرة ،
فيحمرّ خديها .

عامر يبتسم قائلاً : كم أنتِ خجولة ، والآن قولي لي هل أعجبكِ الهاتف ؟

أميرة بابتسامة خجل وبصوتٍ خافت : نعم .

عامر يشجعها على الحديث : هكذا أريدكِ ، و أضاف قائلاً : إن احتجتِ أي شيء لا تترددي و اطلبي ماشئتِ وسأشتريه لكِ على الفور .

أميرة بابتسامة : حاضر .

عامر سأتصل بكِ لأتأكد أنكِ فهمتِ ، أميرة تسمعه ولكنها شردت تتأمل طريقة حديثه ، أخرج هاتفه واتصل على رقمها ، رن الهاتف واهتز بيدها فقفزت من الخوف ووقع الهاتف من يدها على الأرض .

انفجر عامر من الضحك قائلاً : يبدو أنكِ كنتِ شاردة .

أميرة بارتبك وخجل تلتقط الهاتف من على الأرض ، ظغطت على الرد وهي محرجةٌ من تصرفها .

عامر يبتسم قائلاً : لا بأس عليكِ .

أميرة بابتسامة خجل : في المرة القادمة سأنتبه .

عاد أحمد وإيمان إلى المجلس ثانيةً وجلسوا معهما ، إلى أن حان وقت ذهاب عامر .

عامر : كانت أمي تود زيارتكم ، سأرى متى ستأتي وأخبركم .

إيمان بابتسامة : أهلاً بها في أي وقت .

عامر أخرج بعض المال من جيبه وأعطاه لأميرة قائلاً : هذا لكِ ، و إن احتجتِ أي شيء أخبريني .

ودعهم عامر وخرج فصعدت أميرة تركض نحو نافذة غرفتها وجلست تراقبه ، ركب عامر سيارته وذهب ، وظلت أميرة تفكر فيه وتشتم المال الذي يحمل رائحة عطره ، فجأة رن الهاتف بيدها ، ردت عليه ولكننا ساكته .

عامر يقود سيارته و يضحك قائلاً : أخيراً تعلمتِ الرد بدون أن يقع الهاتف على الأرض .

أميرة ضحكت ضحكةً خجولة و قالت : هل تريد شيئاً ؟

عامر يحبس ضحكته قائلاً : أردت أن أسمع صوتكِ على الهاتف ، بما أنك في غرفتكِ .

أميرة تنظر في أنحاء الغرفة وفي الهاتف قائلةً : وما أدراك أنني في غرفتي ؟

عامر يقلقها أكثر : أعرف ذلك وأعرف أيضاً أن الهاتف بيدكِ الآن .
أميرة مرتبكة ولم تركز جيداً في كلامه فقالت بارتباك : وما أدراك ؟

عامر ينفجر من الضحك قائلاً : لقد رأيتك في النافذة عندما ركبت سيارتي ، أما الهاتف بيدكِ لأنكِ تتحدثين معي عبره .

أميرة تضرب رأسها بيدها وهي تضحك : لم أنتبه لذلك ، لقد ارتبكت .

عامر بابتسامة : حسناً ، إلى اللقاء .

كانت أميرة سعيدةً لارتباطها بعامر فهو لا يبخل بشيءٍ تجاهها ويعطيها من دون أن تطلب .

علمت بعض النساء أن عامر اشترى هاتفاً لأميرة ،

وماهي إلا يومان وقد أصبح موضوع هاتف أميرة على كل لسان حتى الطالبات في المدرسة يتحدثن عنها و أصبحت بعضهن يغرن منها ويؤلفن عنها صفاتٍ ليست فيها .

... : إنظري إليها كيف أصبحت مغرورة .

.... : حتى مشيتها تغيرت ، ولكن العيب في عامر الذي يعطيها كل ما تطلب .

.... : سمعت أنها طلبت منه خاتماً باهضاً للخطوبة .

... : إنه يدللها كأنه لم يجد غيرها في المنطقة ، حتى أنه اشترى لها هاتفاً .

... : أعرف ، فمن يدري كم ظلت تلاحقه ليعجب بها .

.... : لكنها لا تستحق شاباً مثل عامر .

هيام سمعت تلك الجملة واقتربت منهن قائلةً : حقاً ! وهل كنتِ تستحقينه أنتِ ؟ وشمرت ساعدها قائلةً : إحترمن أنفسكن قبل أن أعلمكن الإحترام .

ذهبت الطالبات من أمامها فانتهت أميرة لهيام وسألتها : مالذي يحدث هنا ؟

سارة تضحك قائلةً : أخافتهن المصارعة الحرة ، أخبرينا ما الذي يجري .

هيام بابتسامة : لا شيء ، ثم غيرت الموضوع وهمست قائلةً : أخبريني هل اتصل بك عامر ؟

أميرة بهمس : نعم اتصل بي مرتين ، ثم نظرت حولها وقالت : أصبحت أشعر بالخجل فكل الناس عيونهم عليّ بسبب عامر ، حتى

أنني لم أعد أستطيع النظر في وجوه الطالبات من الخجل ، وكم من مرةٍ أسمعهن يتحدث عني .

سارة : لا تهتمي بهن ، المهم أن تظلي واثقةً من نفسك ، فعلى أية حالٍ لن تسلمي من كلامهن ونظراتهن .

أميرة حاولت أن تكون طبيعية و واثقة من نفسها لتتفادى كلام الطالبات عنها ويوماً بعد يوم بدأت تعتاد على ذلك ،

بدأت اختبارات نصف العام لبقية الصفوف ، أما طالبات الصف الثالث الثانوي فلن يكون لديهن إختبارات ، لذلك سيقضين هذه الفترة في منازلهن يذاكرن استعداداً لنهاية العام .

الفصل الرابع

في الفترة التي لا يذهبن فيها للمدرسة ، كانت أميرة وسارة تلتقيان أحياناً للمذاكرة معاً .

سارة جهزت كتبها في الحقيبة لكي تذهب للمذاكرة مع أميرة .

عندما وصلت سارة استقبلتها أميرة بابتسامة وترحيب .

إيمان بابتسامة : أهلاً بكِ يا ابنتي ، كيف حالك ؟

سارة تسلم عليها وتقبلها على رأسها : الحمد لله أنا بخير .

إيمان : إجلسا بينما أحضر لكن شيئاً تشربانه .

دخلت ملاك لتسلم على سارة .

سارة تفاجأت بفرحة وسلمت عليها : أنتِ هنا ؟ لقد اشتقت لكِ .

ملاك بابتسامة : أنا هنا منذ يومين .

أحضرت إيمان الكعك والعصير وقالت : إن احتجتما لأي شيء فأنا موجودة .

أميرة : شكراً لك يا أمي .

خرجت إيمان وملاك وتركن أميرة وسارة لتركزا على مذاكرتهما ، شربن العصير وأكلن بعض الكعك ثم أخرجت كل واحدةٍ منهما كتابها وبدأن بمراجعة بعض الأسئلة وحلها وعندما تعبت أميرة من المذاكرة قررت أن تغير الجو بسؤالٍ آخر .

أميرة : أخبريني ماذا قررت بشأن مروان .

سارة وضعت يدها بين صفحتين من الكتاب وأغلقتة ثم نظرت في وجه أميرة قائلةً : ما زلت غير موافقة .

أميرة بتعجب : كم أنت قاسية ، هل ستقولين له عندما يأتي أنك غير موافقة ؟

سارة بكل ثقة : نعم و سأقولها في وجهه ، أغلقت الكتاب و وضعتة على الأرض ثم رفعت أصابعها الخمسة قائلةً : بقي خمسة أيام على مهلتهم لي ، أنا لا أريد الزواج وأستطيع مواجهة مروان ، ولكن كيف سأواجه عمي بذلك ؟

أميرة تضحك قائلةً : احترت في أمرك يا صديقتي ،

ثم أمسكت بيد سارة وقالت تطمئننها : توكلني على الله ولن تأخذي سوى نصيبك في الحياة ، أنتِ قلتِ لي ذلك عندما كنت عالقةً بين أمرين .

سارة بنبرة ارتياح : صحيح ، قلت ذلك عندما لم أكن أعرف صعوبة الوضع ،

ثم وضعت يديها على وجهها قائلةً : ولكن معك حق فإن كان مروان هو قدرى فلن أستطيع الهروب من هذا القدر .

أميرة : سيختار لك الله مافيه الخير فلا تقلقي .

سارة ساكتة ، تفكر ويدها على خدها ، حاولت أميرة أن تخرجها من هذا الموضوع فقالت : هل تعلمين أن أم عامر جاءت بالأمس وعزمتنا لحضور حفل زفاف ابنتها رانيا .

سارة يشدها الكلام فقالت متسائلة : ابنتها الكبيرة التي كانت تجلس في الزاوية يوم خطوبتك ؟

أميرة بتأكيد : نعم هي .

سارة ترمش بعينيها وتحرك يديها محاولة تقليد رانيا وهي تقول : أخي يعطيني كل ما أطلبه منه .. خطيبي يعطيني كل أسبوع هدية ... أنا مدللة أينما كنت ، ثم انفجرت من الضحك .

أميرة تضحك باستغراب : هل كانت تقول ذلك ؟

سارة توقفت عن الضحك قائلةً : نعم ، وكانت تحرك يديها لترينا خواتمها وأساورها .

أميرة : لم أكن مركزةً على تصرفاتهن بسبب الخجل .

سارة بنبرة ساخرة : لم تعجبني تلك الفتاة أبداً ، فهي تظن نفسها مهمةً لأن لديها بعض المال ،

ولكن أخبريني هل ستحضرون حفل زفافها ؟

أميرة : سيذهب والداي ، سيأتي عامر لأخذهم بسيارته ، أما أنا سأجلس في البيت .

سارة تضحك قائلةً : من حسن حظك أنها ستتزوج ، وإلا لن
تستطيعي العيش معها في نفس المنزل .
أميرة تحبس ضحكتها قائلةً : لا تقولي ذلك ، ففي النهاية هي أخت
عامر .
سارة تضرب بيدها على قدمها قائلةً : يالِ هذا العامر الذي جعلك
تحبين كل شيءٍ يتعلق به .
أميرة تضحك من تصرفات سارة .
نظرت سارة إلى ساعة الحائط فوجدت أن الوقت قد حان للذهاب
فجمعت كتبها و ودعت أميرة وعادت إلى البيت .

مرت أربعة أيام ومروان ينظر لساعته ، يعد الثواني والدقائق
منتظراً اللحظة التي سيرى فيها سارة ويعرف ردها ، عاد إلى البيت
في الثامنة مساءً ليرتاح استعداداً للغد .
مروان يتفاجأ ويسلم عليها قائلاً : أهلاً بك ، متى جئتِ .
ريما بفرحة : جئت اليوم في الصباح .
حميد : اليوم كان آخر يومٍ في امتحانات نصف العام ، لذلك سنذهب
غداً لبيت أخي كما وعدته وأخبرت ريما لكي تأتي معنا .
ريم بفرحة : وأنا أريد أن آتي معكم .
حميد : سنذهب كلنا إن شاء الله ، وإن وافقت فعلى بركة الله وإن لم
توافق ... سكت وهو ينظر لمروان .
مروان شاردٌ ومبتسم .

ريما تضحك قائلةً : لم أصدقكم عندما أخبرتموني ، وها أنا الآن أرى بعيني .

تتدخل ريم قائلةً : يجب أن توافق ، إنظروا لحاله كيف أصبح هائماً منذ أن رآها .

مريم تسكتها قائلةً : عيبٌ عليك يا ريم ، لا تتدخلِي بكلامٍ أكبر منكِ .

ريم هزت راسها حسناً : وقالت في نفسها : يجب أن توافق على زواجها من مروان وإن اضطررت للحديث معها وإقناعها بنفسِي .

في بيت علي ..

سارة في غرفتها جالسةً على الأرض شاردةً ومهمومة وفي الطرف الآخر من الغرفة إياد وأيمن يلعبان ببعض الحصى وقطعة نقدية معدنية .

أسماء وقفت في باب الغرفة وقالت : إياد ، أيمن ، لمَ لا تذهبان للنوم ؟

إياد بترجي : أمي ، هذا الأسبوع عطلة دعينا نلعب .

تركتهما أسماء و دخلت ، جلست بجانب سارة ثم قالت لها : مابكِ يا

ابنتي ؟ هل مازلتِ تفكرين بموضوع مروان ؟

سارة تتنهد قائلةً : أنا لا أستطيع أن أوافق عليه .

إياد وأيمن يضحكان ويلعبان بتلك الحصى ، وصوتهما مرتفع .

أسماء بأسلوبها الرقيق : إحسمي الأمر يا ابنتي فلم يعد هناك وقتٌ

أكثر ، ربما يأتون غداً أو بعد غد .

سارة تضرب بيديها على الأرض : أعرف يا أمي وهذا ما يزعجني

أسماء تخاطبها بهدوء : هل تريدان أن نتحدثي معه ؟

سارة ترد بسرعة : لا ، لا أريد حتى رؤيته .

أسماء : ولكن لماذا ؟ ربما يساعدك الحديث معه على اتخاذ القرار .

سارة بنبرة غضب : لا أريد ، لأن حياتي ستكون سيئةً معه .

أسماء بتعجب : كيف تحكمين على حياتك معه بهذه الطريقة .

أيمن يصرخ بصوتٍ مرتفع : لقد حذرت ، هيا إرمها من جديد .

إياد رمى العملة النقدية وغطاها بيده وأيمن يقول له : سأختار

النقش .

سارة تصرخ قائلةً : إخرجا من غرفتي أريد أن أرتاح .

إياد يرفع يده عن العملة قائلاً : لم تحزر هذه المرة ، وأخذنا أشياءهما

وخرجا .

أسماء راقبتهمما ثم التفت نحو سارة وقالت : يا ابنتي ، الحياة مثل تلك العملة النقدية لا تقع كل مرةٍ على نفس الوجه ، هناك السيء وهناك الجيد أيضاً ، فلا تحكمي على حياتك معه بالسوء فمن يدري

ربما تصبح حياتك معه أفضل بكثيرٍ مما تتخيلين .

سارة تمسك برأسها : أرجوك يا أمي ، أصبح رأسي يؤلمني ، لم

أعد أريد الحديث ، سأنام .

أسماء تغلق الموضوع قائلةً : حسناً ، تصبحين على خير .

كانت سارة تحاول النوم ولكن الحيرة والقلق يمنعانها ، تضع نفسها

في الأمر الواقع ، تحاول خلق فرصةٍ للموافقة ، لكنها لا تجد تلك

الفرصة ، ظلت تفكر حتى تسلل النوم إلى عينيها المرهقتين ونامت

في صباح اليوم التالي

نهضت أسماء باكراً ورتبت البيت وخبزت كعك الضيافة لكي يكون كل شيء جاهزاً عند وصول حميد وعائلته ، حتى علي لم يذهب للعمل لكي يستقبلهم .

إياد رجع من البقالة محملاً بأكياس الخضار والفواكه .

أسماء تمسح على رأس إياد قائلاً : أثبتت لي أنه يمكنني الاعتماد عليك .

علي يذهب باتجاه غرفة سارة قائلاً : هل استيقظت سارة ؟

أسماء توقفه وتهمس له : دعها تواصل النوم ، فهي لم تنم طوال الليل .

علي : حسناً ، ولكن ربما يصلون في أي وقت .

أسماء براحة بال : لا تكن مستعجلاً ، الوقت مازال باكراً .

علي يضحك قائلاً : كما تريدين ، أنا سأجلس على السطح قليلاً .

استيقظت سارة ورتبت غرفتها وعندما نظرت للساعة ، سعدت راكضةً إلى المطبخ لتساعد والدتها في تحضير الطعام للغداء .

كان علي جالساً على السطح يتأمل الجو ثم نظر باتجاه الطريق وراء حميد وعائلته ، فدخل مسرعاً وهو يقول : هاقد وصلوا سأنزل لاستقبالهم .

استقبلهم علي وسلم عليهم برحابةٍ ومحبةٍ وبادلوه السلام ومدوا له الهدايا ودخلوا إلى المجلس ليرتاحوا .

علي يخاطب ريماً قائلاً : لم أصدق أنه أصبح لديك طفلين ، ولكن أين هما ؟

ريم : تركتهما عند جدتهما لتعتني بهما في غيابي .

نزلت أسماء من المطبخ لتسلم عليهم أما سارة فظلت في المطبخ بحجة تجهيز الغداء ولم تستطع النزول للترحيب بهم لكي لا تتواجه مع مروان ، وهروباً من أسئلتهم .

صعدت ريم إلى المطبخ لتسلم على سارة من دون أن تفتح لها موضوع الخطوبة .

أسماء تأخذ أطباق الطعام وتنزلها فساعدتها ريم بذلك أما سارة رفضت حتى أن تنزل لتتغدى معهم .

أسماء : خذي الخبز والحقي بي لتتغدى معاً .

سارة تتهرب قائلةً : لست جائعةً يا أمي ، سأجلس هنا وأغسل تلك الصحون بينما تتغدون .

أسماء تعاتبها : عيبٌ عليكِ يا ابنتي ، أنتِ حتى لم تسلمي على عمك وعمتك ، كما أن ريماً تريد أن تراكِ .

سارة تهز رأسها بالنفي وتعقد حاجبيها رافضة .

فهمت ريم من تصرفات سارة أنها غير موافقة على خطوبتها من مروان فتدخلت قائلةً : دعيكِ منها يا عمتي ، أنا سأنزل الخبز وأعود لأتغدى معها في المطبخ .

نزلت أسماء فلاحظ علي أن سارة ليست وراءها فأشر لها بيده : أين هي ؟

أسماء تهز له رأسها بالنفي وترفع كتفها .

علي ينظر نحو الضيوف بابتسامةٍ مصطنعة : تفضلوا بالأكل .
فهم حميد الموضوع وقال : لا عليك يا أخي ، أظنها ليست من نصيبه .

رنت تلك الجملة في مسمع مروان فأمسكته غصّةٍ منعته من الكلام
وهو يحاول أن يبتسم ويتماسك أمامهم .

علي يبرر لهم الموقف : نحن لم نعرف قرارها بعد ، لذلك باشروا
بالأكل وسنتحدث بعد الغداء .

ريم تركت الخبز على السفرة وهمت بالذهاب .

مريم : أين تذهبين يا ابنتي؟

ريم بأدب : سارة في المطبخ لذلك سأذهب إليها وأتغدى معها .

مريم : حسناً يا ابنتي إذهبي إليها .

في المطبخ

سارة تجبر نفسها على الأكل أمام ريم وهي ساكنة لا تقول شيئاً .

ريم تفتح الموضوع قائلةً : مابك؟ هل أنت غاضبةٌ من أخي؟

سارة نظرت إليها قائلةً : نعم ، وأنا لا أريده .

ريم تتفاجأ من إصرار سارة : ولكن لماذا؟ إنه يحبك بصدق وأنا

متأكدةٌ من ذلك .

سارة تترك الخبز من يدها في الصحن و تتوقف عن الأكل ثم
نظرت في وجه ريم وقالت : وكأنك لا تعرفين أخوك ، وكيف كان

ذلك اليوم جالساَ لوحده على السطح وتصرفاته الغريبة تلك ،
وتريدين أن أتزوج منه ؟

ريم تترك الطعام من يدها وتمسك سارة من كتفها وتهزها قائلةً : لقد
وعدت نفسي أن أتدخل في هذا الموضوع رغم أنه لا يخصني
وسأفعل ذلك .

سارة تنفض عنها يد ريم ثم وقفت قائلةً : أنتِ لن تغيري قراري
مهما فعلتِ .

ريم تقف أمامها قائلةً : أنا لن أفعل شيئاً ولكن سأقول لكِ هذا الكلام
ويجب أن تركزي معي ،

أنتِ رأيتِ تصرفاته الغريبة وجلوسه وحيداً ولكن هل فكرتِ ماسبب
ذلك ؟

سارة غير مبالية .

ريم توجه سبابتها نحو سارة قائلةً : أنتِ السبب في ذلك يا سارة ،
وهل تذكرين أنني قلت لكِ أن تصرفاته أقلقنتني وذلك لأنه على غير
عادته ، فهو مرحٌ ولطيف وليس كما تظنين ، ثم إنه كان قادراً على
إخبارك بمشاعره في أي لحظة و وجهاً لوجه ولكن هذا ليس من
طباعه ،

تنهدت وأخذت نفساً لتواصل الحديث : كتم مشاعره عن الجميع
وكان يتهرب لكي لا يعرف أحدٌ أنه يحبك ، ولكي لا يعتقد أحدٌ أن
هناك شيئاً بينكما ، وهذا بسبب احترامه لكِ وخوفه على مشاعركِ .

تفاجأت سارة بذلك الكلام ، ولكنها لم تبدِ أي اهتمام ولم تقل شيئاً .

أمسكت ريم بكتف سارة قائلةً : أخي مجنونٌ بكِ ولا يريد غيرك ،
هل تدركين معنى الحب يا سارة ؟

أقسم لك أنه سيجعلك ملكة على قلبه ، فهذا أخي وأنا أعرفه .
سكنت سارة ولم تستطع قول شيء ، واكتفت فقط بنظرات
الإستغراب تجاه ريم .

ريم : لا تستعربي منه ، فقد أخبرني بلسانه أنه في حال رفضته لن
يتزوج فتاة غيرك أبداً .

في المجلس

علي يأكل وهو يفكر كيف يخرج من هذا الموقف الذي أخرجته أمام
أخيه ، ثم تذكر كلام زوجته أسماء حين قالت له بالأمس : يجب أن
يتحدث مروان معها بنفسه ويقنعها بطريقته ، فأنت لا تريد أن ترد
طلب أخيك وقد وقف بجانبك في محنتك ، وإن نجح مروان بإقناعها
تكون فرحةً للكل وإن لم يستطع إقناعها فسيترك أنها لا تريده
ويتوقف عن طلبها ، وبذلك تكون أنت بعيداً عن قراراتهما أمام
أخيك .

انتهوا من تناول الطعام

ونهضوا واحداً تلو الآخر يغسلون أيديهم ، نهض مروان متجها
لوعاء الماء حتى يغسل يديه .

نظر علي لمروان وقال له : يا بني نحن لم نستطع إقناعها لتوافق
عليك ، ولكن الأمر أصبح بيدك الآن فاذهب إليها وتحدث معها
بنفسك فأنت ابن عمها ولست غريباً عنا .

لمعت عينا مروان وابتسم قلبه الذي كان قد فقد الأمل برؤيتها من
جديد ، نظر في وجه عمه وهو مستغرب وليس مصدقاً ما يدور من
حوله ، ثم نظر باتجاه والده الذي هز رأسه بالموافقة .

أسماء : إنها في المطبخ مع ريم ، اذهب إليها .

علي يخاطب حميد : لن يتغير شيءٌ بيننا أياً كان قرارهما ،
فبالنهاية نحن أهل وسنظل كذلك .

مروان لم السفره بما فيها من أطباق وحملها ذاهباً إلى المطبخ ،
صعد الدرج وهو يسعل لكي تنتبه لوجوده .

سارة أنزلت ثوبها المشمّر وأسدت أكامها ولفت حجابها .

ريم : يبدو أنه مروان .

دخل مروان إلى المطبخ و قال : السلام عليكم ، ثم وضع السفره من
يده على الأرض و وقف في باب المطبخ .

ريم ردت عليه السلام بينما سارة أدارت وجهها عنه وأخذت بعض
الأطباق لتغسلها ، وهي تظنه سيذهب .

مروان بنبرة هادئة : أتيت لأن عمي طلب أن أتحدث معك بنفسي .

سارة تلفت إليه متفاجئةً وبغضب : لا أريد أن أتحدث مع أحد .

ريم ابتسمت من قرار عمها وقالت بفرحة : حسناً أنا ذاهبة .

ذهبت ريم على الفور وكلها أمل أن تقتنع سارة بهذه الخطوبة .

سارة بغضب : اذهب أنت أيضاً .

مروان واقفٌ في الباب يسألها : ماالسبب الذي يمنعك من الموافقة ؟

سارة تشغل نفسها بالأطباق وهي تقول بنبرة غضب : لا أريد

الزواج ، هيا اذهب ..

يقاطعها مروان قائلاً : لن أذهب من هنا إلا بسببٍ مقنع ، ثم اتكأ

على الجدار و وضع يداً على يد قائلاً : هيا أخبريني فأنا أسمع .

سارة ترش الصابون في الماء : لست مجبرةً على إخبارك بشيء .

مروان يسرد أسئلته بنبرة وجع : مالعيب الذي فيّ حتى لا توافقني عليّ ؟ ما الشيء الذي لم يعجبك فيّ حتى تصري على الرفض ؟ ما الذي يجعلك تكرهيني إلى هذا الحد ؟ فقط أجيبيني .

سارة بردت يداها المغموستان في الماء ولم تجد إجابةً على أسئلته . أما هو فيستمر في الحديث قائلاً : أنا أحببتك بصدق ومن أول مرة رأيتك فيها ، فلا تكوني عنيدة ، أجيبني فقط على أسئلتني وأعدك أنني سأذهب و لن أقول كلمةً أخرى .

سارة تفكر ولا تدري كيف تقنعه ، تقول في نفسها : يبدو صادقاً بحبه لي ، ثم تفكر : لا أريد أن أتزوج ، وبعد لحظة صمتٍ وتفكيرٍ قررت ثم قالت بإصرار : أريد أن أكمل دراستي وأسعى لتحقيق حلمي .

مروان بإصرار : ستكملين دراستكِ وسأسعى معكِ لتحقيق ماتريدين .

سارة تحاول أن لا تنتظر نهايته وقالت بتردد : أغلق هذا الموضوع فأنا لا أريد الحديث .

كتم تنهيدته ثم قال بحزن : ها أنا ذا أقول لك ، سأبذل كل جهدي لإسعادك ، سأكون معك دائماً ، وسأقدمك على كل أولوياتي ، إن امتلكت كنوز الدنيا سأعطيك إياها وإن امتلكت قطعة خبز سأعطيها .

سارة تخرج يديها من المغسلة وتمسح عنهما الصابون وتخرج مسرعةً نحو السطح وقد أثر فيها كلام مروان كثيراً ، وقفت وهي تقول في نفسها : معه حق ، ليس لدي إجاباتٍ مقنعةً أما هو فيتكلم من أعماق قلبه ،

نزلت دمعتها فحاولت إخفاءها .

مروان لاحظ عليها الحزن وقال بقلق : أنا لا أريد أن أزعجك ، ولا أريد أن تكوني مجبرةً على شيء ، أريد فقط أن تقنعيني بسبب واضح لأذهب ، أو أن تقبلي طلبي برضى وقناعة .

في تلك اللحظة سعدت أسماء قائلةً : هل توصلتما لحل ؟

سارة تنهار بالبكاء وتجلس على الأرض وهي تحاول مسح دموعها وقد ترك كلام مروان وقعاً في قلبها إضافةً إلى كلام ريم عنه .

أسماء : مابك يا ابنتي ؟ لماذا تبكين ؟

سارة لم تستطع قول شيءٍ فهناك شيءٌ يخنقها ويمنعها عن الكلام ، شعورٌ سيءٌ وجميلٌ بنفس الوقت ، شعورٌ جعل قلبها يرجف ويدها ترتعشان .

مروان شعر بالأسف لأنه تسبب بحزنها وقال ذاهباً : أنا آسف .

سارة تمسح دموعها وتنطق بصعوبة : أنا موافقة .

التفت مروان وهو لا يصدق ما يسمع فوجدها تهز رأسها بالموافقة .

أسماء بفرحة : ولكن لماذا تبكين ؟

مروان بأسف : بسببي ، أثقلت عليها بالحديث .

وقفت سارة وذهبت نازلةً إلى غرفتها .

مروان جلس على سطح المنزل متكئاً على الجدار تحت ظل الشجر والفرحة تغمره ،

أخرج من جيبه علبةً صغيرةً وفتحها ليرى الخاتم الذي اشتراه للخطوبة ، وابتسم قائلاً في نفسه : لقد حرمت نفسي من أبسط

الأشياء لكي أستطيع شراء هذا الخاتم ، صحيح أنه ليس غالياً جداً ولكن ستزيد قيمته عندما يكون في إصبعها .

أما أسماء فقد نزلت لتخبرهم بموافقة سارة .

فرح الكل بهذا الخبر وباركوا لبعضهم البعض وقرأوا الفاتحة .

حميد بفرحة : ولكن أين هما ؟

أسماء : سارة في غرفتها ، ومروان سيجلس قليلاً على السطح .

نهضت ريما بفضول : أنا سأذهب لأرى سارة .

دخلت ريما إلى غرفة سارة قائلةً : أين هذه الفتاة التي جننت أخي ؟

وقفت سارة بخجل وهي تمسح مابقي من دموعها وسلمت على ريما

ثم دخلت ريم راكضةً نحو سارة وضممتها قائلةً : شكراً لك .

ريما بفضول : على ماذا تشكرينها ؟

ريم تتلبدك قائلةً : لأنها ستعيش معنا .

ريما تخاطب سارة بابتسامة : هيا يا عزيزتي ، بدلي ملابسك

وادخلي لنجلس معهم .

سارة بخجل : حسناً سأبدل ملابسني وأتي .

في المجلس

حميد يمسك كتف علي قائلاً : أريد أن أخبرك بشيء .

علي باستغراب : تفضل يا أخي ، ماذا تريد ؟

حميد : بشأن المال الذي اقترضته مني سأزيدك مبلغاً آخر ليكون

مهراً للعروس ، وسنتفق على بقية التفاصيل في وقت لاحق .

علي بفرحة : فرج الله همك يا أخي ، فقد كنت قلقاً بشأن هذا الدين ،
وكنت أخشى أن لا أستطيع رده .

حميد بيتسم قائلاً : لا تقلق واحمد الله على فضله ، فالله لا ينسى أحداً

علي حمد الله ثم قال : اليوم أصبحت الفرحة فرحتين بالنسبة لي .
نزل مروان والفرحة تملأ قلبه والبسمة على وجهه ، و في يده العلبة
التي تحوي الخاتم فأعطها لأمه .

بارك له الجميع وجلس معهم ، وبينما هم يتحدثون ، فجأةً ، دخلت
سارة كالبرد في تمامه بثوبها الجديد الطويل تجره وراءها بكل
انسياب و يلف رأسها حجابٌ مطرز كأن لفاته بتلات وردة تكاد
تتفتح ، أسرت بطلتها الأنيقة قلوب الحاضرين وخفق لها قلب
مروان في جوفه .

سلمت على عمها وعمتها وجلست بجانب أمها بكل خجل ،
أخرجت مريم الخاتم و أشرت بيدها لسارة لكي تأتي إليها قائلةً :
تعالى إلى هنا .

قامت سارة من مكانها ثم جلست أمام عمتها وكلها خجل .

مريم تمسك يد سارة وتلبسها الخاتم في إصبعها قائلةً : الخاتم
مناسبٌ لمقاس إصبعها ، ثم التفتت نحو سارة وقالت : مبروكٌ عليك
يا ابنتي .

سارة تزداد خجلاً وأصبح لون خديها أحمر ، ومروان يسترق النظر
إليها ويراقب يدها التي أصبحت كملكة متوجة بخاتم الخطوبة .

ثم أخرجت مريم من حقيبة يدها زجاجة عطرٍ صغيرة وأعطتها
لسارة قائلةً : هذا العطر اختاره مروان ، لا أدري إن كان سيعجبك .

أخذت سارة زجاجة العطر الذي فاحت منه رائحة الفل وابتسمت
بخجل قائلةً : شكراً .

جلس الجميع وتبادلوا الأحاديث حتى بدأت الشمس تودع النهار ،
ذهب حميد وعائلته والفرحة تغمرهم ، استرق مروان نظرةً أخيرة
في وجه سارة رسم من خلالها نظرتها الخجولة وابتسامتها الرقيقة
ليتذكرها بها في فترة غيابه .

أما سارة فقد ذهبت إلى غرفتها بعد رحيلهم لتعيد أحداث هذا اليوم
الطويل ، فتحت زجاجة العطر واشتمت رائحتها الجميلة الأسرة ،
وضعت القليل من العطر على يدها وأغلقت الزجاجة ، ثم شردت
وهي تنظر لذلك الخاتم في إصبعها قائلةً في نفسها : اشترى الخاتم
وكان متأكداً من أنني سأوافق ، لم يفقد أمله بي ،

ثم قالت تعاتب نفسها : ماذا فعلتِ يا سارة كنتِ ستكسرين قلباً من
ذهب !

طرقت أسماء الباب لتنبه سارة ودخلت مع علي ثم قالت : مابك يا
ابنتي ؟

سارة بنبرة تعب : لا شيء ، أنا متعبةٌ وأريد أن انام .

علي : هل أزعجك قراري عندما تركت مروان يتحدث معك بنفسه .

سارة بخجل : لا يا أبي .

علي يبرر لها موقفه قائلاً : أنا فعلت ذلك لكي لا أشعر بالإحراج
أمام أخي ، وشرح لها قصة الأرضية والمال الذي اقترضه من
حميد

تفاجأت سارة بذلك ولكنه أكمل قائلاً : لقد فعلتِ الصواب بموافقتك
عليه .

سارة تطأطئ رأسها بخجل : المهم أنك راضٍ عني يا أبي .

أسماء : لقد تأخر الوقت لنذهب للنوم .

سارة : تصبحون على خير .

علي وأسماء : تصبحين بخير .

عم الهدوء في كل أنحاء الحي ، وذهب الناس إلى وسائدهم ،
ليرتاحوا.

في اليوم التالي

سارة في غرفتها تنثر كتبها على الأرض لتذاكر .

وقف علي في باب الغرفة : ألن تشربي الشاي معنا ؟

سارة بابتسامة : لا يا أبي ، سأراجع بعض الدروس .

ذهب علي إلى المجلس لكي يشرب الشاي ، أما أسماء دخلت إلى
غرفة سارة لتجلس معها قليلاً .

أسماء بفرحة : الحمد لله أنكِ قبلتِ طلب مروان ، فقد كان قلبي
يتقطع عليه كلما رأيته حزيناً .

سارة ترفع كتفها بابتسامة : لا أدري كيف حصل ذلك ولكن ...

تقاطعها أمها قائلةً : المهم أنه حصل وقبلتِ ،

إنه خيرٌ لكِ يا ابنتي ، عندما تحصلين على شابٍ كهذا يجب عليكِ
أن تتمسكي به ولا تفلتيه من يدكٍ مهما كانت الظروف .

سارة بحيرة : ماذا تقصدين يا أمي ؟

أسماء : إنه يملك قلباً حنوناً ، ومن يملك هذا القلب سيغنيك عن كل كنوز الدنيا حتى ولو لم يملك شيئاً ، وأن يشتري لك السعادة على حساب وجعه أفضل من أن يشتري لك الحزن بالمال ...

يقاطعها صوت طرقٍ على باب المنزل .

ذهبت أسماء لتفتح الباب .

أسماء بابتسامة : أهلاً بكِ يا ابنتي ، تفضلي بالدخول .

أميرة تسلم عليها وتقبلها على رأسها ثم سألتها : أين سارة ؟

أسماء : في غرفتها ، إذهبي إليها وأنا سأحضر الضيافة .

دخلت أميرة فركضت سارة باتجاهها والفرحة تملأ وجهها فضمتها ترحيباً بها وطلبت منها الجلوس .

دخلت أسماء بصحن الكعك والحلوى وكأسين من العصير ووضعتهم أمامها وقالت : تفضلاً ، أنا سأذهب للمجلس .

سارة : حفظك الله يا أمي .

خرجت أسماء فانتمضت أميرة من مكانها وقالت بفضولٍ كلاماً متتالياً : أنتِ تبدين سعيدة ، أخبريني ماذا حصل ؟

لم أستطع المجيء بالأمس لأن والداي ذهبا لحضور حفل زفاف رانيا .

سارة وضعت كتبها جانباً وقالت بابتسامة : يبدو أننا لن نذاكر اليوم أيضاً .

أميرة بعجلةٍ من أمرها : هيا أخبريني لقد نفذ صبري .

سارة بابتسامة : لقد وافقت على الخطوبة ، ثم أرتها الخاتم في يدها .

أميرة بفرحة : مبروكٌ عليك يا صديقتي ، لقد أفرحني هذا الخبر .

سارة بمزحة : أنت سعيدة بموافقتي وكأنك أنت من تقدمت لي .
أميرة تضحك قائلةً : أنا فقط أحب لك الخير ، توقفت عن الضحك ثم
قالت : ألم تكوني غاضبةً منه ، أريد أن أعرف كيف تغير قرارك
بهذه السرعة ؟

سارة بخجل : لقد فكرت جيداً ، ثم أن ريم أوضحت لي بعض
الأمور ، وكلام مروان كان

قاطعتها أميرة بشهقة فرح : تكلمت مع مروان !؟ أريد أن أعرف
القصة كاملةً .

أخبرتها سارة القصة من بدايتها

تأثرت أميرة بالقصة قائلةً : عظيم يا صديقتي ، هذا هو الحب
الحقيقي .

سارة تنتهد قائلةً : لا أدري كيف تحول إصراري وعنادي فجأة إلى
رضي و قبول ؟

لقد كان كلامه صادقاً ، لقد لامست كلماته قلبي ، وأحسست أنني
أنكسر أمامه .

أميرة براحة : لا تستغربي يا صديقتي ، فما يخرج من القلب يقع في
القلب .

سارة : معك حق .

في تلك اللحظة رن هاتف أميرة في حقيبتها فأخرجته وهي تذهب
مسرعةً باتجاه النافذة ،

ردت على الإتصال : أهلاً .

على الجانب الآخر قال عامر : كيف حالك ؟

أميرة بابتسامة : الحمد لله .

رأت سارة أن أميرة مشغولة فسحبت كتبها وبدأت تبحث عن دروسها .

عامر بفضول : أين أنتِ الآن ؟

أميرة تجيب قائلةً : أنا في بيت صديقتي ، جئت لأذاكر

يقاطعها عامر بنبرة غضب : أين ؟

أميرة باستغراب وتوتر : في بيت صديقتي سارة .

عامر بنفس النبرة : كيف تخرجين من دون إذني ؟

أميرة تفاجأت وقالت بتوتر : ولكن والداي يعرفان أنني أتيت إلى هنا .

عامر انتبه على طريقة كلامه معها و عدل أسلوبه قائلاً : كنت أقصد أنني أقلق عليكِ عندما تخرجين لوحداك ، لذلك يجب أن تخبريني عندما تريدين الذهاب لأي مكان ، فقط لأطمئن عليكِ .

أميرة باستغرابٍ وارتباكٍ : حسناً .

عامر : مع السلامة ، ولا تتأخري في العودة إلى المنزل .

أميرة : حاضر ، مع السلامة .

أغلق الخط فعادت لمكانها وهي مذهولةٌ من كلام عامر معها .

سارة : مابك ، لقد اختفتِ ابتسامتك ؟

أميرة قالت بنبرة قلق : يبدو أنه كان غاضباً ، ثم كتمت توترها قائلةً : لنعد للمذاكرة .

مر الوقت و أوشكت الشمس على المغيب .

ذهبت أميرة والقلق بادٍ على وجهها ، وصلت إلى البيت وعندما
رأت أهلها جالسين ألقّت عليهم التحية واتجهت نحو غرفتها بحجة
المذاكرة ،

فتحت خزانها لتأخذ ثوبها فلفتت نظرها تلك الهدايا وزجاجات
العطر والساعات ، تنهدت ثم قالت في نفسها : لقد فاجأني بتلك
النبرة التي تحدث بها معي ، أنا لم أتوقع أنه سيغضب من أمرٍ بسيطٍ
كهذا .

بينما هي تفكر يفزها صوت الهاتف الذي يرن ، فركضت نحوه
بسرعةٍ لترد عليه .

عامر بنبرةٍ عادية : مساء الخير .

أميرة يرتعش صوتها بسبب الخوف : مساء النور .

عامر : مال صوتك يرتعش هكذا ؟ هل أنت في غرفتك ؟

أميرة : نعم .

عامر : هل أخفتك عندما تحدثت معك بغضب .

أميرة تستحضر شجاعتها قائلةً : أنا لم أكن أعرف أنه يجب علي
أخذ الإذن منك عند الخروج من المنزل .

عامر يكتم الغضب قائلاً : بلى يا عزيزتي ، من الآن فصاعداً لن
تذهبي لأي مكانٍ دون علمي .

أميرة تحاول أن تقنعه بوجهة نظرها : ولكنني أخذ الإذن من والديّ
فأنا مازلت أعيش معهما ...

يقاطعها عامر بنبرة غضب : من دون لكن ، هذا آخر ما لدي ،
وأنهى كلامه قائلاً : تصبحين على خير

ثم قطع الإتصال بكبسة زر ولم يسمح لها بقول كلمةٍ أخرى .
تفاجأت أميرة من تصرفات عامر وشعرت بالحزن والذل فذهبت
لسريرها وغطت وجهها بالوسادة محاولة إخفاء دموعها ،
تفكر في نفسها أنها ربما لحظة غضب وسيتغير بعدها ، ولحظةً
تدور في رأسها احتمالات أنه ربما يكون هذا أسلوبه المعتاد .

ظلت أميرة في حيرةٍ من أمرها تقول في نفسها : كيف سأعيش معه
إن كان هذا هو أسلوبه ، أنا لم أعتد أن يرفض أحدٌ طلبي وها أنا
اليوم أشعر بالإنكسار أمام أوامره ، أنا التي يبتسم الجميع في وجهي
فكيف سأتعامل مع غضبه ؟

تراجع حساباتها ثم تقول في نفسها : لا لا ، إنه لا يبخل معي بشيء
، ويعطيني كل ما أحب ، أنا أظلمه بتصرفاتي ، هو يخشى عليّ
بسبب حبه لي .

مر اليوم ومر الأسبوع ، وعاد الطلاب للمدرسة وعادت طالبات
الثانوية لدوامهن .

مرت الأيام والليالي وكان للفرح وللحزن نصيبٌ في حياة أميرة و
سارة .

فمرةً تتصالح أميرة مع عامر ومرةً يجرحها بغضبه على أمورٍ هي
تعدها تافهة ، ولكن في النهاية يرضيها بالورد والهدايا كلما جاء
لزيارتها .

أما سارة فقد كانت زيارات مروان لها قليلةً ولكنه كان يقدم لها كل
ما يستطيع تقديمه من هدايا وكان يحاول جاهداً أن لا يجرحها

بكلامه وتصرفاته ، رغم ذلك كانت تشعر بالحزن أحياناً بسبب حال مروان .

في بيت عامر

عمر جاهزٌ للخروج من البيت ، قبّل يد والدته قائلاً : مع السلامة .

كريمة : إلى أين يا بني ؟

عمر باحترام : والد صديقي مريضٌ منذ أيام ، لذلك سأذهب لزيارته لأطمئن عليه ، فقد أخبروني اليوم في المدرسة أنه يحتاج لإجراء عملية وسيأخذونه إلى المستشفى ، وسيذهب طلاب الصف الثاني الثانوي كلهم لزيارته .

عامر نزل على الدرج بكل كبرياء وأناقة ، وسمع كلام أخيه عمر ونظر إليه نظرة غضب قائلاً : مازلت تصاحب ذلك الشاب وتريد أيضاً الذهاب لبيته ؟

عمر : ولكن يا أخي أبوه مريض جداً ولا يمكنني التخلي عنه في وقت كهذا .

عامر بغضب : ألم أقل لك من قبل أن تبتعد عنه ، ذلك الفتى ليس من مستوانا ولا أريد أن أسمعك ...

قاطعته أمه قائلةً : كيف تهتم لمستواه ولا تهتم لحاله وحال والده المريض .

عامر يبصر لها ويؤشر بيده : ابنك هذا ، هو أخ عامر ، كيف تريدين منه أن يذهب لبيت خياط الأحذية ذاك ؟

وقفت أمه بغضبٍ قائلةً : خياط الأحذية هذا قد يكون أفضل منك بأخلاقه وليس بماله .

غضب عامر من كلام أمه قائلاً : أنتِ تشجعينه ، وأخرج مفاتيح
سيارته وذهب خارجاً .

عمر واقفٌ باشمئزازٍ من كلام أخيه .

كريمة تمسح على رأس عمر قائلةً : دعك منه يا ولدي فقد أعماه
ثراؤه حتى نسي الأخلاق تماماً ،

ثم جلست على الكرسي قائلةً : الصديق الحقيقي يقف مع صديقه
مهما كان ، بغض النظر عن طبقاتهم .

عمر بحزن : إن لم أكن أعرف هذا الفتى جيداً لما وقفت معه ، إنه
وفيّ رغم ظروفه ، وكريمٌ رغم حاجته ، ألا يستحق أن نتعاون معه
؟

كريمة فتحت حقيبتها و أخرجت بعض المال وأعطته لعمر قائلةً :
خذ هذا المال وأعطه لصديقك عسى أن يساعدهم .

شكر عمر والدته وذهب لزيارة صديقه .

مرت الأيام ، وكلما ذهب يومٌ اقتربت طالبات الثانوية من نهاية
العام الدراسي .

في ممر المدرسة

هيام بفرحة : صباح الخير يا عزيزاتي .

صديقاتها : صباح النور .

سارة بفضول : تبدين سعيدةً اليوم ، أخبرينا .

هيام تضحك قائلةً : أنا فقط متفائلةٌ لأننا سننهي مشوارنا قريباً
وسنرتاح من كلمة مذاكرة .

أميرة بحزن : وما المضحك في الأمر ؟ هذه الأسابيع الأخيرة لنا
قبل اختبارات نهاية العام .

سارة بنبرة حزن : معها حق ، فعندما نكمل المشوار فيها لن نلتقي
بكن من جديد .

مارية تنهدت قائلة : ستمضي كل واحدةٍ في طريقها ...

تقاطعها مروة قائلةً : هناك من ستتزوج ، وهناك من ستخطب ،
وهناك من ستذهب للجامعة .

بثينة تحبس حزنها وتقول : من يدري هل ستجمعنا الأيام مرةً أخرى
أم لا ؟

هيام جلست على الأرض بحزن : معكن حق ، لقد أشعرتني كلامكن
بالحزن ، فعندما لا نذهب للمدرسة سنظل في البيت للعمل والملل ،
ولن نستطيع أن نعرف أخبار بعضنا البعض .

أميرة تنهدت قائلةً : كل يومٍ يمضي لن يعود أبداً ، وكل يومٍ سنعيشه
في هذه المدرسة سيصبح مجرد ذكرى .

مارية تجلس بجانب هيام قائلةً : هل سنتذكر بعضنا طوال العمر ؟
فكل من سبقتنا في هذه المدرسة تقول أن الحظات التي نعيشها في
أيام الدراسة لا تتكرر أبداً .

أميرة : حتى أختي ملاك قالت ذلك ، و منذ أن خرجت من المدرسة
وهي تعيد لي نفس الكلام .

سارة تحاول إخراجهن من هذا الحزن : هل سنضيع ما بقي لدينا
بالحسرة على مافات ؟

مروة توافقها الرأي : معك حق ، لنحاول أن نعيش ما بقي لنا في هذا
المكان بسعادةٍ ومحبة .

أميرة تتفائل قائلةً : لنصنع ذكرياتنا الجميلة حتى تظل في ذاكرتنا طوال العمر .

هيام تقف وتحاول ضمهن مرةً واحدة وقالت : أنتن أفضل صديقاتٍ عرفتهن في حياتي .

جاءت المعلمة سماح ونظرت إليهن بتعجب : مالذي يجري هنا ؟ هيام : نحن نودع بعضنا فهذا آخر عامٍ لنا في هذا المكان .

المعلمة : أليس لي نصيبٌ من هذا الوداع ؟
سارة بفرحة : بلى ، فأنتِ أمنا الثانية .

ضمتهن المعلمة قائلةً : أنتن بناتي ، وسأشتاق لكن دائماً ، ثم قالت محاولةً تلطيف الموقف : والآن اذهبن لفصلكن قبل أن يرن الجرس ، فهذه مدرسة وليست بيت عزاء .

ضحكت الطالبات وتوجهن لفصلهن لتبدأ الحصة الأولى .

وبعد نهاية الدوام خرج المعلم من الفصل ، فسارعت الطالبات لوضع كتبهن في الحقائب استعداداً للذهاب .

وقفت هيام قائلةً : قبل أن تذهبن أريد أن أقول شيئاً .

توقفت الطالبات باستغرابٍ لسماع هيام .

هيام : ما رأيكن أن تحضر كل واحدةٍ منا شيئاً للأكل غداً و نجتمع كلنا في الفسحة لنأكل معاً .

حبذت أغلب الطالبات تلك الفكرة واتفقن على ذلك فقررت كل واحدةٍ منهن أن تحضر شيئاً .

عادت الطالبات إلى منازلهن ،

وصلت سارة إلى البيت متعبةً من حرّ الشمس وبدلت ملابسها
وساعدت أمها في بقية التجهيزات للغداء .

وبعد أن تغدوا ذهب كلُّ من الأولاد و سارة للمذاكرة وجلس علي
وأسماء في المجلس لشرب الشاي والتحدث .

طرق بيده على الباب وهو يلهث من التعب والحر .

أخرج علي رأسه من النافذة ليرى من الطارق ، فتفاجأ قائلاً :
مروان ؟

أدخل رأسه من النافذة وقال ذاهباً : سأفتح الباب لمروان .

رن اسمه في أذن سارة التي تلبكت و أسرعت بترتيب الغرفة و
وضعت الكتب بطريقةٍ منظمة و أغلقت باب الغرفة لتبديل ملابسها .

دخل علي إلى المجلس و مروان وراءه ، سلم على عمته وجلس
ليرتاح .

علي : مالذي جاء بك في هذا الوقت بين أشعة الشمس الحارقة ؟

لمّ لم تأتِ باكراً لتتغدى معنا ؟

أسماء تمد له كوب الماء قائلةً : هل تغديت يا بني ؟

مروان بابتسامةٍ هز رأسه بالنفي وشرب الماء .

علي : أحضري له شيئاً يأكله .

ذهبت أسماء إلى المطبخ و جلس علي مع مروان ثم سأله : لماذا

تأخرت في المجيء ؟

مروان بابتسامة : لم يكن لدي أي أعمال اليوم والمعهد كان مغلقاً ،
فذهبت مع أصدقائي لنتمشى قليلاً ، ثم واصلت الطريق حتى
وصلت إلى هنا .

جاءت أسماء و وضعت أمامه الطعام ليأكل ثم ذهبت مسرعة إلى
غرفة سارة .

تطرق باب الغرفة .

سارة تلبكت : من يطرق الباب ؟

أسماء بهمس : أنا ، إفتحي لي .

فتحت لأمها الباب وقد لبست ثوباً أنيقاً وهي تجهز الحجاب المناسب
لثوبها .

أسماء بابتسامة : لقد سبقتي ، جئت لأقول لك أن تبدي ثيابك .

سارة تنظر في المرأة وهي تلف الحجاب قائلة : أعرف ذلك ، لهذا
سبقتك ، ابتسمت ثم وضعت القليل من الكحل في عينيها كعادتها
ورشت العطر على ملابسها وأصبحت جاهزة .

أسماء : مروان لم يتغدى بعد لذلك أحضرت له الغداء ، ومن العيب
أن نتركه لوحده ، لذلك إذهبي وتغدي معه .

سارة باستغراب : ولكنني تغديت حتى شبعت .

أسماء : أعرف ذلك ، حتى وإن شبعت إجلسي بجانبه وكلي معه ولو
لقمة صغيرة ، هذا واجبك يا ابنتي .

سارة أنصتت لكلام والدتها ودخلت إلى المجلس ، ألقّت التحية على
مروان وجلست على مائدة الطعام وهي مبتسمة ، فاحت منها
رائحة الفل ، وشغلت قلب مروان الذي كان يسترق النظر إليها بينما
تمد يدها في الصحن لتشاركه الأكل .

علي يعرف أن شوق مروان هو الذي جاء به وليس الصدفة ، لذلك قرر أن يعطيها فرصة ليتحدثا فقال : أنا سأذهب إلى السطح لأشتم بعض الهواء .

أسماء فهمت تصرف علي وقالت ذاهبةً : سأرى إن كان إياد وأيمن يذاكران .

عندما خرجا شعرت سارة بالخجل والتوتر .

مروان لاحظ عليها ذلك وقال : كيف حالكِ ؟

سارة بنبرة خجل : الحمد لله .

مروان انتهى من الأكل ثم قال لها : أحب رائحة هذا العطر ، وأحبه أكثر عندما يفوح منك .

سارة نظرت إلى الأرض من شدة الخجل ولم تستطع أن ترد على كلامه .

مروان يحاول أن يضحكها لتنسى خجلها فقال : هل عليّ أن آخذ الأطباق إلى المطبخ في كل مرةٍ آتي إلى هنا .

ضحكت سارة ثم أمسكت الصحن قائلةً : لا ، أنا سأأخذها .

مروان يمسك الصحن ليوقفها ثم ضحك قائلاً : أنا أمزح فحسب ، إتركي الأطباق أريد أن أقول لك شيئاً .

استغربت سارة وقالت : ماذا ؟

اتكأ مروان و أخرج من جيبه علبةً مغلقةً ، مدها لسارة قائلاً : هذه الهدية لك .

فتحتها سارة وفيها ساعة يد جميلة ، ابتسمت وقالت بخجل : شكراً لك .

مروان : أنتِ تستحقين أكثر من ذلك ، ثم مد لها كيساً من الحلوى
والمكسرات ، أخذته منه وهي ساكتةٌ ولا تدري كيف تشكره ، ثم
حاولت تغيير الموضوع قائلةً : لماذا جئت في هذا الوقت بين هذا
الحرّ ؟

مروان بابتسامة حبٍ صادقة : كنت سأتي باكراً ولكن تأخرت لأنني
جئت مشياً.

سارة بقلق : لماذا لم تأخذ سيارةً لتوصلك ؟

مروان : اشتقت لرؤيتك فقررت المجيء إليك ، و المال الذي كنت
سأدفعه لأجرة السيارة اشتريت به بعض الأشياء .

شعرت سارة بالأسى عليه وكيف أن شوقه لها جاء به بين حر
الشمس مشياً على الأقدام .

أكمل مروان بشوق : أنا أدخر المال وأبذل كل جهدي لكي أجمع
تكاليف الزواج ، فأنا أنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر .

سارة شعرت بالحزن تجاهه وظلت ساكتة .

مروان بفضول ألن تجربي الساعة .

هزت رأسها بالموافقة وأخرجت الساعة لتلبسها ، حاولت أن تغلقها
ولكنها لم تستطع ، ظل مروان يتأمل محاولاتها الفاشلة بصمت ،
ولم يجد نفسه إلا وقد أمسك يدها ، فقال : دعيني أساعدك .

انصدمت سارة وشعرت بالتوتر ، ولكنه ألبسها الساعة بابتسامةٍ
وهدوء .

سارة تنظر للساعة في يدها بسعادة .

الفصل الخامس

عاد علي وأسماء إلى المجلس فأخذت أسماء صحن الطعام لتذهب به إلى المطبخ .

قامت سارة من مكانها بسرعة وأخذت الصحن من أمها قائلةً : أنا سأأخذه .

أسماء : لا تنسي أن تحضري الضيافة

ذهبت سارة إلى المطبخ وهي مبتسمة تنظر لتلك الساعة في يدها قائلةً : ذوقه جميل وحسه مرهف .

عادت إليهم بصحن الكعك و أكواب العصير وجلست معهم ، مر الوقت بسرعة ، وبينما هم يتحدثون نظر مروان في ساعته ثم وقف وقال : عليّ الذهاب .

علي : لم العجلة يا بني ؟ إجلس قليلاً بعد .

مروان يسلم عليهم قائلاً : أشكرك يا عم ، يجب أن أذهب .

ألقي التحية على سارة وغادر .

أدركت سارة أنه مستعجل لأنه سيذهب مشياً كما أتى ، و ذهبت لغرفتها لكي تراه ، ظلت تراقبه حتى غاب عن ناظريها وشردت تفكر فيه ، ثم تذكرت شيئاً وضربت خديها بيديها قائلةً : لقد نسيت أمر صديقتي ولم أجهز شيئاً للغد .

خرجت سارة من غرفتها تركض نحو المطبخ ، فوجدت أمها .

أسماء باستغراب : مابك يا ابنتي ؟

سارة تبحث بين الصحون قائلةً : لقد اتفقت مع صديقتي أننا سنحضر غداً أنواعاً من الطعام لنتشاركه معاً ولكنني نسيت ذلك تماماً .

أسماء تهدها قائلةً : لا عليكِ أنا سأساعدكِ ، ولكن أولاً إذهبي لتبديل ملابسكِ .

سارة تنظر لثيابها وقالت : لم أنتبه لذلك ، سأعود سريعاً .

تعاونت سارة مع أمها وصنعت الكعك و جهزته لكي تأخذه في الصباح .

في اليوم التالي

سارة في الطريق كعادتها تنتظر أميرة ، وعندما وصلت سألتها : هل أحضرت الخبز بالجبن كما وعدتني .

أميرة : نعم ، لقد صنعته أُمي من أجلكِ ، وأرتها الكيس المليء بالخبز .

سارة بسعادة : سيكون هذا اليوم مميزاً في المدرسة .

أميرة وافقتها الرأي .

سارة ترفع كم عباءتها قليلاً وتقول بنبرة سعادة : إنظري لساعتي .

أميرة بفرحة : إنها جميلة ، هل أعطاك إياها مروان ؟
سارة بفرحة : نعم ، ثم نظرت ليد أميرة قائلةً : ولكن لماذا لا ترتدين
ساعتك أو خاتمك .

أميرة تضحك قائلةً : أغار عليهما من الهواء .
سارة تلطمها على كتفها : قولي الحقيقة ، بدون هذا اللف والدوران ،
فمنذ خطوبتك لم أرى على يدك شيئاً .

أميرة تنتهد بسخرية : لأن خاتمي ثمين وثقيل وساعاتي باهضة
الثلث ، حتى السوار ، إنه يشتري لي أشياءً غاليةً وقيمةً ولكنني لا
أحب أن ارتديها ولا أحب أن أتفاخر بهذه المجوهرات .

سارة : لكنها جميلة وهي مقياس محبة عامر لك .
أميرة تضحك قائلةً : أنا لا أريد ارتدائها والخروج بها ، فأجد نفسي
كما قال المثل : أرخص مما أرتدي ، ثم إنك تعرفين الوضع في
المدرسة إن ارتديت شيئاً ستصبح عيون الناس كلها عليّ كأنني
بهلوانٌ في سيرك .

ضحكت سارة من كلام أميرة قائلةً : بذلك معكِ حق .
ابتسمت أميرة و أكملت الحديث قائلةً : أحب الأشياء البسيطة ،
فالبساطة جمال ، إنظري ليدك كيف تبدو جميلةً بهذا الخاتم الرقيق
والساعة الأنيقة .

سارة باستغراب : عجيبٌ أمرك يا صديقتي ، تملكين خاتماً باهضاً
ولكنكِ معجبةٌ بالخاتم الصغير .

تنهدت أميرة قائلةً : الأمر لا يتعلق بالخاتم ، إنه يتعلق بعامر ،
أحسه أحياناً يعطيني بدافع الفخر وليس بدافع الحب ، يغرقني بهدايا
أنا في غنى عنها ، وفجأةً يغضب مني بسبب أمورٍ تافهه ،

نظرت في وجه سارة وقالت : أنا لم أعد أفهم تصرفاته ، أحس أنني أخطأت عندما وافقت عليه .

انصدمت سارة من هذا الكلام : مالذي تقولينه ؟ ألم تكوني مجنوناً بحبه قبل أيام ؟

أميرة تحبس بكائها قائلةً : أنا جادةٌ في كلامي ، فهو يتعامل معي بماله وليس بمشاعره ، ولكن الشيء الذي لا أفهمه هو سبب اختياره لي ، ما السبب الذي جعله يختارني من بين كل الفتيات إن لم يكن الحب ؟

سارة تحاول تهدئتها : لاتفكري هكذا ، ربما يكون ظنك به سوء فهمٍ لا أكثر .

أميرة : أتمنى لو أن ما تقولينه صحيح .

وصلتا إلى المدرسة فوجدن كل واحدةٍ من صديقاتهن تحمل كيساً من الطعام ، منهن من أعدت المعجنات ومنهن من أحضرت العصير والفسار وهناك من أعدت الكعك بالتمر ، ومن أحضرت الحلوى و البسكويت .

المعلمة سماح رأت الطالبات يحملن أكياس الطعام فاقتربت وسألتهن : ماذا لدينا اليوم .

هيام بفرحة : سنجتمع كلنا في الفسحة لنأكل معاً وهذا سيصنع لنا ذكرياتٍ جميلة .

أميرة تخاطب المعلمة : وأنتِ أيضاً ستأتين معنا .

المعلمة : لمَ لم تخبرنني لأحضر شيئاً معي ؟

سارة : ليس عليكِ إحضار شيء ، فحضوركِ أنتِ كافٍ بالنسبة لنا .

المعلمة : إذاً بما أنه لدي الحصة الرابعة سنأخذها مع الفسحة لنتسلى أكثر ويكون وقتنا أطول .

هيام بفرحة : فكرة رائعة .

أميرة لما لا نخبر بقية المعلمات ليشاركنا .

المعلمة : أنا سأتولى ذلك .

تحمست الطالبات لهذه اللحظة واتجهن إلى فصلهن للدراسة ، وعندما دق جرس الفسحة ، انتفضت الطالبات من أماكنهن ورتبن الكراسي لتصبح كالمطالعة الكبيرة ، ثم وضعن الأكل عليها بترتيب وقسمن أنواع الطعام على كل الجوانب وجلسن مع المعلمات وتشاركن الأكل والحديث ، وعندما انتهين جمعن المخلفات ورتبن المكان ،

قامت بعض الطالبات للعب وبدأن يركضن بين الكراسي فتحول الفصل إلى ساحة لعب ومرح إلى أن دق الجرس معلناً بداية الحصة الخامسة .

استمتعت الطالبات بوقتهن في هذا اليوم ورجعن إلى منازلهن والإبتسامة تعلو وجوههن .

وصلت أميرة إلى البيت وعندما دخلت ، رأت الكآبة والهم في وجه والديها ، فقالت باستغرابٍ وقلق : ماذا حدث هنا .

أحمد جالسٌ على الكرسي بحزن ويده على خده التفت إليها وقال : سأغلق المحل .

أميرة بقلق : لماذا يا أبي ؟

إيمان بحزن : الأثاث لم يعد صالحاً للبيع .

أحمد يكمل قائلاً : كان بعض الأثاث والمفروشات موضوعاً في
المخزن وعندما جئت اليوم لأخرجه رأيت أن الفران قد مزقته من
كل جانب وقضت كل قطعة في ذلك المخزن ،

سكت قليلاً ثم قال بحزن وهو يضرب رأسه بيده : لقد خسرت كل
شيء ، لقد ضاع مالي وانتهت تجارتي .

أميرة جلست بحزن وشعرت بحجم المصيبة فبدأت دموعها
بالجريان .

إيمان تمسح على ظهره قائلةً : لا تدمر نفسك ، سيعوضنا الله ، بع
ما بقي لديك من الأثاث في المحل إلى أن يفرجها الله .

أحمد بنبرة قهر : لم أتوقع أن يحدث ذلك ، والآن كيف سأعيد
ماضاع مني ؟ حتى العامل الذي استأجرته لم أدفع له أجرته بعد ،
سأغلق ولن أبيع شيئاً بعد اليوم حتى أفكر في حلٍ للمشكلة .

ظل الحزن مسيطراً عليهم ، حتى الغداء لم يأكلوه ، ذهبت أميرة
لغرفتها وكلها حزنٌ لما أصاب والدها ، رمت الكتب على الأرض ،
فتحت خزانها وبعثرت ثيابها لتبذل ملابس المدرسة .

استمروا على هذا الحال بضعة أيام ، انتشر الخبر في المنطقة وبدأ
الناس يقولون أن تاجر المفروشات قد أفلس .

أنور أخبر صديقه عامر بالقصة ، فما كان من عامر إلا أن أخذ
بعض المال واشترى بعض قطع الأثاث وذهب إليهم .

وصل عامر بسيارته و تمشي وراءه شاحنةٌ محملةٌ بالمفروشات
والأثاث ، انصدمت أميرة مما ترى .

تفاجأ أحمد وإيمان من ذلك .

أخذ عامر أحمد معه ليريه الطريق إلى المحل وعندما وصلا أنزل الحمولة هناك فساعدته بعض الناس لإدخال البضائع إلى الداخل .

عامر : لم تخبرني بموضوع المحل يا عمي ؟

أحمد شعر بالإحراج من تصرف عامر وقال : لم يكن هناك داعٍ يا بني ، كنت سأتدبر أمري بنفسني .

عامر بابتسامة : أنت الآن بمقام والدي ومن واجبي الوقوف معك بمحنتك .

أحمد بخجل : أشكرك يا بني ، وسأرد لك هذا الدين .

عامر بلباقة : لا لن ترد لي شيئاً ، أريد منك فقط أن تهتم بإعادة المحل كما كان ، فلا تردني خائباً .

أحمد بابتسامة تقدير : شكراً لك يا بني ، أنت نعم الولد ونعم السند ، هيا لنعد إلى المنزل لكي نجلس قليلاً .

عامر بابتسامة : لا تشكرني فهذا واجبي .

عاد أحمد مع صهره عامر إلى البيت وقدموا له الضيافة وجلسوا لشرب الشاي معاً .

كانت أميرة مذهولةً من تصرفه و وقوفه مع والدها ولكنها لم تبدي أي ردة فعل ، إلى أن حان وقت ذهاب عامر ، ودعهم ونظر باتجاه أميرة نظرةً لم تستطع أن تفسرها ، ثم ذهب .

وفي المساء قبل أن تخذ أميرة للنوم ، اتصل بها ...

عامر بنبرة غضب : لماذا لم تخبريني بقصة محل والدك ، هل يسعدك أن أعرف ذلك من الناس ؟

أميرة تتبلك قائلةً : لم أشأ أن أزعجك بهذا الأمر ...

يقاطعها عامر : أنت تزعجيني فعلاً بهذا الكتمان ، قلت لك مائة مرة أخبريني بكل شيء يدور حولك .

أميرة : ولكن أبي قال إنه سيتصرف بنفسه بخصوص المحل .
عامر بنفس النبيرة : أنا الآن واحدٌ من عائلتكم ، وما يخصكم
يخصني ،

ثم قال بهدوء : فكري كيف عادت البسمة إلى وجه والدك اليوم
عندما امتلأ محله من جديد .

أميرة بأسف : كنت حزينة عليه ولم أدري ماذا أفعل لكي أساعده .
عامر : ليس عليك مساعدته بنفسك ، ولكن يجب عليك طلب
المساعدة مني وسأتي على الفور .

أميرة تحاول مسايرته : عموماً أشكرك على مساعدتك .

عامر بنبرة رضى : لاشكر على واجب ، تصبحين على خير .
أميرة : وأنت بخير .

رمت الهاتف على سريرها وجلست على الأرض تفكر قائلةً في
نفسها : لا أدري ما وراءك يا عامر ، فقلبي يخبرني أنك لم تفعل
ذلك ليرضى والدي فحسب ، احترت في أمرك ولم أعد أعرف
الصواب من الخطأ.

تنهدت قائلةً : أنا لم أكن أريدك أن تعرف لكي لا نشعرنا بالإهانة
عندما تقدم لنا المساعدة ، ولكنك فعلت ، وإن لم تقلها الآن سنقولها
مع مرور الوقت .

بعد عدة أيام

في بيت عامر ، الكل جاهز والبيت مرتب ورائحة البخور تفوح في أرجاء المنزل .

أريج بفرحة : يجب أن تكون الضيافة جاهزة ، وهذه الورد سنضعها هنا ، وتلك الـ ...

يقاطعها عمر : أنت متشوقة وكأنهم سيأتون لخطبتك .

أريج بنبرة سخرية : لن يخطبني أحد فأنا سأدخل الجامعة قريباً ولا أريد الزواج ،

ثم أكملت بفرحة : ولكن عندما تصل أختي رانيا ستحب هذا الترتيب المنظم وخاصةً أمام أسرة زوجها .

كريمة بابتسامة : كل شيء أصبح جاهز يا ابنتي ، لا داعي للمبالغة أكثر .

عمر يضحك قائلاً : جنون العظمة أصاب ابنتيك يا أمي .

أريج تضحك قائلةً : أما أنت فسيصيبك جنون البقر .

عمر ينفجر من الضحك : سمعتِ ماقلت يا أمي ؟

كريمة : إهدأ أنتما الإثنان ، ثم لفت انتباهها الأطباق على الطاولة فقالت باستغراب : هل هذه الأطباق جديدة ؟

أريج بفخر : نعم يا أمي اشتريتهم بالأمس من أجل الضيافة .

كريمة متفاجئة : ولكننا نملك الكثير من الأطباق ، فلما عسك تشترين ؟

عمر يتدخل قائلاً : من أجل التفاخر أمام الناس .

أريج تضع سبابتها على فمها لتسكته ، ثم قالت : تلك الأطباق أصبحت قديمةً يا أمي ، ثم إن هذه تبدو أجمل على الطاولة وهذا سيسعد رانيا كثيراً وستفتخر بي .

كريمة بغضب : لقد أصبحت المظاهر تهكم أكثر من الأخلاق ، ومنذ متى بدأتِ تفكرين مثل رانيا ؟
سكتت أريج وهي تشعر بالذنب .

فقالت لها أمها : يا ابنتي ، أفضل لي أن أستقبل الضيف بصحنٍ قديمٍ وابتسامةٍ نابغةٍ من القلب على أن أتكلف هذه الأشياء ويشعر ضيفي بالثقل أمامي .

أريج تقبل أمها قائلةً : أنا آسفة ، افتقدت أختي لذلك فكرت أن أستقبلها بهذه الطريقة .

كريمة تضمها قائلةً : لا عليكِ يا ابنتي ، ولكن اجعلي كلامي كالحلق في إذنك ، فأسلوبكِ وتعاملك مع الناس هو ما يجعلك محبوباً ، وليس المال والمظاهر التي يقطعها صوت جرس الباب .

عمر يذهب قائلاً : أنا سأفتح .

وصلت رانيا مع زوجها وأسرته فرحبوا بهم أفضل ترحيب .

تفاجأت رانيا من منظر البيت وشعرت بالسعادة والفخر ، سلمت على أمها وقبلتها على رأسها ، ثم ضمت أختها أريج وهمست في أذنها قائلةً : أشرك على هذا الترتيب .

ابتسمت أريج وقالت : اشتقت إليكِ يا أختي .

قدمت لهم كريمة العصير و الكعك والمكسرات ...

فارس يتسائل : أين عامر ؟

كريمة : في المكتب ، سيعود في أي لحظة .

بينما هم يتحدثون وصل عامر ، دخل والبسمة على وجهه ورحب بهم .

جلس عامر وعمر مع فارس في المجلس ، أما النساء دخلن الغرفة المجاورة .

كانت أم فارس وأخواته الأربعة يتفرجن على تفاصيل المنزل ويهمزن لبعضهن ، فسألت أم فارس كريمة قائلةً : متى ستزوجين عامر ؟

كريمة : هو لم يحدد بعد موعد زفافه .

أم فارس : أما زال خاطباً ؟

كريمة بابتسامة : نعم ، وربما يقرر الزواج فجأةً ، ولكن لماذا تسألين ؟

أم فارس بابتسامةٍ مصطنعة : لا شيء ، فقط نريد أن نتعرف على زوجته .

قدمت لهن أريج الشاي ، وعندما بدأن بشربه عمت لحظة سكوت أم فارس تفكر في نفسها قائلةً : لو لم يكن خاطباً لكنت أقنعتة أن يتزوج إحدى بناتي حتى ننعم بالثراء .

أخت فارس الكبيرة تفكر في نفسها : صحيحٌ أننا نملك الكثير ولكن ليس مثلهم ، فالبيت يبدو كالقصر بحجمه وأثاثه ، ليته تقدم لخطبتي ، كنت سأصبح ملكةً في هذا القصر .

رانيا لاحظت أنهن ينظرن للبيت وهي تقول في نفسها : هذا ما أريده ، يجب أن يعرفن أن مستوانا أعلى من مستواهن حتى لا يفكرن أبداً في التقليل من شأني .

ابتسمت كريمة وقالت : لما أنتن ساكتات ؟

أم فارس بابتسامه مصطنعة : كنت أتذوق الشاي إنه طيب ، ثم نظرت باتجاه أريج قائلةً : لو كان لدي ولدٌ آخر لخطبتك له لما تعدين من شاي .

نظرت أريج إليها وابتسمت بصعوبة : أمي هي التي أعدت الشاي . ضحكت أم فارس قائلةً : المهم أنه طيبٌ ولذيذ .

في المجلس

فارس يتسائل : كيف تجري أمور عمارتك الجديدة ؟

عامر بنبرة هادئة : جيدة ، ولكن أصبح العمل فيها متعباً .

فارس باستغراب : وما سبب ذلك ؟

عامر يشبك أصابعه قائلاً : لقد واجهت بعض المشاكل في مواد البناء وكنت على وشك إيقاف المشروع كاملاً ، ولكن أخبرني أنت مالجديد في عمالك ؟

فارس بابتسامه :أموري جيدة ، و أجني الكثير من المال .

عامر : ألم تتعب من عمالك في مجال النفط ؟

فارس : بالعكس أنا مرتاحٌ جداً في عملي .

مر الوقت بسرعةٍ بينما هم يتحدثون ، وعندما نظر فارس في ساعته نادى رانيا وأمه وأخواته ليذهبوا فطلبت منهم كريمة أن يكرروا الزيارة .

أم فارس : لا تقلقي يا عزيزتي سنزورك دائماً .

كريمة بابتسامة : أهلاً بكم في أي وقت .

ودعت رانيا أهلها وذهبت معهم .

جلست كريمة بجانب عامر قائلةً : مساء الخير يا ولدي .

عامر بابتسامة : مساء النور يا نور هذا البيت .

كريمة تتسائل : ألم تفكر بالزواج بعد ؟

عامر يضحك قائلاً : هل هذا ما يشغل بالك يا أمي ؟

كريمة متشوقة : نريد أن نحتفل ونفرح بك .

أريج : نعم يا أخي ، أريد أن تأتي أميرة بسرعة فقد مللت الجلوس

لوحدي في البيت بعد أن تزوجت رانيا .

عمر يتدخل قائلاً : وأنا ، هل نسيت وجودي ؟

عامر بابتسامة : لست مستعجلاً ، لدي بعض الأمور أريد إنجازها
أولاً ،

ثم التفت لأريج قائلاً : أما أنتِ ستدخلين الجامعة وستنشغلين
بالدراسة ولن تشعري بالملل ، وأريدك أن تكوني مجتهدةً وليس
كأختك رانيا تركت الجامعة من أول شهر .

كريمة : رانيا لم تكن تحب التعليم وهاهي تزوجت وتبدو سعيدةً
بحياتها .

أريج بثقة : لا تقلقوا ، أنا أحب الدراسة وسأجتهد وأحصل على
أعلى العلامات .

كريمة تخاطب عامر : ما أخبار أميرة وأهلها ؟

عامر يخرج هاتفه من جيبه واتصل على رقم أميرة قائلاً : بخير ،
تحدثني معها .

أميرة بهدوء : أهلاً .

كريمة بابتسامة : أهلاً بكِ يا ابنتي ، كيف حالكِ؟

أميرة بفرحة : الحمد لله ، كيف حالكِ أنتِ ؟

كريمة : أنا بخير ، أردت فقط أن أطمئن عليكِ .

أميرة بتقدير : شكراً لكِ .

كريمة : أوصلي سلامي لأمكِ .

أميرة : بكل سرور .

مدت كريمة الهاتف لعامر فأخذه وذهب ليواصل الحديث مع أميرة .

أريج بكسل : والآن علينا تنظيف البيت بأكمله ، أحياناً أتمنى لو لم

يكن بيتنا بهذا الحجم

عمر يضحك قائلاً : أين ذلك النشاط الذي كان قبل أن يأتي الضيوف

.

أريج بتذمر : الأمر مختلفٌ يا أخي .

عمر يمسك بطنه قائلاً : أنا جائعٌ يا أمي ، لقد بدأت معدتي تهضم

نفسها .

وقفت كريمة وهي تضحك قائلةً : ساعد العشاء حالاً .

في الجهة الأخرى .

عامر بهدوء : حماتكِ تحبكِ وتشتاق إليكِ .

أميرة تحاول إغاضته : هل تغار مني ؟

عامر : إن كانت حماتكِ فلا تنسي أنها أمي وهي تحبني أيضاً .

أميرة تضحك قائلةً : ولكن يبدو أنها تحبني أكثر منك .

عامر يغير الموضوع بسؤال : متى ستبدأ إختبارات نهاية العام .

أميرة باستغراب : ستبدأ بعد أسبوعين ، ولكن لماذا تسأل ؟

عامر : فقط أردت أن أعرف .

أميرة تنهدت قائلةً : لقد بذلت قصارى جهدي ، أكاد أجن من التوتر بسبب اقتراب موعد الإختبارات .

عامر يهدئها قائلاً : لا تقلقي ، لن يضيع جهدك سدىً .

أميرة ببراعة : هل ستقف إلى جانبي ؟

عامر يطمئنها : هذا أكيد ، أنا دائماً إلى جانبك ، وإن أنقصوا عليك علامةً واحدة سأهدم المدرسة بأكملها فوق رؤوسهم .

ضحكت أميرة قائلةً : لاداعي لهدم المدرسة ، فأنا واثقة من أن علاماتي ستكون ممتازة .

عامر يضحك قائلاً : كما تشاءين يا عزيزتي .

شعرت أميرة بالإطمئنان من كلام عامر فودعها وأغلق الهاتف ، ظلت أميرة تعيد التفكير بكلامه قائلةً في نفسها : إنه لطيف حقاً ولكنني أظلمه بتوقعاتي ، أحياناً يغضب ولكن من يدري فربما يواجه بعض المشاكل في عمله مما يجعله غاضباً ، ولكنه لطيف عندما يكون هادئاً .

في بيت حميد

قبل الذهاب إلى النوم

مريم ما رأيكم أن نذهب غداً لزيارة سارة و والديها ؟

مروان : لا يا أمي لن نذهب لزيارتهم .

حميد باستغراب : ولكن لماذا يا بني ؟

تدخلت ريم قائلةً : لماذا يا أخي ، ألم تكن أول من يفرح بزيارتهم .

مروان يشرح لهم : لم يبقى سوى أسبوعين لقدم إختبارات نهاية العام ، وهذه أصعب فترة تمر بها سارة وتحتاج كل دقيقة لتذاكر فيها ، لذلك لن نزيد من توترها بزيارتنا لها .

صفقت له ريم قائلةً : أنت عظيم يا أخي ، فكرت في همومها قبل التفكير بمشاعرك .

مروان يقرصها على أذنها ويضحك قائلاً : متتى سنتعلمين الكلام بأدب ؟

حميد : كنت قد نسيت أمر الإختبارات ، ولكن إن أردت سارة المساعدة في أي شيء فأنا موجود وسأخبر بعض المعلمين الذين أعرفهم ...

يقاطعه مروان : لا يا أبي ، لن تنجح سارة إلا بمجهودها ، ولن تقبل المساعدة من أحد .

حميد : كما تشاؤون ، ثم تذكر قائلاً : أخبرني عن هذا العمل الجديد الذي وجدته لك هشام .

مروان : هو في نفس المجال التجاري ولكن في منطقة أخرى بعيدة وأجره أكثر من عملي الحالي .

مريم : ولكن هل ستذهب إلى هناك حقاً ؟

مروان بتردد : أفكر بالذهاب لكي أجمع المال ، حتى أستطيع الزواج عند عودتي من هناك .

حميد يعاتبه : لماذا تتحمل مسؤولية زواجك بنفسك ، أنت ابني وأنا سأدعمك بكل شيء .

مروان باحترام : أعرف ذلك يا أبي ، وقد فعلت الكثير من أجلي ، وأنا الآن أريد أن أعتمد على نفسي ، وإن احتجت المساعدة لن أعود إلا إليك .

مريم بنبرة حزن : وفقك الله يا بني ، وأرجو أن نفرح بك قريباً .
مروان ذهب لغرفته وعاد يحمل كيساً صغيراً ثم جلس أمام والديه ومد لهما الكيس قائلاً : هذه النقود التي جمعتها من عملي احتفظا بها إلى أن أعود .

شعرت ريم بالحزن على أخيها ولكنها لم تبدي ذلك .

مريم بحزن : هل أنت مصرٌّ على الذهاب إلى هناك ؟

مروان بإصرار : نعم يا أمي فليس هناك حلٌّ آخر أمامي ، وقد عزمت على الذهاب غداً .

حميد يتسائل : لماذا لا يذهب هشام إلى هناك .

مروان : تلك المنطقة بعيدة ولا يستطيع هشام الذهاب و ترك والدته وأخته وحيدتين ، لذلك طلب مني الذهاب .

مريم شاردةٌ والحزن بادٍ على وجهها .

حميد يخاطب مريم : لا تحزني عليه ، إبنك لم يعد طفلاً ، لقد أصبح رجلاً ويريد الإعتماد على نفسه .

مريم تمسك يد مروان قائلةً : وكم ستغيب عنا ؟

مروان بابتسامةٍ مصطنعة : لا تقلقي يا أمي ، ربما أغيب عدة شهورٍ فقط وربما سنة .

مريم بقلق : سأعطيك بعض المال وربما تحتاجه في الطريق .

مروان يقبل رأس والدته قائلاً : لدي بعض المال بحوزتي ، وأحتاج منك الدعاء فقط .

ريم بفضول : ولكن ماذا عن الجامعة يا أخي ؟

مروان رد قائلاً : أخذت شهادةً من المعهد باللغة الإنجليزية ، وسأذكر في أوقات فراغي استعداداً لاختبار القبول ، وعندما أعود سأدخل الجامعة .

ظل مروان مصراً على قراره بالذهاب للعمل وفعل ذلك ، نهض في الصباح الباكر وقد حزم أمتعته وتجهز تماماً للذهاب ثم ودع أهله وقال لهم : عندما تنتهي سارة من إختباراتها إذهبوا لزيارتها وأخبروها أنني ذهبت للعمل ، ولا تنسوا أن تأخذوا لها هدية .

انطلق مروان نحو هدفه وجد سيارةً متجهةً إلى تلك المنطقة فصعد عليها .

واتباعاً لوصف هشام وصل مروان للمكان المطلوب ، ولكنه تفاجأ بتلك الحال التي وجد عليها المنطقة ،

فيها أحياء سكنية كثيرة ولكنها خاليةٌ من المحلات التجارية ولم يكن هناك سوى ذلك المحل الصغير في طرف حيٍ من تلك الأحياء ، توجه نحو ذلك المحل ، وعندما وصل إليه وجده مزدحماً بالمشتريين فجلس خارجاً إلى أن وجد الفرصة المناسبة للدخول .

الرجل العجوز : أهلاً يا بني ماذا تريد أن تشتري ؟

مروان بأدب : هل أنت صاحب المحل ياعم ؟

الرجل : نعم يا ولدي ، ماذا تريد ؟

مروان بابتسامة : لقد جئت لأعمل عندك في المحل .

الرجل ابتسم قائلاً : أهلاً بك ، تفضل بالجلوس .

أضاف مروان قائلاً : ولكني لا أرى المحل كبيراً لتحتاج لعاملٍ يساعذك .

الرجل : إرتح قليلاً بينما أبيع للزبائن ، وبعدها سنتكلم وسنفكر بالأمر .

جلس مروان ليرتاح قليلاً بينما يكمل الرجل عمله ، كان الرجل يبيع للناس وهو يراقب مروان ويتأمله جيداً ،

وعندما غابت الشمس وأغلق الرجل متجره ، طلب من مروان الدخول للعشاء معهم .

مروان بخجل : لا أستطيع الدخول ...

يقاطعه الرجل قائلاً : لا تستح يا بني ، لا يوجد أحدٌ سوى امرأتي العجوز وابني الصغير .

دخل مروان بكل أدب وجلس على مائدة الطعام ، أكل قليلاً وقام ، لم يستطع الجلوس أكثر بسبب خجله .

الرجل يخاطب زوجته : إعطي الشاي لضيفنا .

قدمت لهم المرأة الشاي وجلسوا للحديث مع مروان .

الرجل : أنت تبدو مؤدباً وأخلاقك حسنة ، وهذا ما جعلني أدخلك بيتي ، وقد قررت أن أجعلك تعمل عندي ، فأنا أعرف معادن الرجال .

مروان باحترام : شكراً لك يا عم ، ولكن لماذا لم توظف أحداً من سكان هذه المنطقة ؟

الرجل أخذ رشفةً من الشاي ثم قال : الناس هنا جاهلون لم يتعلموا ولم يشجعوا أولادهم على الذهاب للمدرسة ، وأنا أبحث عن شابٍ متعلم آمنه على حسابات المحل ويساعدني في توسيع تجارتي بينما يكبر إبني .

مروان نظر للولد الذي لا يتجاوز عمره الرابعة عشر ونظر للرجل العجوز .

ضحك الرجل قائلاً : تبدو على وجهك الريبة ، إنه ولد ابنتي الوحيدة ، تلك قصةٌ طويلة ، لكنها فقدت زوجها بحادث سيرٍ وهي حامل ، أما هي فقد ماتت عندما ولدته ، ولم يبق لنا غيره .

مروان شرب القليل من الشاي و ابتسم في وجه الولد وهو مشفقٌ عليه ، فبادله الولد الابتسامة .

الرجل يعود لموضوع العمل قائلاً : كنت قد وظفت أحد أبناء المنطقة ولكنه كان يسرقني ، ولم يحصل على محبة الزبائن بل كان يرفع أسعار البضائع ويغضبهم ، لذلك طردته .

مروان بإصرار : أعدك يا عم أن أكون محل ثقةٍ وأجعلك تفتخر بي .
الرجل بابتسامة : بورككت يا ولدي ، والآن يجب عليك أن ترتاح ، وغداً سأعلمك طريقة العمل ،

شرب آخر رشفة شاي ثم قال : لدي غرفةٌ صغيرةٌ في الخارج وبجانبها حمامٌ صغير ، ستمكث فيها طوال فترة عمالك .

مروان بأدب : حسناً يا عم .

نهض الرجل ونهض معه مروان فاتجها جارج المنزل .

أراه الرجل تلك الغرفة وعاد لمنزله .

المرأة : ارتحت لأسلوب هذا الشاب ، ورغم أنه غريبٌ إلا أنني أحسست كأنه واحدٌ منا .

الرجل : معك حق ، أنا أيضاً أحببته منذ دخوله المحل ، أدبه وأخلاقه تثبت أن أهله كرام .

نظر مروان للغرفة ولم تعجبه طريقة ترتيبها فرتبها ونظفها حتى أصبحت كما يحب أن تكون و وضع أشياءه بطريقةٍ منظمة ثم استلقى على الفراش و غط في نومٍ عميق .

في صباح اليوم التالي

استيقظ مروان بنشاطٍ وحيوية للبدء بالعمل وذهب مع الرجل إلى المحل ، وعندما وصلا إلى أمام المحل ..

الرجل يؤشر بيده و يشرح لمروان قائلاً : هنا سأبني محلاً أكبر من هذا بكثير ، وسأحول هذا المحل الصغير إلى مخزنٍ للبضائع وسيكون ملحقاً بالمحل الكبير .

مروان يهز رأسه بالفهم ، فأكمل الرجل قائلاً : لذلك سأعلمك كيف تدير المحل وكيف تتعامل مع الزبائن ، فعندما أنشغل ببناء المحل ستأخذ أنت مكاني في البيع .

مروان باحترامٍ و وقار : سأكون عند حسن ظنك .

الرجل بنبرة حزن : لقد وهبني الله الثروة والمال ، ولكن لم يعطني الأولاد .

مروان شعر بالأسى عليه وقال : يختار الله مايشاء ، ثم ضرب بيده على صدره بطريقة التحية قائلاً : ولكن لا تقلق سأكون لك مثل ابنك .

الرجل بابتسامة : بارك الله فيك يا بني .

دخلا إلى المحل وبدأ الرجل يشرح لمروان أسعار البضائع وأماكنها
ثم أخرج سجلاً وقال : هذا السجل فيه ديون الناس لي ، أنا لا
أستطيع القراءة أو الكتابة لذلك يكتبها لي ابني ، وأنت ستتأكد منها
بضمير فأنا لا أريد أن أظلم أحداً .

مروان أمسك السجل وقال : كن واثقاً من إخلاصي يا عم ، وإن
وجدت مني مایسيء ، فاطردني على الفور .

الرجل بابتسامة : لقد وضعت كامل ثقتي فيك ، وأعرف أنك لن
تخيب ظني ،

ثم أمسك بكتف مروان وهو يقول : ستعمل طوال النهار ولن ترتاح
سوى وقت تناول الطعام و سأعطيك أجرك كاملاً نهاية كل شهر
وكلما توسع العمل سأضاعف لك الأجر .

وافق مروان على شرط الرجل و بدأ العمل في أول يوم له إلى
جانب الرجل العجوز ، أبدى الرجل إعجابه بالطريقة التي يتعامل
بها مروان مع الزبائن وبالإبتسامة التي لا تفارق وجهه .

يوماً بعد يوم ازدادت ثقة الرجل بمروان وازداد حب الناس له لأنه
يستقبلهم بابتسامة ويتعامل معهم باحترام وبعد أيام قرر الرجل البدء
ببناء المحل الكبير .

غداً سيكون أول اختبارٍ لطلاب الصف الثالث الثانوي على مستوى
المناطق كلها ولم يعد يفصلهم عنه سوى ساعات ، كانت الطالبات
في حالٍ لا يُحسدن عليه من توترٍ وقلقٍ وخوفٍ .

سارة تجهز ملابس المدرسة وتضعها جانباً وتضع أقلامها
وقرطاسيتها في الحقيبة استعداداً للغد .

أسماء تراقبها بصمتٍ وهي تدور في أنحاء الغرفة من التوتر والقلق
وتسأل نفسها كالمجانين .

سارة تضع يديها على وجهها قائلةً : لا أدري كيف سيكون حالي
غداً ؟

هل سأستطيع الإجابة على كل الأسئلة ؟ يا ترى كيف هو حال أميرة
؟ هل هي مستعدة أم لا ..

تقاطعها أمها قائلةً : إهدئي يا ابنتي ، ستدمرين نفسك هكذا ، إنه
مجرد اختبار ، الأمر لا يستحق كل هذا القلق .

سارة تتوقف عن السير في الغرفة قائلةً : ليس مجرد اختبار ، هذا
حصيلة جهودنا و ثمرة مشوارنا طوال هذه السنين .

أسماء اقتربت منها وضممتها قائلةً : أعرف ذلك يا ابنتي ، أنتِ
تذاكرين طوال العام لذلك سيجزيك الله عن كل أتعابك فتوكلي على
الله ولا تقلقي ،

ثم مسحت على رأسها وقالت : تأكدي أننا راضون عنك مهما كانت
علاماتك .

شعرت سارة بالإطمئنان من كلام والدتها وهدأت أعصابها .

وفي الصباح الباكر استيقظت سارة وجهازت نفسها وذهبت وأمها
ترافقها بالدعاء ، انتظرت أميرة كعادتها وعندما جاءت ، بدأت كل
واحدةٍ منهن تسأل الأخرى ما إن كانت مستعدة أم لا ، وما إن
وصلن إلى المدرسة ..

مارية بقلق : هل حفظتن كل شيء .

سارة : لقد بذلت كل جهدي .

بثينة بتوتر : حفظت كل ما أستطيع حفظه ، وأرجو أن يكون سهلاً
كما نتوقعه .

هيام بتفاؤل : أنا بذلت جهدي ، وسأفعل ما بوسعي في الإجابة على
الإختبار و أنا راضيةٌ عن ذلك .

مروة بخوف : إن رسبت سيعاقبني أهلي ولن يسمحوا لي بالذهاب
إلى المدرسة مرةً أخرى .

أميرة تعترض على كلامها : لا تكوني متشائمة ، أنتي من الطالبات
المجتهدات فلا تضيعي فرصة النجاح بالخوف من الفشل .

دق الجرس معلناً التوجه إلى قاعات الإختبار ،

وزع المعلم الطالبات على مقاعدهن و وضع الأوراق مقلوبةً
أمامهن ، فبدأت أيديهن تتصبب عرقاً ، وقلوبهن ترجف من القلق ،
المعلم : لديكن ساعتين فقط للإجابة على كل الأسئلة ، الغش ممنوع
، وأي واحدةٍ تحاول أخذ الإجابات أو إعطاءها لأخرى سنلغي
إختبارهما معاً ، والآن اقلبن أوراقكن .

عندما قلبن الأوراق وقرأن الأسئلة ، شعرن بالطمأنينة ،

كانت الأسئلة صعبةً عند بعض الطالبات اللاتي لم يذاكرن جيداً ،
ولكنها كانت سهلةً بالنسبة لسارة وأميرة وصديقاتهن المجتهدات .

بعد انتهاء الوقت ..

خرجت هيام فوجدت صديقاتها بانتظارها ..

هيام بفرحة : كيف كان الإختبار ؟

مروة بتفاؤل : كان جيداً ، وأتمنى أن تكون بقية المواد كذلك .

بثينة بابتسامة : كان سهلاً وقد أجبت على كل الأسئلة .

مارية بمزحة : هل كانت إجاباتك صحيحة أم أنك فقط ملأت الورقة ؟

هيام تضحك قائلةً : أنا اخترعت لهم منهجاً جديداً بإجاباتي .

أميرة انصدمت وقالت : هذا يعني أنك لم تستطعي حله .

هيام تهز رأسها بالنفي وهي تضحك : لا تصدقي ، كنت أمزح فحسب .

سارة تلكمها على كتفها قائلةً : سنعرف من ستبكي عند طلوع النتائج .

هيام تضع يدها على أقلامها وتضحك قائلةً : أحلف بشرف الأقلام التي أجبت بها أن إجاباتي صحيحة .

ضحكت الطالبات ثم ودعن بعضهن ذاهبات على أمل أن يكون الإختبار القادم كسابقه .

وصلت أميرة إلى البيت متعبةً وتشعر بالنعاس لأنها لم تتم جيداً في الليل بسبب القلق .

إيمان تستقبلها في الباب : أهلاً بك يا ابنتي ، كيف كان اختبارك اليوم ؟

أميرة تتنأب قائلةً : كان جيداً ، ولكن أنا متعبة .

إيمان تمسك عنها الحقيبة : إذهبي إلى غرفتك لترتاحي بينما أجهز الغداء .

ذهبت أميرة إلى الغرفة واستلقت على سريرها وغطت بالنوم .

الهاتف يرن بجانبها ولكنها لا تسمعه ، يستمر الهاتف بالرنين
والإهتزاز ...

انتبهت أميرة وانتفضت من مكانها بوجل أخذت الهاتف وهي متلبكة
وما إن كبست زر الرد صرخ عامر بنبرة غضبٍ قائلاً : لماذا لا
تردين على اتصالاتي ؟ هل كنت نائمة ؟

أميرة بنعاس : نعم ، و لم أسمع الـ ...

يقاطعها عامر قائلاً : هكذا إذا تستهزئين بي ، أجيبيني أين كنتي ،
لماذا لم تردي على اتصالي ؟

أميرة بنبرة متعبة تتحدث وعيناها مغمضتين : عدت من المدرسة
وأنا أشعر بالتعب فنمت .

عامر باستغراب : هل كنتِ نائمةً حقاً ؟

أميرة تتنأب قائلةً : نعم .

عامر هداً من غضبه قائلاً : ظننت أنكِ تهزأين بي لأنني قلت لكِ ()
هل كنتِ نائمة) .

أميرة لا تركز على كلامه بسبب النعاس : ماذا قلت ؟

عامر يودعها قائلاً : لا شيء ، واصلي النوم وسأصل بكِ عندما
تستيقظين .

أميرة بعدم تركيز : تصبح على خير .

عامر يضحك قائلاً : وأنتِ بخير .

رمت أميرة الهاتف وعادت للنوم .

في بيت علي

أسماء تهزها قائلةً : سارة ، استيقضي يا ابنتي ، الساعة الثالثة
عصراً .

فتحت سارة عينيها منصدمةً ونفضت لحافها قائلةً : لقد نمت ولم
أشعر بالوقت .

أسماء تتسائل : هل لديك اختبارٌ غدا ؟

سارة ترتب فراشها : لا ، سيكون بعد غد .

أسماء : إذاً لا داعي لهذا التوتر لقد أصبحت تهملين نفسك كثيراً ،
إنظري كيف تبدين شاحبة .

سارة تنظر في المرآة قائلةً : عندما أنتهي من هذه الكتب سأفرغ
للاهتمام بنفسني .

أسماء بحنية : اذهبي لتناول غداك ، وبعدها ستعودين للمذاكرة ،
الصحة يا ابنتي مهمةٌ جداً للتركيز فالعقل السليم في الجسم السليم .
سارة تركت كل شيءٍ من يدها قائلةً : حسناً يا أمي .

ذهبت سارة لتناول الطعام في المطبخ وفي لحظة شرود أخذتها
أفكارها إلى مروان وتذكرت يوم خطوبتها منه ، وكلامه و طريقة
وقوفه في باب المطبخ ذلك اليوم ،

تنهدت قائلةً في نفسها : أين أنت ، وكيف هي أحوالك ؟ ومتى
سيكون لقاءنا القادم يا ترى ؟

ثم ابتسمت تفكر في نفسها : عندما يأتي لزيارتنا في المرة القادمة
سأطلب منه المجيء إلى المطبخ و الخروج إلى السطح ، حتى تعود
ذكريات ذلك اليوم .

فجأةً سمعت أخوها إياد يخاطبها : أنتِ تبترسين لوحدك مثل
المجانين .

سارة بانزعاج : اذهب من هنا والإ سأريك الجنون على أصوله .
إياد جلس بجانبها وهو يضحك قائلاً : سأتعدي معك لكي لا تكوني
مجنونةً ومتشردةً أيضاً .

سارة تلكمه قائلةً : كل وأنت ساكت ، قبل أن أدهن الطعام على
رأسك .

إياد بنبرة قلق : مابك يا أختي ، تبدين غاضبة ؟

سارة : لا شيء ، فقط أحتاج بعض الهدوء .

إياد بتفهم : حسناً ، لك ما تشائين .

كانت سارة تبذل مجهوداً كبيراً للحصول على افضل العلامات وفي
نفس الوقت تشعر بالقلق على مروان وتشتاق إليه ، وكان هو بدوره
يفكر طوال وقته فيها ويسعى جاهداً لجمع المال حتى يراها عروساً
تزف إليه عندما يعود ،

أما أميرة فكانت تحاول أن تضع تركيزها كاملاً على كتبها لتحقق
أعلى العلامات ، و رغم أنهم يعرفن تمام المعرفة أن شهادة الثانوية
هي آخر المطاف ولن يستطعن بعدها دخول الجامعة إلا أنهم يسعين
لأخذ تلك الشهادة بجدارة ،

كانت أميرة تشعر أحياناً بالإطمئنان من اتصالات عامر وأحياناً
يربكها ويوترها أكثر بتصرفاته وسرعة غضبه ، أما هو فقد كان
يخطط للمفاجأة الأكبر في حياة أميرة ،

أما صديقاتهن فلكل واحدةٍ منهن قصةٌ مع المذاكرة ، منهن من
تسعى وراء حلمٍ لتحقيقه ومنهن من تريد فقط أن ترتاح بعد هذا
التعب .

في اليوم التالي

تجمعت الطالبات في الممر قبل دخول القاعة ..

هيام بقلق : مروة ، مابك تبدين على غير عادتك ؟

تتدخل سارة قائلة : لا أظن أن هذا بسبب الإختبار ، يبدو أن هناك شيء آخر ؟

مروة جالسة على الأرض ويدها على خدها نظرت نحوهن وهي تحبس بكائها قائلة : لقد تقدم لخطبتي بالأمس شاب من الحي المجاور وأبي موافق عليه ،

ثم تقطع صوتها بالبكاء وهي تقول : أنا لا أريده ... ، ثم إنه ... يريد الزواج ... بعد آخر اختبار لي ... لم يعطوني حتى ... الفرصة لأفكر .. ولم يسألوني عن رأيي ... ولن يعطونني فرصة ... لأرتب أموري ... أو أركز على بقية المواد ... أنا حتى لم أستطع المذاكرة . جلست صديقاتها إلى جانبها يهدئنها ويساندنها ،

هيام بغضب : كيف يوافقون عليه بدون استشارتك ؟

مروة تنتهد ببكاء قائلة : إنهم يعرفونه ويحترمونه ، لذلك وافقوا من أول كلمة .

هيام تضمها قائلة : لا بأس عليك يا صديقتي ، حاولي أن تهدأي لتركزي على مابقي لديك من مواد .

تبتعد بعض الطالبات عدة خطوات عن مروة ليعبرن عن غضبهن

..

أميرة تستغرب بغضب : ماهاذا الشاب ؟ كيف يفكر بالخطبة وهو يعلم أنها تمر بأصعب اللحظات وتريد التركيز على اختباراتها ؟

مارية توافقها الرأي : معكِ حق ، ولكن لا أحد يهتم لمشاعر أحد .
سارة بتعاطف : سيؤثر هذا الموضوع على تركيزها وستقل علامتها

أميرة تكمل قائلةً : هي لا تستحق كل هذا ، مايجري معها أمرٌ
صعب وجاء في وقتٍ أصعب .

سارة بغضب : الأمر السيء أنها لا تريده .

مارية بنبرة حزن : والأسوأ أن زواجها بعد الإختبارات .

دق الجرس فاتجهت الطالبات إلى قاعات الإمتحان ...

بدأت الطالبات بالإجابة على الأسئلة و التركيز عليها ، أما مروة فقد
كانت محبطةً للغاية ولم تكن تريد حتى أن تنظر في ورقتها ، ولكنها
أجابت على الأسئلة بعشوائية ثم تركت الورقة وخرجت عائدةً إلى
المنزل .

عندما خرجت الطالبات لم يجدنها فشعرن بالأسى عليها ، ولكنهن
لن يستطعن فعل شيءٍ لمساعدتها ، واستمر هذا الوضع لعدة أيام ،
أصبحت مروة لا مبالية بما يدور حولها ، ضعف مستواها
وتركيها ، ولم تعد تذاكر استعداداً لاختباراتها القادمة بسبب
الإحباط ، أما أهلها فكانوا يرتبون لزفافها ويشترون الهدايا
والملابس غير أبهين بما تشعر به ابنتهم .

الفصل السادس

عادت أميرة من المدرسة متعبةً كعادتها ، فتح لها أخوها الباب
فدخلت ...

أميرة تجر حقيبتها وراءها : سأذهب إلى غرفتي لأرتاح قليلاً .

إيمان بابتسامة : كيف كان اختبار اليوم ؟

أميرة تتنأب قائلةً : جيدٌ يا أمي .

إيمان : كم بقي لديك من المواد ؟

أميرة ترفع إصبعيها قائلةً : مادتين ، وأرجو أن تكونا جيدتين
كسابقتهما .

إيمان مسحت على رأس أميرة وقالت : ارتاحي بينما يصل والدك
وأجهز الغداء .

ذهبت أميرة إلى غرفتها واستلقت على سريرها ممسكةً بالهاتف
تنتظر اتصال عامر مثل كل يوم .

رن الهاتف بيدها فابتسمت و ردت عليه قائلةً : أهلاً ، لقد كنت أنتظر اتصالك .

عامر ابتسم قائلاً : هل اشتقت لي ؟

أميرة تتلبك قائلةً : ليس هكذا ، أنا فقط سأنام .

عامر يراوغ قائلاً : هذا يعني أنك لن ترحبي بي عندما أصل .

انتفضت أميرة من مكانها بفرحة وركضت نحو النافذة : ماذا ؟ أين أنت ؟ هل ستأتي حقاً ؟

عامر بفرحة : لدي مفاجأة لك .

أميرة بفضول : أخبرني هيا .

عامر : دقائق وأكون عندكم .

نزلت أميرة تركض باتجاه المطبخ وتنادي بارتباك : أمي ، هل الغداء جاهز ؟ عامر سيصل في أي لحظة .

إيمان بابتسامة : أهلاً به ، كل شيء جاهز ، ننتظر فقط أن يصل والدك .

اطمأنت أميرة وعادت مسرعةً نحو غرفتها لتبديل ملابسها ، لبست أجمل ثيابها و لفت حجاباً أخضر على رأسها ورشّت عطرها ، لبست الخاتم والسوار الذي أهداها إياهم عامر ، فهي تلبسهم عندما يزورها فقط وتخبأهم بعد ذلك .

وصل عامر يحمل بيده بعض الهدايا ، استقبلته إيمان وابنها محمد

..

إيمان بابتسامة : تفضل يا بني ، اجلس مع محمد بينما يأتي عمك ، أنا سأذهب إلى المطبخ لإعداد السفرة .

نزلت أميرة على الدرج تجر فستانها الطويل بأكمامة المنسدلة
كطاووسٍ في موسم المطر ، نظرت إليه وابتسمت والخجل يملأ
عينها الناعستين ، لفتت انتباهه بأناقته وطلتها الجميلة .

أقلت عليه التحية وجلست على الكرسي المقابل .

عامر بابتسامة : عندما تلبسين هذا الحجاب أتذكر أول مرة رأيتك
فيها .

أميرة تؤشر له بخجل : حتى ينتبه لوجود أخيها .

عامر يغير الموضوع قائلاً : كيف كان اختبار اليوم ؟

أميرة تضحك قائلةً : جيد ، ولم يبقى لي سوى اثنين وأنتهي .

في تلك اللحظة وصل أحمد وتفاجأ بوجود عامر فسلم عليه ورحب
به ، وبما أنه جاء أحضرت إيمان السفارة و وضعت عليها أطباق
الطعام الذي فاحت رائحته الطيبة .

تغدى الجميع و بعد أن انتهوا من الأكل جلسوا لشرب الشاي .

عامر أخرج من الكيس علبةً كرتونية ومدّها لأحمد قائلاً : هذه
الهدية لك .

أخذها أحمد وفتحها فوجد هاتفاً في العلبة ، تفاجأ بفرحةٍ وقال : لم
يكن هناك داعٍ لهذا يا بني .

عامر بابتسامة : يجب أن يكون لديك هاتف لكي نستطيع التواصل
معك .

ثم أخرج عامر كيساً مليئاً بالألعاب وأعطاه لمحمد ، وأعطى إيمان
حقيبة يد جميلة ، كانت أميرة تنظر إليه مستغربةً منه و مالذي ينويه
من كل هذه الهدايا .

وقف عامر وقال : سأذهب إلى السيارة وأعود .

خرج عامر والكل مستغرباً من تصرفاته ينظرون لبعضهم ثم نظروا باتجاه أميرة فهزت لهم كتفيها : لا أعلم ، وقالت في نفسها ربما تكون هذه المفاجأة التي أخبرني عنها .

عاد عامر بكيسين كبيرين ثم تركهما على الأرض وجلس في مكانه قائلاً : جنّت اليوم لأخبركم بشي مهم .

أحمد بفضول : وماذا ستخبرنا ؟

عامر بابتسامة : حددت موعد زفافي من أميرة .

توسعت عينا أميرة من الصدمة وجف لسانها ، لم تكن تتوقع أبداً أن هذه هي مفاجأة عامر التي كانت تنتظرها .

تفاجأ الكل من قرار عامر المفاجئ فقال أحمد متسائلاً : ومتى سيكون زفافكما ؟

عامر ينظر باتجاه أميرة قائلاً : بعد أسبوعين .

هنا ازدادت أميرة خوفاً وارتباكاً ولم تعد تدري ماذا تقول فنظرت لأمها نظرة ترجي لطلب التدخل .

إيمان تدخلت بالأمر : أليس الموعد باكراً ؟ لن نستطيع تجهيز شيء في أسبوعين .

عامر يؤشر بيده على الكيسين قائلاً : كسوة العروس جاهزة وهاهي ذا ، انتقيت لها أجمل وأغلى الفساتين للزفاف واشتريت لها كل شيء بمساعدة أمي .

إيمان : وهل تعرف أمك أنك اتخذت هذا القرار ؟

عامر يتلبدك قائلاً : أمي ، نعم ، هي تعرف بذلك .

أحمد يشاوره قائلاً : ألن ترجع عن قرارك هذا ، أو على الأقل
إجعله بعد شهر .

عامر بلباقة : أنا وافقت عندما قلت أنها ستكمل دراستها أولاً وبعد
ذلك ستتزوج ، وهاهي الآن قد أكملت ، فما المانع في ذلك .
أميرة تنظر لوالدها بتوتر حتى يقنعه وقالت : ولكن لم يكن هذا
قصدي ...

أحمد يهز لها كتفيه بنفاد الكلام ثم قال : معه حق ، والآن الرأي رأيه
، ثم أضاف قائلاً : وإن أردتِ فرصةً للحديث معه سنخرج لتحدثنا .
أميرة بترجي : ولكني لست مستعدةً للزواج بعد أسبوعين .
إيمان تنظر باتجاه أميرة نظرة العاجز ، وليس بيدها ماتفعله .
خرج أحمد وإيمان وابنهما محمد من المجلس وتركها أميرة لتتحدث
مع عامر على انفراد .

أميرة تنظر باتجاهه نظرة غضب وتوتر وحزن .
عامر بابتسامة : لم أنتِ غاضبة ؟ ظننتكِ ستفرحين بهذه المفاجأة ،
ستعيشين معي قريباً ،

ثم نظر في وجهها وقال : ألا تحبينني ؟

أميرة بحزن : بلى ، لكني لا أريد الزواج بهذه السرعة .
عامر يطمئنها قائلاً : أسبوعان فترةً طويلةً بالنسبة لي ، وستقبلين
الأمر في عدة أيام ، أما تجهيزات العرس فسأتكفل بها بنفسي ولن
ينقص شيء .

أميرة غير مقتنعة : بقي لدي اختبارين وأريد التركيز عليهما .

عامر : لقد وضعت حسابهما ، هي أربعة أيام ، وسيبقى لديك عشرة أيام لتكوني جاهزة .

أميرة : ولكن ...

عامر يبتسم قائلاً : من دون لكن ، لقد كنت مشتاقةً لي قبل ساعات ، فما المانع في أن ننهي هذه المسافات بسرعة ؟

سكتت أميرة مطأطئةً رأسها .

وأكمل عامر الحديث : ثم إننا سننزوج لا محالة مهما مر الوقت .

شعرت أميرة أن الكلام معه لايجدي ، واستسلمت للأمر الواقع ، هي متأكدةً من حبها له ولكن قراره المفاجئ واختياره للوقت لم يكونا صائبين بالنسبة لها .

عاد أحمد وإيمان وقالوا : هل اتفقتما ؟

عامر بابتسامة : نعم وسننزوج بعد أسبوعين .

نظرا باتجاه أميرة فهزت لهما رأسها بالموافقة فباركا لهما بهذه المناسبة .

ذهب عامر فأخذت إيمان تفتح الكيس لترى الملابس التي اشتراها قائلةً : أميرة ، تعالي وانظري .

كانت أميرة تشعر بالإحباط والملل ، ولكن فضولها لم يتحمل أكثر فذهبت لرؤية الملابس وعندما أخرجت الفساتين تعجبت لجمالها وأناقتها وانبهرت من الذوق الرفيع والألوان الجذابة ، وجدت الكثير من العطور والبخور وادوات التجميل ، بدأت تجرب كل شيء وتلبس الأحذية ذات الكعب العالي وتمشي بها ،

أنستها تلك الأشياء توترها وغضبها ، وتسلمت الفرحة والشوق إلى قلبها .

عندما وصل عامر إلى البيت كان سعيداً وابتسامته العريضة على وجهه ، يدور بمفاتيح سيارته على إصبعه وهو يصفر .
كريمة باستغراب : مالي أراك سعيداً اليوم ؟
عامر يقبل رأس والدته بابتسامة : سأتزوج يا أمي .
كريمة زغردت من الفرحة وقالت : متى قررت الزواج يا ولدي .
جاء عمر وأريج يركضان لسماع الزغاريد وقالوا باستغراب : مالذي يحدث هنا .

كريمة بفرحة : أخوكما عريس وسيتزوج قريباً .
عامر يرفع إصبعيه و يضيف قائلاً : بعد أسبوعين .
سكتت كريمة فجأةً وقالت : ماذا ؟ وهل يعرف أهل أميرة بذلك ؟
عامر بابتسامة : نعم لقد أخبرتهم ، وهم موافقون على ذلك .
تتدخل أريج قائلةً : كيف ستجهز أميرة كل شيء في أسبوعين .
كريمة توافقها الرأي : معها حق ، فهي تحتاج لشراء الملابس والاكسسوارات وكل ما تحتاجه العروس .
عامر بثقة : كل شيء أصبح عندها ، ولم يعد ينقصها شيء .
كريمة بحيرة : تصرفاتك غريبة يا بني وقراراتك مفاجئة ، ولكن هذا الخبر الجيد سيجعلني راضيةً عنك .

عمر يريد أن يضحكهم فقال : وأنا متى سأتزوج .
لكمته أريج على كتفه قائلةً : عندما نجد لك فتاةً حمقاء ترضى بك .
ضحك الجميع و دببت السعادة في كل أرجاء المنزل .

بدأت أسرة عامر تجهز لزفافه ، رتبوا غرفته وخزاناته وغيروا ديكوراتها لتصبح أكثر جمالاً .

انشغلت أميرة بأمور زفافها مما جعلها تهمل آخر مادتين ولكن ذلك لم يمنعها من بذل مجهودها في الإجابة على الإختبار .

في الطريق إلى المدرسة ..

سارة متفاجئة : حقاً ، وبهذه السرعة ؟

أميرة بابتسامة : نعم ، وقد جهز كل شيء بنفسه ، فاجأني بقراره ولكني سرعان ما اقتنعت به .

سارة بفرحٍ وحزنٍ : مبروكٌ عليك يا صديقتي .

أخبرت أميرة صديقاتها ودعتهن لحضور حفل زفافها .

وبعد آخر إختبار

خرجت الطالبات من قاعاتهن يرمين الأقلام والأوراق فرحاً بنهاية المشوار .

تجمعت الصديقات لآخر مرةٍ وآخر لقاء ، لتختتم هذه اللحظة كل سنواتهن في هذه المدرسة ، لتتطوي هذه اللحظة كالغلاف وتغلق كتاب صداقتهن وذكرياتهن إلى الأبد ، لتحفر دموعهن على ممر المدرسة لوحةً تجسد الطفولة والشباب معاً ، لوحةً تجسد فرحة نهاية المشوار وحزن الوداع و الفراق .

هيام تمسح دموعها قائلةً : سأشتاق إليكن حقاً .

مارية تبكي وتقول : هل سنلتقي مرةً أخرى ؟

أميرة تضمهما والدموع في عينيها : يجب أن تحضرا زفافي لنتلتي
من جديد .

مروة تحبس بكائها : وهل ستحضرن زفافي أيضاً ؟

هيام بحزن : لا أدري فبيوتكن بعيدة ولن يسمح لنا أحد بالذهاب ،
لذلك سأتمنى لكن التوفيق في حياتكن .

سارة تمسح عينيها : أنا أحبكن جداً ، وسأشتاق لكن ، أنتن أخواتي
ولستن مجرد صديقات .

بثينة تبكي وتتساءل قائلةً : أين المعلمة سماح ؟ نريد أن نودعها
أيضاً .

مارية : أنا سأناديها .

أميرة نظرت لنهاية الممر قائلةً : هاهي هناك لقد جاءت بنفسها .

المعلمة سماح بحزن : لقد جنئت لأودعكن ، أنتن حقاً مثل بناتي ، لقد
مرت عليّ أجيالٌ في هذه المدرسة ولكني لم أجد مثلكن أبداً .

بكت الطالبات وتهافتن إلى حضن المعلمة .

ودعن بعضهن وخرجن من باب المدرسة وقلوبهن معلقةً على
أسوارها ، وكانت كل خطوةٍ يخطينها خارجاً هي آخر الخطوات
في هذا المكان ، رجعن إلى منازلهن والحزن يغطي فرحتهن ،
ودعن ملابس المدرسة و الحقائب و القرطاسية ، ومن هنا بدأت
مرحلةً جديدةً في حياتهن .

في محل الرجل العجوز

دخل الرجل إلى المحل قائلاً : كيف تجري الأمور يا بني ؟

مروان بابتسامة : جيدة يا عم ، وقد ساعدتني التعديلات التي قمت بها لإعادة ترتيب المحل و تسعير البضائع ، وأصبح تعاملني مع الزبائن أسرع بهذه الطريقة .

الرجل بابتسامة فخر : لقد لاحظت ذلك ، وسأوكلك مهمة ترتيب المحل الجديد على طريقتك ، وكل شيء سيكون بأجره .

فرح مروان وقال : أنا تحت أمرك .

الرجل لم يبقى سوى بعض الوقت ليكون المحل الجديد جاهزاً وسننقل إليه البضائع ، ثم سأل مروان : مارأيك يا بني لو نخصص قسماً في المحل لأدوات المطبخ والأثاث .

مروان يوافقه الرأي قائلاً : هذه الفكرة جيدة ، خاصة أنه لا يوجد هنا محلات أخرى ، وبدلاً من أن يذهب الناس إلى مناطق بعيدة لشراء هذه الأشياء سيأتون إليك لأنك أقرب ، وتكون أنت خدمتهم وخدمت نفسك بهذه الفكرة .

ابتسم الرجل من كلام مروان وتأكد بذلك من ذكاءه وخبرته ثم قال له : لقد أرسلك الله إلي لأنه يعلم حاجتي لك ، ثم أمسك بكتفه قائلاً : إن احتجت أي شيء فلن أقصر في حقك يا بني .

مروان باحترام : حفظك الله يا عم .

أما أهل مروان فقد اشتروا بعض الهدايا وقرروا زيارة سارة وعندما وصلوا كانت سارة تنتظر وتأمل أن يكون مروان وراءهم ولكنه لم يأتي ، رحبوا بهم وجلسوا معهم .

مريم تمد الكيس لسارة بابتسامة وقالت : هذه الهدية من مروان لك .

أخذتها سارة وشكرت عمتها بخجل و لكنها لم تستطع أن تسأل أين هو .

علي تسائل قائلاً : ولكن أين مروان لماذا لم يأتي معكم ؟

ابتسمت سارة لتدخل والدها .

حميد : ذهب للعمل في منطقةٍ أخرى لكي يجمع المال ويستطيع الزواج عندما يعود .

علي بفخر : بارك الله فيه ، هذا الشاب يجعلني أفخر به يوماً بعد يوم بتصرفاته واعتماده على نفسه .

أسماء تستفسر : كم سيغيب عنكم ؟

مريم : لا ندري ولكنه قال ربما يغيب لأشهرٍ أو لسنة .

حزنت سارة لسماع هذا الكلام ، اشتاقت له وشعرت بالقلق عليه ، لكنها ظلت تدعو له من أعماقها .

بعد أيام

سارة في غرفتها ، غلفت بعض الهدايا ثم بدلت ملابسها و لبست خاتمها وساعتها وخرجت مع أمها ذاهبتين لبيت أميرة .

عندما وصلت سارة وجدت البيت مكتظاً بالنساء وصوت الزغاريد يملأ المنزل ، تتزاحم النساء لرؤية العروس فدخلت من بينهن حتى استطاعت النظر لصديقتها ، لم تصدق سارة عينيها ، أهذه أميرة الجالسة على منصة العرس كالمملكة على عرشها بذلك الفستان الأبيض والتسريحة التي تزينها الورود البيضاء ، وذلك التاج على رأسها ومكياجها الخفيف ونقش الحناء على يديها ، كل شيءٍ عليها

زادها جمالاً ، والنساء حولها يزغردن ويقلن اسمها أميرة وهي
أميرةٌ بالفعل .

أشرت سارة بيدها فانتبهت أميرة ونادتها لتأتي وتقف بجانبها .
سارة بحزن وفرحٍ معاً : عين الله تحرسك يا صديقتي ، لا أصدق
عيني أنك اليوم عروس .

ابتسمت أميرة بخجل وأمسكت يد سارة ثم قالت : أشكركِ يا
صديقتي على حضوركِ ، وأتمنى أن أراكِ عروساً قريباً .
سارة تضحك قائلةً : أنا لست مستعجلة .

ملاك بفرحة : أهلاً سارة متى جئت .

سارة تمد لها هدايا العروس قائلةً : جئت قبل قليل ، ثم انتبهت لبطن
ملاك الكبير وقالت بفرحة : هل أنتِ حامل ؟

ابتسمت ملاك وقالت : نعم ، ثم همزت لسارة و قالت لتغيض أميرة
: أختي ستذهب لذلك يجب أن يكون لدي طفلٌ يلهيني في غيابها .
أميرة تكتم غيظها وقالت : سأريكِ ، ولكن لا أريد أن أفسد مكياج
بالعراكِ معكِ ، ثم إنني أشفق على هذا الطفل في بطنك .

ضحكت سارة قائلةً : إهدأي فأنتِ اليوم عروس .

أميرة تضحك قائلةً : أنا هادئة ، ثم قالت في أذن سارة ، تأكدي أنتِ
وملاك من أن كل أشيائي جاهزة ، فعندما يصل عامر سيضعها في
السيارة .

سارة : لكِ ذلك .

ذهبت سارة مع ملاك إلى غرفة أميرة وتأكدن من كل شيء ثم
أغلقت الحقائق و وضعنها جانباً ، وفي تلك اللحظة سمعن قرع

الطبول في الخارج تنبيهاً بوصول العريس ، وقفت السيارات
المزينة بالورد والشرائط واحدةً تلو الأخرى .

خرج عامر من سيارته مبتسماً ، وتلك البدلة السوداء جعلته أكثر
أناقةً وجاذبيةً ، ورائحة العطر تفوح منه في كل أرجاء المكان ،
وقف ونظر لأخيه قائلاً : عمر ، أنت خذ حقائب أميرة وضعها في
صندوق السيارة ، ثم أكد كلامه قائلاً : أعتد عليك يا أخي .

عمر يضرب صدره بثقة : إعتد علي ولا تقلق .

دخلت كريمة ورانيا وأريج إلى الحفلة وسلمن على أهل العروس .
سلم عامر على أحمد وقبله على رأسه ثم قال : هل كل شيء جاهز ؟
أحمد بابتسامة : كل شيء جاهز .

شقت ملاك طريقاً بين النساء لعامر قائلةً : أفسحن الطريق العريس
سيدخل .

تقدم عامر نحو منصة العرس بكل هيبةٍ و أناقةٍ وكانت كل الفتيات
يتأملنه بإعجابٍ ويحسدن أميرة عليه ، جلس عامر على المنصة
بجانب أميرة .

ملاك تهمس لعامر : هل أحضرت الكاميرا ؟

عامر يهز رأسه ويبتسم : نعم ، إنها مع أريج وهي ستلتقط لنا
الصور .

أريج تسلم على أميرة بفرحة : مبروكٌ عليكما .

تقدمت رانيا لتسلم على أميرة ، فمدت يدها وصافحت أميرة
والضجر بادٍ على وجهها ، كانت منزعةً من ذلك الوضع و تلك
العشوائية في ازدحام النساء ولم تكن تريد أن تتزاحم معهن لكي لا

يفسدن تسريحتها وفتانها الغالي فجلست بعيداً عنهن ، أما كريمة
فسلمت على زوجة ابنها بكل حبٍ وفرحة .

لاحظت بعض النساء تصرفات رانيا .

.... : هل تلك أخت العريس ؟

.... باستهزاء : نعم ، انظري كيف تبدو مشمئزة .

..... تضحك قائلةً : مكياجها لا يزيدُها جمالاً وهي غاضبةٌ هكذا .

..... : معكِ حق ، انظري لأختها كيف تبدو لطيفة .

..... : تظن أنها راقيةٌ بهذه التصرفات .

..... : لا تزعجن أنفسكن بالحديث عنها فهي لا تستحق أن تلفت
انتباهكن .

جاءت ملاك بكأسين من العصير ومدتهما للعريسين وقالت : كل
واحدٍ سيُشرب من كأس الآخر .

شعرت أميرة بالخجل فهمس لها عامر : إنسي أنك أمام النساء
وانظري فقط إلي .

مد لها العصير فشربت رشفةً صغيرة ، وأريج تلتقط لهما الصور ،
ثم حان دورها فقال لها عامر : انتبهي لكي لا توقعي العصير على
ملابسي ، ابتسمت أميرة بخجل ومدت له الكأس بانتباه فشرب رشفةً
منه ثم ألبسها عقداً جميلاً من الذهب .

اقتربت إيمان وكريمة بعقود الفل وأعطينهما عقدين ليلبس كل واحدٍ
الآخر ، ثم ألبسنهن بقية العقود والتقطن صوراً عائليةً معهما .

وعندما حان وقت الذهاب ..

لبسن عباةتهن وجهن عباة العروس .

وقف عامر وأمسك بيد أميرة ليوقفها ، عرفت أميرة أن هذه هي لحظة الوداع ، انهمرت دموعها بشكلٍ تلقائي وهي تودع أهلها ، إيمان تلبسها العباءة ودمعها ينهمر على فراق ابنتها ولم تستطع التحكم بمشاعرها .

سارة تقف بعيداً و تودع صديقتها بكل حزن .

أحمد يطمئنها قائلاً : لا تحزني يا ابنتي ، سنزورك بعد عدة أيام .
تقدمت ملاك لتمسح دموع أميرة ، وضعت المنديل برقة على خد أميرة لتجف دموعها من دون أن تمسح مكياجها ، ثم قالت محاولةً إضحاك أميرة : لا تبكي فعندما يسيل الكحل على وجهك ستصبحين كالملاكمة ، وستخيفين عامر .

ضحكت أميرة ولكنها ظلت حزينةً على فراقهم خرج الجميع ليركبوا في السيارات وسط إيقاعات الطبول وزغرودة النساء وتصفير الفتيان ، خرج عامر ممسكاً بأميرة وهي مغطاةً تماماً ، ركب في سيارته وبجانبه أميرة وذهبوا .

توقف القرع على الطبول وسكتت الزغاريد ، ذهب الضيوف و ذهبت خالات أميرة وعماتها مع بناتهن ولم يبقى سوى اثنتين من أخوات إيمان ليؤنسنا بعد ذهاب أميرة ، أصبح البيت كأنه قاعة عزاء .

إيمان تمسح دموعها بحزن : سأفتقدها كثيراً .

ملاك بحزن تحاول مواساة أمها : لا تبكي يا أمي ، هي لم ترحل للأبد ستأتي لزيارتك عما قريب ، كما فعلت أنا .

أحمد يوافقها الرأي وقال : لا تحولي الفرحة إلى حزن .

أخت إيمان : هدئي من روعك يا أختي ، هي ليست أول واحدة
تترك بيت أهلها .

وأضافت أختها الأخرى : كلنا تزوجنا و زوجنا بناتنا ، هذه هي
سنة الحياة .

ملاك تلتف الجو : هيا يا أمي انهضي لنتعاون في ترتيب هذه
الفوضى ، فالبيت لن يرتب نفسه .

ضحكت إيمان وقامت لمساعدة ملاك وتعاون جميعهن بالترتيب .

توقفت السيارات خارج المنزل ونزل الكل قبل عامر ليفتحوا البيت
ويستقبلوهما ،

نزل عامر من السيارة وفتح الباب للأميرة ، مد لها يده ليساعدها
على النزول ، وقفت أميرة في باب البيت مذهولة من كبر البيت
وجماله فاستقبلها الكل بالزغاريد ورشوا عليها الورد وهي تتقدم مع
عامر الذي يمسكها ، نظرت أميرة في أنحاء البيت الواسع وهو حقاً
كما وصفوه لها .

رانيا جلست على الكرسي قائلةً : أنا متعبة ولم أعد أستطيع الوقوف

كريمة ترحب بأميرة قائلةً : أهلاً بك في بيتك الجديد يا ابنتي .

عامر أخرج هاتفه قائلاً : سأطلب لنا عشاءً جاهزاً .

أريج تمسك يد أميرة قائلةً : سأساعدك في الذهاب إلى غرفتك
لترتاحي .

نقل عمر حقائب أميرة إلى الغرفة ، وصلت أميرة ونظرت للغرفة
الواسعة بإعجاب .

أريج بفرحة : هذه غرفتك ، من الآن فصاعداً لم تعد ملكاً لعامر
وحده ، ثم أشارت نحو خزانة الملابس وقالت : ستضعين أشياءك
هناك ، وأشارت على الأدراج قائلةً : وستجدين هنا كل ما تحتاجين .
أميرة بخجل : شكراً لك .

أريج بابتسامة : على الراح ، ارتاحي وأنا سأذهب .

جلست أميرة على الكرسي تنظر للغرفة وهي متوترة ، شعرت
بالجوع ولكنها تستحي أن تطلب منهن العشاء ، فجأةً دخل عامر
بطبق كبير ورائحة الطعام تبدو شهية ، وجد أميرة تجلس بتوترٍ
وارتباك .

ترك الطعام على الطاولة بابتسامةٍ قائلاً : تفضلي العشاء جاهز .

جلسا لتناول العشاء و لكنها كانت تأكل ببطءٍ وخجل .

نظر عامر باتجاهها وقال : اطمئني وتصرفي بأريحية فالبيت بيتك
والغرفة غرفتك .

ابتسمت أميرة بخجل وشعرت بالإطمئنان من كلامه فتصرفت على
طبيعتها .

في الأسفل

كريمة تتثائب قائلةً : هيا لنذهب للنوم فلدينا غداً يومٌ حافل ونريد أن
نستيقظ باكراً .

رانيا : معك حق فالمعازيم سيأتون غداً لرؤية العروس .

عمر يشعر بالتعب : سأذهب لغرفتي ، تصبحن على خير .

رانيا وأريج : تصبح على خير .

أظلم الليل و انطفأت أضواء المدينة و ذهب الجميع للنوم بعد يومٍ طويل .

في اليوم التالي

كريمة أعدت طعام الإفطار وذهبت به إلى غرفة عامر .

طرقت كريمة الباب وفتح لها عامر قائلاً : تفضلي بالدخول يا أمي .

نظرت إليهما بابتسامةٍ وقالت : صباح الخير للعريسين .

ردا عليها : صباح النور .

كريمة تخاطب أميرة قائلةً : كيف حالكِ يا ابنتي ؟

ردت أميرة بخجلٍ قائلةً : بخير .

عامر بابتسامة : تفضلي بالجلوس يا أمي لنفطر معاً .

كريمة وضعت الطبق على الطاولة قائلةً : لا يا بني ، أنتما عريسين ويجب أن تتناولوا إفطاركما لوحكما ، ثم إن لدي الكثير من الأعمال لأنجزها فقد تأخر الوقت .

ذهبت كريمة لتنجز أعمالها وكان الجميع يجهزون البيت لاستقبال الضيوف .

انتهى عامر وأميرة من تناول الطعام ثم قاما لتجهيز نفسيهما استعداداً لمقابلة الضيوف .

رانيا تطرق باب الغرفة .

عامر يرش العطر على ملابسه قائلاً : تفضلي .

كانت أميرة تمشط شعرها الطويل أمام المرأة فابتسمت بوجه رانيا
ترحيباً بها .

دخلت رانيا وجلست على الكرسي قائلةً : ماذا ستلبسين اليوم ؟

أميرة تؤشر على فستانها بابتسامة : سألبس هذا الفستان .

رانيا تنظر للفستان بسخرية : أنتِ تمزحين ، كيف تلبسين شيئاً كهذا
وأنتِ عروس .

استغربت أميرة من كلام رانيا ونظرت لفستانها قائلةً : مابه ؟ إنه
جديد .

رانيا توضح لها الأمر : أنتِ عروسٌ ولن تلبسي هذا الشيء
الرخيص ، ستحضر صديقتي هذه الحفلة وسيكون هناك الكثير من
الضيوف ، لذلك أريد أن تلبسي أغلى ما عندك لكي لا يشمت بنا أحد
، فأنتِ الآن زوجة عامر وأصبح اسمكِ مرتبطاً به ولم يعد مرتبطاً
بذلك التاجر .

انصدمت أميرة من كلام رانيا و وقاحتها ثم قالت : سألبس ما
يرحني وليس ما يلفت انتباه الناس .

نهضت رانيا وفتحت خزانة أميرة لتبحث عن فستانٍ آخر ثم قالت
لعامر : إشرح الأمر لزوجتك فهي لم تفهمني .

عامر يربط حذائه ويقول بهدوء : عزيزتي ، رانيا معها حق فأنا لا
أريد أن تلبسي فستاناً عادياً وأنتِ زوجة عامر بن العقيد .

أخرجت رانيا فستاناً ثقيلاً مطرزاً بالكامل وألوانه جذابة فابتسمت
قائلةً : هذا جيد .

عامر يخاطب رانيا : نعم هذا جميلٌ وغالٍ ، دعيها تلبسه ، ثم
أضاف قائلاً : إهتمي بمظهرها جيداً ، أنا ذاهب .

خرج عامر من الغرفة فجلست رانيا و وضعت قدماً على قدم قائلةً :
لقد أحضرت كوافيرةً ماهرةً لكي تكون تسريحتكِ أفضل من يوم
أمس .

أميرة نظرت إليها بغیظ وقالت : أنا أحب أن أكون عادية ولا أهتم
كثيراً بالمظاهر .

رانيا تهز كتفيها قائلةً : إذاً سيغضب عامر وسيدمر الحفلة بأكملها
بسببك .

جاءت أريج مسرعةً وهي تقول : لقد وصلت خالاتي إنهن في
الأسفل .

رانيا : هل وصلت الكوافيرة ؟

أريج : نعم ، وصلت قبل قليل .

رانيا بغضب : وهل أنت سعيدةٌ بذلك ؟ إذهبي وأحضريها سريعاً .
أميرة ترفع الفستان قائلةً : هذا ثقيلٌ جداً لن أتحمل ارتدائه طوال
اليوم .

رانيا بأسلوبها المعتاد : بلى يا عزيزتي ستتحملينه من أجل عامر ،
وسترتدين عليه مجوهراتك الذهبية ، لكي ينبهر الناس بكل ما
تلبسين .

أميرة تفكر في نفسها : يهتمون فقط بالثياب والمجوهرات ولا
يهتمون بمن يرتديها ، هذه حقاً حياةٌ صعبة .

دخلت أريج والكوافيرة وراءها .

أميرة ترحب بها بابتسامة : تفضلي بالجلوس .

الكوافيرة : أشكركِ ، أنتِ فتاةٌ مهذبة ، هنيئاً لكريمة حين أصبحتِ زوجةً لابنها .

رانيا تحرك يدها مخاطبةً الكوافيرة : أسرعِي فلا وقت لدينا للكلام ، ستجهزين العروس ثم ستجهزيننا .

جلست أميرة أمام الكوافيرة فبدأت تلف لها شعرها الناعم وتضع المكياج على وجهها ، وعندما انتهت نظرت أميرة في المرأة وشكرت تلك المرأة ، كان المكياج كثيراً ولكنه مناسب لها ، وتسريحة شعرها جذابةٌ مع خصال الشعر المتدلالية .

رانيا تخاطب أريج : إجلسي أمامها لتجهزيكِ بينما أنتهي من تجهيز العروس .

لبست أميرة ذلك الفستان وكان يضايقها لأنه ضيق ويخزها بوتره وتطريزته ، اشتكت أميرة من الفستان فقاطعتها رانيا ..

رانيا بنبرة غضب : تحمليه وتصرفي بأناقةٍ و رقي ، فهذه الحفلة من أجل زفاف عامر وهي تعتمد عليكِ ،

ثم مدت لها المجوهرات وقالت : البسي هذه لتتناسق مع الفستان ، ولا تظني أنني مهتمةٌ لأمركِ بتصرفاتي فأنا أفعل ذلك من أجل سمعتنا بين الناس لا أكثر .

كتمت أميرة غيظها ولبست مجوهراتها وحذاءها ذي الكعب العالي .

و في الأسفل

عامر يسلم على عماته وخالاته ، والكل يبارك له ويهنئه وفجأةً سكت الجميع وهم ينظرون إلى الدرج .

نزلت أميرة ببطءٍ بسبب ذلك الكعب العالي ، تشد أعصابها حتى لا تقع على الدرج ، وترمش بعينيها من ثقل المكياج عليهما ، ترفع من

على وجهها بيدها خصلة شعرها المنسدلة واليد الأخرى ترفع
الفتان لتوازن ثقله و ذيله الممتد وراءها ،

انبهر الجميع من طلعتها الساحرة و مشيتها الراقية ، وكان عامر أول
المذهولين ، فصعد إليها وأمسك يدها وهمس لها قائلاً : تبدين جميلةً
جداً .

نزلا معاً ، وعرفها على أهله وبعد لحظات : نزلت رانيا وأريج
جاهزتين و سلمن على الضيوف .

استقبل عامر الرجال إلى مجلسهم وضلت النساء للإحتفال في
مجلسهن .

وعندما وصلت صديقات رانيا سلمت عليهن وقالت لهن : تفضلن
بالجلوس بينما أحضر زوجة أخي .

ذهبت رانيا لأحضر أميرة وهمست لها قائلةً : سأعرفك إلى
صديقاتي ، تصرفي أمامهن بكبرياء فهن راقياتٌ جداً .

سلمت أميرة عليهن ولم تفعل أياً مما قالته رانيا بل تصرفت بأسلوبها
الراقي والمهذب ، فأحببنها و ارتحن بالحديث معها و هناك رانيا
عليها .

رانيا بابتسامةٍ مصطنعة : أجل نحن محظوظون لأنها أصبحت فرداً
من عائلتنا .

احتفل الجميع و وزعوا المشروبات و العصائر و شغلوا الأغاني
ورقصوا عليها .

وبعد أن ذهب الضيوف جلس عامر وأميرة مع أهله ولكنه لاحظ أن
أميرة متضايقه فسألها : مابك ؟

أميرة تهمس قائلةً : هذا الفتان يضايقني كثيراً وتطريزته تؤلمني .

لاحظ عامر أن جسمها أصبح أحمرأً وهناك بعض الجروح على جسدها بسبب الخرز ، فقال لها اذهبي لتغييره ،

وقبل أن تقوم همس لها قائلاً : لقد رفعت رأسي أمام الناس .

ابتسمت أميرة وذهبت وهي تضحك و تقول في نفسها : يظن أنني فعلت ذلك من أجله ، ولا يدري أنه بسبب هذه الأشياء الثقيلة .

لبست فستانها الذي اختارته أولاً ونزلت ، فبدت أكثر جمالاً بذلك الفستان الهادئ والبسيط والمريح .

أكملت العائلة سهرتها بسعادة عدا رانيا التي لم تكن تتقبل أميرة بأي شكلٍ من الأشكال ، واستمر هذا الوضع ويوماً بعد يوم حتى عادت رانيا لبيت زوجها فارتاحت أميرة من انتقاداتها المتواصلة ،

وذات يوم أتى أهل أميرة لزيارتها فرحبت بهم بفرحٍ شديد واسقبلوهم أفضل استقبال ، و جلست معهم إلى أن حان وقت ذهابهم ودعتهم بحزنٍ ثم وعدتهم أن تأتي لزيارتهم .

وفي اليوم التالي كانت أميرة جالسةً في غرفتها وقالت في نفسها : بما أن عامر ذهب لعمله و سيتأخر في العودة سأفتح هدايا زفافي ، فأنا لم أجد الوقت لرؤية الهدايا بسبب عزوماتهم وحفلاتهم .

دقت أريج باب الغرفة وقالت : هل أستطيع الدخول ؟

أميرة بابتسامة : تفضلي .

وجدت أريج أميرة جالسةً على الأرض فجلست بجانبها ونظرت للهدايا واستغربت قائلةً : هذه هدايا زفافك ، ألم تفتحيها بعد ؟

ابتسمت أميرة قائلةً : لم أجد الوقت لأفتحها ، ولكن إن أردت سنفتحها معاً .

أريج متشوقة : نعم أريد أن أرى ما بداخلها .

فتحت صناديق الهدايا واحداً تلو الآخر ، وجدن العطور والبخور
والزينة والهدايا الزجاجية ، ثم لفت انتباه أريج علبة صغيرة وقالت
لنفتح هذه .

أميرة بفرحة : هذه الهدية من صديقتي سارة .

فتحتها أميرة فوجدت فيها هدية خشبية على شكل قلب منحوت عليه
اسم (أميرة) وكان هناك رسالة بجانبه ،

فتحت أميرة الرسالة وقرأتها والدمع ينهمر من عينيها .

" لأغلى إنسانة في حياتي

أعرف أنك عندما تفتحين هذه الرسالة ستكونين بعيدة جداً ، ولكن
تأكدي أنك محفورة في قلبي كما حفر اسمك على هذا القلب .

لقد عشت معك أجمل الأوقات و لكنها ستصبح ذكريات تمر على
خاطرنا فننتقي أجملها ونبتسم .

صديقتي العزيزة لا أدري إن كانت الأيام ستجمعنا مجدداً أم لا ،
ولكن ستبقى صداقتنا هي أقوى رابط بيننا مهما باعدت بيننا
المسافات .

أنت أختي التي لم تلدها أمي وصديقتي في وقت الضيق وابتسامتي
في الحزن الشديد ، أنت أعز علي من نفسي ، وقد جمعنا السنين
وستفرقنا السنين .

و هذه مجرد كلمات على ورقة ولكنها نبعت من أعماق قلبي ، قد
تدمر الأيام هذه الرسالة ، ولكنها لن تغير مشاعري أبداً .

صديقتك المخلصة

سارة . “

ضمت أميرة الورقة وانفجرت بالبكاء .

شعرت أريج بالحزن وقالت : يبدو أن صداقتك كانت قوية ومميزة

أميرة تهز رأسها بالموافقة ودمعها يجري على خديها .

أريج بحزن : لقد أثر كلامها فيّ كثيراً ، ورغم أنني لا أعرفها إلا أنني أحببتها بسبب حبك لها ،

ثم تنهدت وقالت : أتمنى لو كان لدي صديقةً مثلك ، فنحن الأغنياء لا نصادق أحداً ولا يسمح لنا بذلك ، وإن حصل وتعرفنا على صديقة ، يجب أن تكون من نفس مستوانا ، أو يكون تقربها لنا من أجل المصلحة .

أميرة تحبس بكائها قائلةً : هذه أفضل هدية من بين كل الهدايا .

أريج توافقها الرأي : معك حق فبقية الهدايا مجرد قطع للزينة ، أما هذه فهي مشاعر نابغة من القلب ، وهذا يجعلني أصدق كلام أمي عندما قالت " يمكنك شراء كل شيء بالمال ماعدا الحب والإحترام "

“

أميرة : أمك معها حق بذلك تماماً ، فقد مرت علينا أيام صعبة ولم نكن نملك الكثير ، و كنا نتقاسم كل شيء بيننا بمحبة وإيثار ، ورغم ذلك كانت السعادة لا تفارقنا ،

ثم أغمضت عينيها قائلةً : لقد اشتقت لك يا صديقتي .

خبأت أميرة تلك الرسالة وذلك القلب في صندوق صغير و وضعتها في خزانها لكي تفتحه كلما اشتاقت لصديقتها .

أما سارة فقد أصبحت وحيدةً من كل النواحي .

لم تعد هناك دراسةً تخرجها من البيت ولا كتبٌ تشغلها بالذاكرة
وتملأ لها وقتها ، ومن جهةٍ أخرى تزوجت صديقتها العزيزة
وتركتها وحيدةً لا تدري أين تذهب ولا تدري لمن تبوح بمشاعرها
وحزنها .

و ما يقلقها أكثر هو مروان الذي لا تعلم عنه شيئاً منذ أن ذهب ، و
تكتفي بمللها وحزنها وقلقها كلما اشتاقت إليهم وتدعو لهم بالتوفيق
كلما مرّوا على خاطرها .

كانت تقضي وقتها تخطط لحلمها ، تخربش على الورق محاولةً
رسم تصاميمٍ جديدة ، أحياناً تقتنع بالتصميم و تحتفظ به ، وأحياناً
تمزق الورقة وترميها .

بعد مرور شهر

أصبح محل الرجل العجوز جاهزاً لافتتاحه .

وعندما افتتحه تفاجأ الناس من كبر المحل و طريقة ترتيبه ، كان كل
نوع من البضائع مرصوفاً بجهةٍ معينة وكل قسمٍ يحتوي أشياءه ،
وكانت أسعاره مناسبةً لوضع معيشة الناس فتوافد الناس إليه من
أنحاء المنطقة وكذلك من المناطق المجاورة .

شعر الرجل بالسعادة لما رآه من مروان وشكره قائلاً : هذا كله
بفضلك يا بني فأسلوبك وتعديلاتك جعلنا من المحل وجهةً لكل الناس

ابتسم مروان وقال : كل ما ينبع من القلب يذهب إلى القلب ، لقد تعاملت مع الناس وعرفت أن الطيبة و الأخلاق هي أول ما يطلبونه بغض النظر عن طلباتهم ومشترياتهم .

ضرب الرجل بيده على ظهر مروان قائلاً : أنت تدهشني بكلامك وبأفعالك ، وأعدك أنني سأضاعف لك أجرتك وأجزيك عن كل هذا أجراً آخر .

فرح مروان بذلك وشكر الرجل على طيبته وكرمه .

أعطى الرجل بعض المال لمروان وقال له : سأعطيك الباقي غداً . وضع مروان المال في كيسٍ صغيرٍ و وضعه في جيبه ، ثم ذهباً عائدين إلى المنزل .

جلس الجميع على مائدة العشاء وعندما انتهوا من الأكل قام مروان ليذهب إلى غرفته خارج المنزل ، فتحسس جيبه ولم يجد كيس النقود .

لاحظ الرجل أنه يبحث عن شيء فقال : ماذا أضعت يا بني ؟

مروان بحزن : يبدو أن المال الذي أعطيتني إياه قد وقع مني في الطريق ، سأذهب للبحث عنه .

الرجل بخوف : قد أظلم الليل ، كيف ستذهب للبحث عنه في هذا الوقت ؟

مروان بحزن : هذا عرق جبيني يا عم ، وقد بذلت الكثير للحصول عليه ...

يقاطعه الرجل : المبلغ لم يكن كبيراً ، وأنا سأعطيك بدلاً عنه فلا تحزن .

مروان يذهب خارجاً وهو يقول : لا يا عم ، لن آخذ منك بدلاً عن ما
أضعته بيدي ، إن كان حلالاً لي فسأجده وإن لم يكن ، فلن أَرْضَى
عنه بديلاً .

الرجل بقلق : إنتظر ، إلى أين أنت ذاهب .

مروان يطمئنه قائلاً : لا تقلق سأذهب للنوم ، فأنا لن أزيد من همك
لتركض في الشوارع في منتصف الليل تبحث عني .

الرجل ضحك قائلاً : تصبح على خير يا بني .

مروان : وأنت من أهل الخير .

المرأة العجوز : مسكينٌ هذا الشاب ، سيعوضه الله عن ما فقده .

الرجل بحزن : هو لا يستحق ما حل به ، ولم يقبل المال مني ،
لكنني سأزيد مكافأته في الشهر القادم لكي لا يشعر أنني أمن عليه
بالمال .

وفي صباح اليوم التالي ذهباً إلى المحل وكان مروان يمشي في
الطريق وهو يتحقق إلى الأرض لعله يجد ماله الضائع ، ولكنه لم
يجد شيئاً .

في منتصف النهار جاء شابٌ يبدو عليه الهم والكرب وملابسه بالية
ومهترئة .

الرجل : ماذا تريد يا بني ؟

الشاب يمد له قطعة نقدية معدنية باحترام : أريد أي شيء بهذه النقود
أسد به جوعي .

نظر الرجل للعملة وقال له : خذ هذا العصير واحتفظ بعملتك .

الشباب باحترام : لا أستطيع أخذه يا عم ولكن أريد أن أطلب منك شيئاً .

الرجل أشفق على ذلك الشاب وقال له : إطلب ما شئت .

أخرج الشاب كيساً من جيبه وأعطاه للرجل ثم قال : وجدت هذا بالأمس ولا أدري من هو صاحبه ولكن بما أن الناس يمرون عليك يومياً فأنت ستجد صاحبه لا محالة .

فتح الرجل الكيس فوجد مال مروان فناده بفرحة : تعال إلي هنا يا بني ، لقد وجد هذا الشاب مالك الضائع .

مروان بفرحة : حقاً ! شكراً لك على أمانتك ، سأقسمه بيننا لأنك أعدته .

الشباب بابتسامة : لا ، فمن واجبي إعادته ومن غير اللائق أن آخذ مكافأةً على إعادة شيءٍ ليس لي .

الرجل العجوز : ولكن من أين أنت ، هذه أول مرة أراك هنا .

الشباب : أنا من المنطقة المجاورة جئت قبل أيامٍ للبحث عن عمل وكلما وجدت عملاً لا يقبلونني بسبب ملامحي الشاحبة وملابسي القديمة ويعتقدون أنني متشرد .

حزن الرجل لسماع ذلك الكلام فقال : وما حاجتك للعمل .

الشباب بحزن : أمي مريضةٌ وليس لها أحدٌ غيري ولي أخٌ صغير تركته معها وذهبت للبحث عن عمل .

مروان يتسائل : بما أنك وجدت المال لماذا لم تأخذه وتذهب إلى والدتك ؟

الشباب يتنهد قائلاً : لا أريد أن أكسب مالاً حراماً لعلاج من ربنتي على كسب الحلال .

الرجل بابتسامة : ماذا لو طلبت منك العمل عندي .

فرح الشاب بذلك و وافق على العمل معه ، وفرح مروان من قرار
الرجل وتعاطفه ومن أمانة الشاب وأخلاقه .

الرجل مد بعض الكعك والعصير للشاب وقال له : اجلس هناك
لتأكل وترتاح قليلاً بينما نكمل عملنا ، وسأخصم حساب هذا من
أجرتك .

قبل منه الشاب الطعام وذهب للأكل .

مروان بفرحة : أشكرك لأنك جعلته يعمل معك ، فهو يبدو أميناً
ومخلصاً ونحن كنا بحاجة لمن يساعدنا في العمل .

الرجل يبتسم قائلاً : ألا ترى الأمر غريباً ، أمانتك أعادت إليك مالك
، وأمانته وجدت له عملاً .

مروان بابتسامة : من يفعل الخير لا يجد سوى الخير وإن كان
يحسبه شراً .

علم الرجل ذلك الشاب قواعد العمل والتعامل مع الزبائن .

فازدهرت تجارته وتوسعت إلى حدود لم يتخيلها ، وهذا بسبب
مروان وذلك الشاب ، لأنهما يعملان بكل ضمير وإخلاص وهو
بدوره كان يكافئهما ويعطيها مستحقتهما كاملةً ، تعرف كل من
مروان والشاب على بعضهما فأصبحا صديقين وتشاركوا تلك الغرفة

الفصل السابع

عامر جالسٌ على مكتبه بغضب قاطب الحاجبين يراجع بعض الأوراق والحسابات و ينظر للهاتف منتظراً اتصال أحدٍ ما ، فجأةً يرن هاتفه

رد عليه قائلاً : أخبرني ماذا قال ؟

على الجانب الآخر : لم يوافق على هذه الصفقة .

عامر بغضب : كيف لم يوافق ؟ تصرف معه في الحال .

.... : لقد حاولت معه بكل الطرق يا سيدي ، لكنه لم يقتنع بالمال وهو مصرٌّ على رأيه .

عامر يعض على أسنانه ويتكلم بغضب : سنعطيه نصف المبلغ الذي دفعه فيها ، تكلم معه وأخبرني برده .

أغلق الخط لينتظر رد الرجل ، كان يدق بقدمه على الأرض ويدق بأصابعه على الطاولة و كأنه جالسٌ على جمر .

وبعد دقائق رن الهاتف من جديد ..

عامر قال بنفاد صبر : هل وافق على المبلغ .

..... بخوف : لا يا سيدي .

عامر يضرب بيده على الطاولة بغضبٍ شديد : كيف يقف هذا الأحمق في طريقي ، أريد أن أباشر بناء المركز التجاري في أسرع وقت .

..... : ماذا تريدني أن أفعل الآن .

وقف عامر وقال بكل ثقته : هددته بالقتل ، و خيّرته بين رأسه والمبلغ الذي حددناه له ، وإن لم يوافق على أخذ المال أنت تعرف ماذا تفعل ، وأخبرني بكل جديد .

..... بدون اعتراض : أمرك يا سيدي .

عامر : إفعل كل ما طلبته منك وسأكافئك على ذلك .

..... بفرحة : حاضر يا سيدي .

أغلق عامر الخط وجلس يراجع مخططاته لبناء المركز التجاري .

في بيت علي

سارة جالسةً مع أمها على سطح المنزل تحت ظل الأشجار ، إياد وأيمن يلعبان ويركضان أمامهما .

سارة تتنهد قائلةً : هل تظنين أن أبي سيستطيع رد الأرض ، فقد طالت قضيتها كثيراً .

أسماء مهمومةٌ وتشعر بالقلق فكرت قليلاً ثم قالت : لم تري شيئاً بعد يا ابنتي ، فبعض القضايا تظل لسنواتٍ طويلة ، ويدفع فيها المرء أكثر من قيمة الشيء نفسه ، ولكن أدعو الله أن يوفقه ويزيح عنا هذا الهم .

في نفس اليوم قرر حميد مع زوجته مريم زيارة أخيه وأخذ بعض الأشياء لسارة ليعوضانها عن غياب مروان ، وعندما وصلا

استقبلتهما أسماء بفرحة : أهلاً بكما ، تفضلاً .

حميد : زاد فضلكم .

مريم تسلم عليها قائلةً : لقد اشتقت لكِ .

أسماء بفرحة : وأنا أيضاً ، تفضلاً بالجلوس ، ثم نادت سارة : تعالي يا ابنتي وأحضري العصير لعمك وعمتك .

سارة بفرحة تجيبها : حاضر يا أمي .

أسماء تخاطبهما قائلةً : ألم يأتي علي إليكم ؟

حميد باستغراب : علي ! لا ، لم يأتي ، هل هو في المدينة ؟

أسماء بقلق : ذهب في الصباح الباكر وقال أنه سيمر عليك لتذهباً معاً إلى الأرضية ...

يقاطعها حميد قائلاً : وما الذي سيفعله هناك ؟

أسماء بحزن : طلبوا منه قبل أيام أن يبيعها لهم ويحل المشكلة ، أفضل من الذهاب إلى المحاكم .

حميد بنبرة غضب : وهل وافق على بيعها ؟

أسماء غير واثقة : أظنه لم يوافق على بيعها ولكنه لم يخبرني بالتفاصيل .

حميد بنفس النبرة يضرب بيده على ركبته قائلاً : لماذا لم يخبرني بذلك ؟ لا يجب أن يبيع تلك الأرضية فموقعها أفضل مما يتصور ، وهذا ما جعل تلك العصابة تطلبها منه بهذا الإلحاح .

في تلك اللحظة دخلت سارة وسلمت عليهم وقدمت لهم العصير .
مريم تعيد فتح الموضوع قائلةً : ماذا تقصد بكلامك أن موقع
الأرض مهم ؟

حميد يشرح لهن : لقد قُسم جزءٌ من قطعة الأرض ليكون مكماً
للطريق العام ، وعندما يمر الشارع أمام تلك الأرض سيزيد من
قيمتها ، وأن بُني عليها أي مبنى سيدر على صاحبه أمولاً طائلة .
تفاجأن من ذلك الكلام ، وأكمل حميد قائلاً : وهذا السبب الذي
جعلني أهتم بقضية تلك الأرض وإلا لكنت طابت منه أن يبيعه من
أول لحظة .

أسماء بحزن : لقد أتعبتنا هذه القضية ولم نعد نستطيع الدفع للمحاكم
أكثر ، وقد شاب رأس علي منها ، وليس علينا الآن سوى انتظاره
وعندما يصل سنعرف منه كل شيء .

حميد يهدئ أعصابه قائلاً : أرجو فقط أن لا يوافق على بيعها .
جلسوا بعض الوقت فقالت أسماء : ربما يتأخر علي ، سنتغدى
وعندما يصل سأعطيه غداءه .

أحضرت الغداء وتناولوه وهم ينظرون للساعة وينتظرون وصول
علي .

وبعد دقائق عاد علي والهم والخوف باديان علي وجهه ويلفظ أنفاسه
بسرعة و قدمه مربوطاً بشاله ، دخل وجلس على الأرض ولم ينتبه
أن يسلم على أخيه .

حميد بقلق : مابك يا أخي ؟ لقد قلقنا عليك كثيراً .

أسماء تمد له كوب الماء قائلةً : أنت تبدو شاحباً و عليك آثار كدمات

الكل ينظر نحوه بقلقٍ وحيرة .

علي أخرج من جيبه رزمةً من المال ورماها على الأرض قائلاً :
هذه النقود ثمن حياتي وقد اشتريت رأسي بها .

انصدم الكل وارتعبوا من كلامه و صرخ حميد قائلاً : مالذي تقوله
يا أخي ، من فعل بك هذا ؟

علي شرب كوب الماء وهدأت أنفاسه ثم بدأ يشرح لهم القصة قائلاً :
تلك العصابة طلبت مني المجيء لمقابلتهم عند نفس الأرضية
للاتفاق على حل المشكلة بدون محاكم وعندما ذهبت إلى هناك
وجدت رجالاً ملثمين ولديهم أسلحة

الملثم يمد له بعض المال : شنشترتها منك بدلاً من السير ذهاباً وإياباً
في المحاكم .

علي : لا أريد بيعها ، هذه الأرض لي وقد اشتريتها منذ سنوات .
الملثم دفع علي حتى أوقعه أرضاً ثم ركله قائلاً : ستبيعها رغماً عنك
، فمهما حاولت التمسك بهذه القضية لن تكون لصالحك أبداً حتى لو
بعد ألف عام ،

ثم ضحك قائلاً : لن يسمح لك زعيمنا بأخذها فهو صاحب مكانةٍ
كبيرة وسيدفع للمحكمة لكي يربح القضية .

وقال آخر : يجب أن تكون ممتناً له فقد أشفق عليك وسيشترتها منك
، فغيرك ذهبوا كما جاءوا .

علي يحاول النهوض قائلاً : ستبقى هذه الأرض لي ولن تأخذوها
بهذه السهولة .

الملثم يستهزئ بعلي قائلاً : خذ المال قبل أن نسحقك كالحشرة .
علي بصوتٍ عالٍ : لا أريد بيعها .

الملثم يؤشر لبقية أفراد العصابة وقال بغضب : أمسكوه .
ابتعد قليلاً وأخرج هاتفه و اتصل بزعيمة ثم عاد وقال : سنعطيك
نصف الثمن الذي اشتريت به الأرضية .
علي رافضٌ تماماً فكرة بيع الأرض : لن تغريني ببعض المال
لأبيعتها .
توقف قليلاً عن سرد القصة ثم أكمل :
وبعد أن فشلوا في إقناعي بأخذ المال اتصل الملثم بزعيمة مرةً
أخرى و كان يقول له : حاضر يا سيدي .
ثم وجه بندقيته نحوي وقال ستأخذ المال أم أدفنك تحت هذه الأرض
.
وقال آخر : لن تحصل عليها حياً ، لذلك ستكون قبرك .
لكنني لم أستسلم فبدأو بإطلاق النار جواً ثم صوبوا أسلحتهم نحوي
وقال ذلك الملثم : لديك خيارين فقط ، إما أن تأخذ المال وتسلم
برأسك ، أو أدفنك في أرضك .
ثم أطلقوا النار أمام قدميّ وهم يقولون التالية في رأسك ، لذلك
وافقت على أخذ المال .
وهذه هي القصة ، لقد أخافوني وحاولوا قتلي يا أخي .
حميد يستشيط غضباً : لن ينجوا بفعلتهم .
أسماء تخاطب علي قائلةً : الحمد لله على سلامتك ، فعلت الصواب
فكل شيء يهون أمام حياتك .
حميد بغضبٍ شديد : لن يأخذوها بتلك السهولة ، وإن اضطرت
للقتال عليها .

علي باستسلام : لن ينفذ الغضب يا أخي ، فهم يملكون السلطة
والنفوذ والسلاح ، أما نحن فلا نملك شيئاً .

حميد بصوت مرتفع : لا يجب أن تضيع ممتلكاتك بسبب الخوف ...

يقاطعه علي : أنا لم أعد أريدها ، أنا لا أريد أن أمتلك شيئاً يهدد
حياتي طوال الوقت ويسلب مالي بدون فائدة ،

ثم نظر في وجه أخيه بعجز وقال : معهم حق عندما قالوا أن
المحكمة تريد المال لتربحهم القضية ، وإن ربحوها في المحكمة
سأذهب أنا خالي الوفاض .

حميد شعر بالأسى على أخيه ولكن علي اقتنع تماماً أنه لم يعد يريد
تلك الأرض بأي شكلٍ من الأشكال ، وأقنع حميد بذلك ، أما ذلك
المال فقد قرر أن يشتري به قطعة أرض صغيرة تكون بجانبه .

وفي الجهة الأخرى بدأ عامر بناء مشروع المركز التجاري على
تلك الأرض .

مر ثلاثة أشهر على زواج أميرة .

عامر يمشط شعره ويرش العطر على ملابسه ، أما أميرة جالسةً
وتنظر في علبة المجوهرات وهي مبتسمةً وشاردة ، لاحظ عامر
شرودها وقال بفضول : ما بك يا عزيزتي ؟

انتبهت أميرة وقالت : أنا فقط أنظر لهذه المجوهرات الجذابة ، ثم
الفتت إليه بابتسامةٍ و نظرةٍ بريئة قائلةً : أتدري ماذا كان حلمي ؟

عامر يلبس ساعته وقال بنبرةٍ عادية : ماذا ؟

أميرة بشوق : أنا أحب المجوهرات ، وأشكالها تضع في نفسي
شعوراً يقاطعها عامر قائلاً : سأشتري لك المزيد منها .

أميرة بابتسامة : لم يكن هذا قصدي ، بل كنت دائماً أحلم أن أمتلك محل مجوهرات وأ ...

يقاطعها عامر بلفتته الغاضبة قائلاً : ماذا ؟

ارتبكت أميرة من تلك النظرة وسكتت ، أما هو فأخذ أشياءه ومفتاح سيارته وخرج مسرعاً ليذهب إلى عمله ، وكان يبدو عليه الغضب ، أما أميرة فقد كانت مقتنعةً من قرارة نفسها أن حلمها لن يتحقق بامتلاك محل لأنها أصبحت زوجة رجلٍ معروف ، واكتفت فقط بامتلاك المجوهرات وارتداءها .

أميرة تتحدث عبر الهاتف : حقاً ! أنا سعيدةٌ جداً بهذا الخبر .

على الجانب الآخر أحمد : نعم يا ابنتي ، علامتكِ ممتازة وعالية .

إيمان بفرحة : مبروكٌ عليكِ يا ابنتي .

أميرة بفضول : وماذا عن سارة ؟

أحمد يضحك قائلاً : لقد سألت عن جميع صديقاتكِ كما أخبرتني ، وكلهن حصلن على علاماتٍ ممتازة .

أميرة بفرحة : و هل أخذت شهادتي أيضاً .

إيمان : لقد أخذها قبل أيام وسنعطيكِ إياها عندما تأتين لزيارتنا .

أميرة : حسناً ، سأخبر عامر بذلك عندما يعود .

عاد عامر من عمله وجلس مع أهله ولكنه كان ساكناً ولا يقول شيئاً وملامحه لا تفسر ، تكلمت أميرة عن نجاحها بفرحةٍ وشوقٍ شديدين وفرح لها الجميع ولكن عامر لم يهتم للأمر و نظر باتجاهها نظرةً غريبة .

كريمة : مابك يا بني ؟ زوجتك سعيدةٌ بنجاحها وأنت لا تبالي بالأمر

عامر بنبرةٍ عادية : وإن يكن ، نحن لن نستفيد شيئاً من تلك الشهادة

حزنت أميرة من كلامه ونزلت دمعها فذهبت مسرعةً إلى غرفتها ،
تعاطفت معها كريمة و أريج .

كريمة بغضب : لقد جرحت مشاعرها وكسرت فرحتها ، هذا لا
يجوز ، فمن واجبك أن تفرح لفرحها .

عامر جالسٌ على الكرسي وهو يكتم غضبه فتدخلت أريج قائلةً : ألن
تسمح لها بالذهاب إلى الجامعة .

عامر نظر في وجه أريج نظرة غضب وقال : هل طلبت منك
إخباري بذلك ؟

أريج بخوف : هي لم تطلب مني ، ولكنني أعرف أنها ذكيةٌ
ومجتهدة ولا يجوز أن يضيع نكائها هكذا .

عامر يهدد أريج : إن سمعتكٍ تتحدثين بهذا الموضوع ثانيةً سأكسر
فمك .

كريمة تكتم غضبها : هي لم تقل شيئاً خاطئاً ، وبما أن أريج تذهب
للجامعة فلماذا لا تذهب أميرة معها .

عامر بنبرة تهديد : إن سمعت هذا الكلام مجدداً ، فسأمنع أريج من
الذهاب إلى الجامعة .

كريمة وقفت وقالت بغضب : الأمر لا يستدعي كل هذا الغضب ،
أنت تجن من أتفه الأمور ...

ذهب عامر من أمامها وصعد على الدرج بغضبٍ نحو غرفته ،
ضرب الباب بقوةٍ ودخل قائلاً : هكذا إذاً ، تريدين الذهاب إلى
الجامعة .

نظرت أميرة في وجهه والدمع ينهمر على خديها ثم قالت : لست
أريد الذهاب لأي مكان ، أنا فقط شعرت بالفرحة عندما عرفت
أن جهودي لم تذهب سدىً .

عامر بأسلوبٍ ساخر : أية جهودٍ هذه ، ثم قال بنبرة غضب : لن
تذهبي لأي مكان ، مكانك الوحيد في هذا البيت .

أميرة باستغرابٍ وخوف : من قال لك أنني أريد الذهاب ...

عامر بصوتٍ عالٍ : أولاً محل مجوهرات والآن الجامعة .

أميرة تستجمع شجاعتها قائلةً : قلت لك لا أريد الذهاب ، و قد
تخليت عن حلمي منذ وقتٍ طويل ، فما الذي يغضبك ؟

عامر يوضح لها الأمر : أنتِ زوجتي وملكتي أنا وحدي ، وكل ما
أمرك به ستنفذه بدون نقاش .

أميرة بحزن : أنا أنفذ كل ما تطلبه مني و لا أناقشك بشيء ، فلماذا
هذا الغضب

يقاطعها عامر وهو يرمي الزهرية قائلاً : أنا أغار عليك ولا أريد
أن يراك أحدٌ في هذه المنطقة ، فلا تناقشيني في هذا الموضوع .

سكنت أميرة والتزمت الصمت بينما هو ظل يرمي الأشياء على
الأرض وهو يتكلم ويصرخ بغضب ، شعرت أميرة أن الجلوس معه
لن يفيدها فخرجت من الغرفة وعندما لاحظ أنها خرجت لحق بها
مسرعاً وأمسك بشعرها وشدها قائلاً : تتجاهلينني عندما أتحدث
معك .

أميرة تتألم : إتركني ، أنت لم تكن تتحدث بل كنت تكسر الأشياء .
عامر بصوتٍ مرتفع : سأكسر رأسك في المرة القادمة .
جاءت كريمة و ورائها أريج تركضان لسماع صراخهما .
كريمة تبعد يدي عامر عن أميرة وهي تصرخ قائلةً : إتركها ، هل
جننت .

ارتمت أميرة في حوض كريمة بخوفٍ وهلع ، و ذهب عامر بغضبٍ
تاركاً المنزل ،

كانت أميرة ترتجف من الخوف وهن يهدئنها .

أريج بنبرة حزن : لا تخافي نحن معك ، هو لن يعود إلا بعد أن يهدأ
غضبه .

كريمة بنبرة غضب : ظننت أنه سيتغير عندما يتزوج ولكنه ازداد
جنوناً ، لم يعد يحترم أحداً حتى نفسه .

أميرة بخوف : أنا لم أكن أعرف أنه هكذا

تقاطعها كريمة : بلى يا ابنتي ، هذا هو عامر الذي يحترمه كل
الناس ، لا يحترم أهله وزوجته ، فكلما ازداد ماله ازداد جنونه .

أريج تخاطب أميرة : كان يبدو سعيداً عندما أخبرنا عنك أول مرة
وقرر خطبتك ، اعتقدنا أن حبه لك سيعلمه التعامل مع الناس .

استغربت أميرة من كلامهن وظلت تفكر في نفسها : أظنه لم يعد
يحبني ، بل أظن أنه لم يحبيني من البداية .

كريمة تمسح على رأس أميرة قائلةً : لا تخافي منه ، بل حاولي
إصلاحه و علميه الحب والإحترام لربما يسمع منك ما لا يسمعه منا

ذهبت أميرة إلى غرفتها وبدأت بالبكاء .

عاد عامر قبل منتصف الليل و قد تلاشى غضبه ، دخل إلى الغرفة فوجد أميرة نائمة على الأرض و هزها بيده فاستيقظت بخوفٍ قائلةً :
ابتعد عني .

عامر بنبرةٍ عادية : لا تخافي ، لقد كانت مجرد نوبة غضبٍ ، و لم أستطع التحكم بأعصابي .

أميرة تواجهه قائلةً : نوبة غضبٍ تجعلك تضرب زوجتك وتهينها أمام أهلك ؟

عامر يناقشها من دون أن يعتذر أو يشعر بالأسف تجاهها : يجب أن تعرفي أنني لا أسمح لأحدٍ أن يتدخل في أموري الخاصة .

أميرة منصدمة : أمورك الخاصة ! أنا لست أموراً خاصةً في حياتك ، أنا زوجتك ، أنت حتى لم تسألني عن ما أحب وما أكره ، أنت تغضب فقط من كل شيء من دون أن تتأكد إن كان
يقاطعها عامر : أنتِ لا تعرفين شيئاً عن مشاعري تجاهكِ .

أميرة بنبرة غضبٍ وحزن : مالذي لا أعرفه بعد ؟

عامر بنبرة غضب : أنا أغار عليكِ ولا أريد أن يتدخل أحدٌ بهذا الأمر ، أريدكِ لي وحدي و أردتكِ لي من أول لحظةٍ رأيتكِ فيها .
فهمت أميرة كل شيءٍ كانت تريد أن تعرفه فقالت له : لم يكن حبك لي هو ماجعلك تختارني ، بل كانت أناانيتك وطمعك أو هذا ما يسمى حب التملك .

عامر بدأ صوته يعلو قائلاً : بل هذا هو الحب الحقيقي .

سكتت أميرة مغلقةً الموضوع لكي لا يغضب مجدداً و ذهبت للنوم .

بعد أيام في الصباح الباكر

استيقظ وجهاز نفسه مودعاً الرجل العجوز ليعود إلى أهله ويطمئن عليهم ، وعندما وصل سلم عليهم بشوق و استقبله الجميع بفرحة كبيرة .

جلس مروان معهم فحدثوه عن قصصهم وحدثهم عن قصته وكيف أن ذلك الرجل كريمٌ وطيب القلب و أن تلك الأسرة تعامله كفرٍ منها .

أخرج مروان المال من حقيبته وأعطاهم إياه وأخبرهم أن يحتفظوا به و يأخذوا منه كلما احتاجوا ، فقالت مريم : حفظك الله يا ولدي ، لقد عدت بمالٍ جيد ، والآن سنفرح بك .

مروان بابتسامة : لا يا أمي لا أستطيع الزواج الآن ، لأنني وعدت ذلك الرجل أنني سأعود إليه .

مريم بحزن : لماذا تفعل ذلك يا بني ؟

حميد يتدخل قائلاً : أنتِ لا تتركين له فرصة للحديث .

مروان بابتسامة : أعرف أنكم تنتظرون زفافي لتفرحوا بي ، ولكني لن أخذل ذلك الرجل فقد أكرمني وعاملني كأنني ابنه وقد علمني أشياء كثيرة .

حميد بفخر : أفعل ما تراه مناسباً ، فأنتِ فعلت الصواب .

شكر والده ثم سألهم عن سارة فطمأنوه عليها .

مروان : يجب أن أذهب غداً لزيارتها وأخبرها أن زواجنا سيتأخر
بعض الوقت .

وفي اليوم التالي ذهب مروان لزيارة سارة وعندما وصل إلى بيت
عمه تفاجأوا بوجوده ولكن سارة لم تعرف ذلك .
أسماء : سأنادي سارة إنها في المطبخ .

مروان : لا يا عمتي ، إن لم تمانعا سأذهب إليها بنفسني .
ضحكا و سمحا له بالذهاب إليها فصعد على الدرج وهو يسعل لتنتبه
سارة لوجوده ، سمعت الصوت ولكنها كانت شاردة ولم تتوقع
وجوده وعندما رآته واقفاً في باب المطبخ وهو يقول : هل أنتِ
موافقةٌ على طلبني .

تفاجأت سارة و وقفت بفرحةٍ وهي تهز رأسها بالموافقة غير
مصدقةٍ أنه يقف أمامها .

أخرج مروان يده من وراءه وفيها باقة ورد وقدمها لسارة قائلاً :
أعرف أنكِ أجمل منها ولكنها ستصبح جميلةً معكِ .

أمسكت سارة الورد بخجل وهي تقول : شكراً لك ، ثم نظرت إليه
نظرة حزن وقالت : أين كنت ؟

مروان باستغراب : ألم يخبروكي أنني ذهبت للعمل لكي
قاطعته قائلةً : بلى أخبروني بذلك .

فهم مروان أنها تقصد شوقها له وحزنها على فراقه ، و ليس مكان
عمله ، ثم ابتسم وقال : هل اشتقتِ لي ؟

ابتسمت سارة و ارتبكت قائلةً : لن نتكلم ونحن واقفين في المطبخ ،
إنزل وأنا سألحق بك .

نزل مروان إلى المجلس وذهبت سارة لتبديل ملابسها ثم عادت للجلوس معهم .

تحدث الجميع عن أمورهم وتبادلوا القصص ، تذكرت سارة نتيجتها في المدرسة فقالت لمروان أن علاماتها عالية و ممتازة ، فرح مروان بذلك الخبر من أعماق قلبه وبارك لها و وعدها أنه سيشتري لها هدية النجاح .

وقبل أن يذهب مروان قال له عمه سنترك لكما وقتاً للتحدثنا ، نحن خارجان ، تذكر مروان أن سارة أخبرته ذلك اليوم عن حلمها في فتح مشروعها الخاص ولكنها لم تخبره ماهو ، ثم سألتها ..
سارة بابتسامة بريئة : كنت أحلم أن أكون مصممة أزياء وأخيط تصاميمي بنفسي ...

يقاطعها مروان : لماذا تقولين (كنت) ؟ ألم تعودي ترغبين بذلك ؟

سارة بنبرة قناعة : كان قد وعدني والداي أنهما سيشتريان لي ماكينة الخياطة عندما أكمل دراستي ، ولكنهما يمران بأوقاتٍ صعبةٍ كلما أرادا شراءها لذلك طلبا مني أن أصبر قليلاً بعد .

مروان باستغراب : هل تستطيعين الخياط ؟ أعني أنك لم تخطي شيئاً من قبل .

سارة بابتسامة : بلى أستطيع ، وقد جربت صناعة تصميمٍ صغير بالإبرة والخيط ، الأمر يحتاج فقط للإصرار والعزيمة .

نظر مروان إليها نظرة فخرٍ وقال : لا تتخلي عن حلمك أبداً .

سارة : أنا لم أتخلي عن حلمي ، ولكن تحقيقه سيتأخر قليلاً ، لذلك سأصبر إلى يحين الوقت .

مروان أخرج من جيبه بعض المال ومدّه لسارة قائلاً : هذا لكِ و إن احتجتِ أي شيءٍ في غيابي أخبري أبي أو أمي .

سارة أخذت المال وقالت بحزن : وأنت أين ستكون ؟

أخبرها مروان قصته مع الرجل وأنه سيعود لمواصلة العمل عنده ثم أضاف قائلاً : سأذهب غداً و ربما أتأخر في العودة ، ولكن لا تقلقي سأرسل لكِ هدية نجاحك مع أهلي عندما يأتون لزيارتك .

سارة تخرج مشاعرها بنبرة حزن : لكنني لا أحتاج الهدية ، أنا شعرت بالوحدة في غيابك ولم أكن أعرف كيف هي أحوالك ، وقد افتقدتك كثيراً .

فرح مروان لاعترافها ولكنه شعر بالحزن عليها وقال : أنا بخيرٍ مادمتِ تدعين لي ، ولكن يجب أن أذهب لأجمع المزيد من المال حتى نستطيع الزواج في أقرب وقت .

ابتسمت سارة : سأدعو لك طوال الوقت لتكون بخيرٍ دائماً ، ولكن لا تتأخر في العودة .

ذهب مروان وعاد لمنزله مسرعاً وأخذ بعض المال الذي كان قد طلب منهم الإحتفاظ به وطلب من والده الخروج معه إلى السوق .

حميد باستغراب : في هذا الوقت ؟ مالذي ستشتريه ؟

مروان بعجلةٍ من أمره : سأخبرك في الطريق ،

وبينما هما يمشيان قال مروان : سأشترى ماكينة خياطة ، هديةً لسارة بمناسبة نجاحها وتحقيقاً لحلمها .

حميد : ولكن ربما تكون الماكينة غاليةً .

مروان بابتسامة : لايهم سعرها فالمال يأتي ويذهب و سأعمل للحصول عليه ، ولكن السعادة التي سترسم على وجه سارة لا تقدر بثمن .

حميد بفخر : أنت تثبت لي أن تربيتنا لك أثمرت بالخير .
وجدا ماكينة خياطة يدوية وأخذها بسعرٍ غالٍ قليلاً ولكن مروان لم يهتم للسعر بقدر ماكان يهتم كيف سيفاجئ سارة بهذه الهدية .
عندما رجع مروان و والده إلى البيت قال لهم إن استطعتم زيارتها غداً خذوا هديتها معكم وإن لم تستطيعوا الذهاب جميعكم ليذهب بها أخي رامي .

رامي باستغراب : وكيف سأذهب أنا ؟

حميد : لا تقلق يا بني ، سأذهب أنا بنفسي ، سأطمئن عليهم وأعطيها الهدية .

في صباح اليوم التالي حزم مروان أمتعته ثم ودع أهله وذهب ، أما حميد فبعد أن أنهى أعماله ذهب لزيارة أخيه علي وأخذ الهدية لسارة ، وصل حميد وهو يحمل صندوقاً خشبياً كبيراً ، تفاجأ الكل من ذلك الصندوق .

حميد بابتسامة : هذه هدية مروان لسارة بمناسبة نجاحها وتفوقها ، ثم نظر باتجاه سارة قائلاً : إفتحها .

سارة بفرح وفضول تقترب نحو الصندوق وتفتحه ببطء ، وعندما رأت ما بداخله صرخت بفرحٍ شديد قائلةً : ماكينة خياطة !

كانت فرحتها بتلك الهدية لا توصف ، وقد اعتبرتها هدية عظيمة ولم تستطع أن تعبر عن مدى شكرها وامتنانها له ، في تلك اللحظة أدرك حميد معنى كلام ابنه مروان .

بارك الجميع لسارة وقال لها علي : لم أستطع أن أفي لك بوعدني ، لكنني كنت أدخر بعض المال و أجمع عليه منتظراً أن يكتمل المبلغ لأشتريها لك .

سارة بفرحة : لا بأس يا أبي ، لقد بذلت ما بوسعك لتحقيق ..

يقاطعها علي قائلاً : لكن ذلك المال من حقك الآن ، وسأشتري لك به قطعاً من القماش و أدوات الخياط .

سارة بفرحة : شكراً لك يا أبي ، ونظرت باتجاه عمها وقالت : شكراً لك .

حميد بابتسامة : لا تشكريني ، بل اشكري مروان فهو لم يذهب إلا بعد أن تأكد أننا سنحضرها لك .

شعرت سارة بالخجل و كانت ممتنةً من مروان وازدادت له حباً واحتراماً ، تفكر في نفسها : لقد بحث عن ما يسعدني ليحققه لي ، أنا حقاً محظوظةً لحصولي عليه ، أنا امتلكت جوهرةً ثمينةً ولم أكن أقدر قيمتها .

ذهب علي إلى السوق واشترى أقمشةً مختلفة الألوان والأنواع وأخذ جميع أدوات الخياطة من مقص و أزرار و ألوان عديدة من الخيط والخرز الملون و أشياء أخرى ، فرحت سارة بذلك كثيراً و رتبت مكاناً من غرفتها للماكينة وأشياءها وبدأت تفك بعض الملابس القديمة لتتعلم طريقة قصها وقياساتها ، بذلت مجهوداً كبيراً و علمت نفسها بنفسها وأضافت بعض التعديلات بطريقتها الخاصة ، وبعد أسابيع..

سارة بفرحة : لقد انتهيت من تطريزه سأفاجئ أمي .

في تلك اللحظة جائت أسماء : العشاء جاهز تعالي لنتعشى و
ستكملين الباقي غداً .

سارة تخبئ الفستان وراءها وتقرب نحو أمها قائلةً : لدي مفاجأة لكِ

.

أخرجت الفستان من وراءها و رفعته لتري أمها وقالت : هذا لكِ يا
أمي .

نظرت إليه أسماء بتمعن وأعجبها كثيراً من حيث تصميمه وطريقة
تطريزه وألوانه

الجميلة ، تفاجأت من إبداع ابنتها ثم ضمتها وقبلتها و قالت : إنه
رائع جداً ، لم أكن أتوقع أن تصبح قطعة القماش فستاناً بهذا الجمال

.

سارة بفرحة : هل أعجبك يا أمي ؟

أسماء بفرحٍ وفخر : أعجبني كثيراً و سألبسه غداً في زفاف ابن
الجيران .

وفي اليوم التالي لبست أسماء الفستان للحفلة وعندما رأتها النساء
أعجبن به و انبهرن من تصميمه الجديد .

قالت امرأة : من أين اشتريتي هذا الفستان ، إنه جميل ، و لم أرى
مثل هذا التصميم من قبل .

أسماء بفخر : لقد صنعتها ابنتي سارة .

وقالت أخرى : هل ستصمم لي فستاناً مثله بلونٍ آخر ؟ و سأشتريه
منها .

فرحت أسماء بذلك ونادت ابنتها ، ثم سألتها إن كانت ستصمم مثله ، وافقت سارة بفرحة .

المرأة : أريده جاهزاً خلال أسبوع ، وسأعطيك ما تطلبين من المال

فرحت سارة بذلك ومن هنا بدأت مشوارها في هذا المشروع الصغير ، ولكنها لم تتوفق كثيراً فقد واجهت بعض المشاكل والصعوبات ، وعندما تطلب واحدةً فستاناً تتدخل النساء قائلات : إنها متعلمة وليست ماهرةً في الخياط ، لا تثقن بها ، تصاميمها مختلفة عن الموضة ، وكلامٌ فارغ ...

مما جعل بعض النساء ينفرن منها ويذهبن لغيرها ولم تكن تأتي إليها إلا واحدةً أو اثنتين ، والبعض يعجب بالتصميم ولكن عندما يعرفن أنها من صمته يضعن فيه العيوب بسبب الغيرة والحقد ، لكنها لم تستلم وكانت تعمل ليلاً نهاراً في أي طلبية تأتيها وتبتكر تصاميماً مختلفة لتثبت جدارتها أمام النساء ، وكان أهلها يدعمونها ويساعدونها في توفير كل ما تحتاجه .

في بيت عامر

كان جالساً بهدوء على كرسيه بعد أن عاد من عمله فجاءت إليه أمه والفرح بادٍ على وجهها وخلفها أميرة مبتسمةٌ بخجل ، نظر إليهما باستغراب وقال : مالذي جعلكما سعيدتين هكذا ؟

كريمة بفرحةٍ كبيرة : مبروكٌ عليك يا ولدي ، ستصبح أباً .

تفاجأ عامر ونظر بفرحةٍ نحو أميرة فهزت له رأسها بنعم وهي
تبتسم فقال عامر بفرحة : هل أنتما متأكدتان من كلامكما ؟
كريمة تؤكد له : لقد أجرينا لها فحص اختبار الحمل المنزلي وكانت
النتيجة إيجابية .

عامر وقف بفرحٍ قائلاً : سيصبح لدينا طفلٌ صغير في هذا البيت ،
سأشتري له ما يشاء من ألعابٍ وملابس ، ثم نظر في وجه أميرة
وقال إطلبي مني ما شئتِ هديةً بمناسبة هذا الخبر السعيد .

أميرة بفرحةٍ وخجل : لا أريد هديةً مادية ، أريد فقط أن أذهب
لزياره أختي ملاك فقد ولدت منذ أسبوعٍ وأخبرني والداي أن تأتي
لزيارتهم ، وقد اشتقت إليهم كثيراً .

عامر بابتسامة : لك ما تريدين ، سنذهب غداً لزيارة أختك .

أميرة بفرحة : هي في بيت والدي ، لقد أنجبت طفلها هناك
وستمكث عندهم طوال هذه الفترة .

كريمة بابتسامة : هذا جيد فأملك ستعتني بها وبصغيرها ، الأم لا
تعوض يا ابنتي وعطاءها لا حدود له ، و مهما كان الناس من حولنا
فهم لا يأخذون مكان الأم .

يتدخل عامر : لا تشجعيها بهذا الكلام ، لأنها ستطلب الذهاب إلى
والدتها عندما تحين ولادتها .

كريمة بنية صافية : لتذهب أينما تشاء فهي ابنتي وأنا أهتم براحتها .

و في اليوم التالي أخذ عامر بعض المال من الخزانة وذهب لشراء
بعض الهدايا لزيارة أهل أميرة ، واشترى لها عقداً جديداً من الذهب
بمناسبة حملها ، لبست أميرة أغلى ثيابها ومجوهراتها والعقد الجديد
كما أمرها عامر وجهزت نفسها ثم ركبا السيارة وانطلقا .

في الطريق عامر ينبه أميرة قائلاً : سنجلس بعض الوقت فقط ثم نغادر ، ولا أريد منك أن تطلبي البقاء أكثر مثل المرة السابقة .

أميرة باستغراب : هذه ثاني زيارة لنا منذ أن تزوجنا ، نحن نغيب عنهم فترةً طويلةً فلماذا لا تريد الجلوس كثيراً ؟

عامر بنبرة حادة : أنتِ زوجة عامر بن العقيد ولستِ مثل أي امرأة عادية ، لذلك يجب أن تتعلمي قواعد الأغنياء وطريقة تعاملهم مع الناس بفخرٍ و كبرياء .

أميرة بحزن : ولكنهم أهلي وليسوا غرباء لأتعامل معهم بهذه الطريقة .

بدأ يتغير أسلوب كلامه قائلاً : إن كنتِ ستناقشينني طوال الطريق فسنعود إلى المنزل الآن بدون زيارة أحد .

أميرة تستسلم للأمر الواقع قائلةً : حسناً لن أناقشك أبداً ، سأفعل ما تريد .

عامر بابتسامة نصر : هكذا أريدك أن تكوني .

عندما وصلا إلى بيت والدها دخلا وسط استقبالٍ وترحيبٍ وسلما على الأهل والأقارب وقدم عامر الهدايا لوالدي أميرة وجلس في مجلس الرجال ، أما أميرة دخلت مجلس النساء وسلمت عليهن ، ثم سلمت على أختها وقدمت لها أكياساً مليئةً بملابس وهدايا المواليد ، جلست بجانب أختها و النساء ينظرن لها كيف أصبحت أكثر جمالاً وأناقةً و هي ترتدي أفخر الثياب والمجوهرات .

أميرة تنظر لطفل أختها بفرحة : إنه يشبهك يا أختي .

ملاك تبتم قائلةً : بل يشبه والده أكثر ، ثم أمعنت النظر في وجه أميرة وقالت : يبدو أن وزنك ازداد قليلاً ، تبدين سمينَةً بعض الشيء ، وهذا العقد على رقبتك يبدو جديداً .

ابتسمت أميرة بخجل وقالت بصوتٍ خافت : نعم ، أهداني إياه عامر لأنني حامل ...

تقاطعها ملاك بفرحة : حامل !! وأما سمعت ذلك و شعرت بالفرحة وباركتها .

ملاك تضحك قائلةً : حملت و وضعت ولم أحصل على أي هدية من زوجي .

أميرة تبتم في وجه أختها و تقول في نفسها : أنتِ لا تعلمين كم أنا متضايقَةٌ من هذه الأشياء ،

ثم سألتهن : ماهي أحوال سارة ، هل تعرفن عنها شيئاً ؟

إيمان تشتاق إليها قائلةً : لا يا ابنتي ، منذ أن تزوجتِ أنتِ و ذهبتِ لم تعد سارة تأتي إلينا .

تتدخل ملاك قائلةً : ولكن إن كنتِ ستبقين هنا سنرسل لها أحد الأولاد ليخبرها بمجيبك .

أميرة بحزن : أنا لن أبقى هنا كثيراً ، ولكن في زيارتي القادمة سأصل بكم لتخبروها قبل مجيئي ، فقد اشتقت إليها كثيراً .

لم تمر سوى ثلاث ساعات على وصولهما حتى اهتز هاتف أميرة تنبيهاً بالرسالة " استعدي للذهاب " ، قرأت الرسالة ونهضت من فورها تودع أهلها و تجهز نفسها استعداداً للذهاب .

إيمان باستغراب : إلى أين يا ابنتي ، وصلتِ قبل قليل وتريدين الذهاب بهذه السرعة !

ملاك تنادىها قائلةً : نحن لا نراكِ إلا مرةً كل عدة أشهر ، على الأقل
ابقي معنا حتى الغد ...

تقاطعها أميرة بابتسامةٍ مصطنعة وهي تقول : في المرة القادمة يا
أختي .

ذهبت أميرة مودعةً أهلها بابتسامة وقلبها حزينٌ على فراقهم ولكنها
لا تستطيع مواجهة غضب عامر و الجدل معه بخصوص هذا
الموضوع .

في محل الرجل العجوز ، و بعد أن أصبح وجهةً لكل المشتريين
وازداد توسعاً وأصبحت بضاعته أكثر تنوعاً و حاجة الناس لها
تزداد يوماً بعد يوم ، قرر الرجل بناء الطابق الثاني ليكون خاصاً
بالأدوات الكهربائية وفعل ذلك خلال أسابيع ، وكان يبحث عن كل
ما يمكن للناس الإستفادة منه ويأتي به إلى متجره ويحرص دائماً
على التعامل مع الناس بالأخلاق والإحترام قبل البيع والشراء ،
صنع لنفسه اسماً عظيماً بين التجار ، ولم يكن ينسى أبداً جهود
مروان وذلك الشاب بل كان يكافئهما على كل أتعابهما بغض النظر
عن أجرهما الشهري ، ثم وظف شاباً آخرين ليكون كل واحدٍ منهم
مكلفاً بقسمٍ خاص وذلك بعد اختبار أمانتهم وصدقهم وكفائتهم في
العمل وبنى لهم شقةً بجانب المتجر ليكونوا قريبين منه و يتمكنوا
من حراسته في نفس الوقت .

وذات يومٍ قرر مروان أن يودع الرجل ويأخذ ما جمع من المال لكي
يعود لأهله ويتزوج .

الرجل بحزن : كيف تريد أن تتركني وتذهب ، مر عامٌ على مجيئك إلي ، وقد اعتدت عليك يا بني ولا أريد أن تفارقني .

مروان بأسف : حتى أنا اعتدت عليك و أحببتك مثل والدي ، ولكن لدي أهلٌ أريد أن أعود إليهم وفتاةٌ تنتظرني لنتزوج ..

يقاطعه الرجل بفرحة : هكذا إذاً ، تريد أن تتزوج ، ثم أخرج من جيبه بعض المال و وضعه في يد مروان وقال : هذا سيساعدك قليلاً في تحضيرات الزفاف .

مروان يرفض بخجل : لا أستطيع أخذه يا عم ...

يصر الرجل واضعاً المال في جيب مروان : بل ستأخذه ، هذه هديتي لك بمناسبة زواجك ، و أنت تعتبرني مثل أبيك فلماذا ترفض طلب أبيك ؟

قبل مروان المال وشكر الرجل على اهتمامه و عطاءه .

الرجل بابتسامة : عد إلينا سريعاً ، ولا تطل الغياب .

مروان بابتسامة حزن : ولكن لن أعود هذه المرة ، فأنا لدي أشياء أخرى أريد إنجازها ، وأنت الآن لم تعد تحتاجني فقد أصبح لديك الكثير من العمال .

الرجل بحزن : أنا أحتاج إليك مهما كثر العمال في متجري ، فقد كان لك فضلٌ كبير في توسع تجارتي ولن أنسى لك ذلك ، لهذا يجب أن تظل معي .

مروان بحزنٍ وأسف : لا أستطيع ، فأنا سأتزوج ، و أريد أن أكمل دراستي في الجامعة .

الرجل بحزن : أنا لا أجبرك على شيء ولكنني أتمنى حقاً أن تعود للعمل عندي فأنا أخطط لافتتاح أقسامٍ جديدة ، يمكنك تأجيل دراستك

قليلاً أما زوجتك فيمكنك إحضارها إلى هنا وسأبني مطبخاً بجانب تلك الغرفة والحمام ويمكنك المكوث فيها .

مروان بأسف : أريد أن أكمل دراستي وبعد ذلك سأبحث عن عمل ، ولكنني الآن محتارٌ في أمري ...

يقاطعه الرجل قائلاً : لا تشغل بالك بشيءٍ الآن ، تزوج أولاً ثم فكر بالأمر ملياً لعلك تتخذ قراراً صائباً .

مروان بابتسامة : معك حق ، سأتزوج وبعد ذلك سأفكر في الأمر .

ذهب مروان وهو حزينٌ على فراق ذلك الرجل ولكن حزنه تلاشى عندما عاد إلى منزله وأهله وابتهج الجميع بعودته واستقبلوه بفرحة ، وكان من أول الأشياء التي سأل عنها هو كيف كان شعور سارة عندما أعطوها ماكينة الخياطة ؟

حميد بابتسامة : لقد فرحت كثيراً وكأنها ملكت العالم بتلك الهدية .

شعر مروان بالسعادة لسماع هذا الكلام ثم أخبرهم أنه قد جمع ما يكفي من المال و عاد ليتزوج ، فرح الجميع بهذا الخبر و امتلأ البيت بأصوات الزغاريد .

في اليوم التالي ذهبوا لزيارة سارة و والديها لإبلاغهم بعودة مروان وتحديد موعد الزفاف ، فرحت سارة بعودة مروان كثيراً و عبرت له عن شوقها و شكرته على هدية نجاحها .

مروان بفرحة : حقاً ، وكم واحداً صنعتِ ؟

سارة بفرحٍ شديد : حوالي خمسة عشر فستاناً وكلهم من تصميمي الخاص .

تتدخل أسماء قائلةً : صحيحٌ أن بعضهن لا يقتنعن بالفكرة ولكن سارة لا تستسلم أبداً .

حميد يشارك في النقاش : عندما تعيش سارة معنا سنفتح لها محلاً
لبيع تصاميمها .

مريم تؤيد الفكرة : سيكون ذلك رائعاً وأنا سأكون أول زبونةٍ عندها

ضحكت سارة قائلةً : بلا شك ، وسأعطيك أجمل فستانٍ مجاناً .

تناقشوا في بعض المواضيع ثم حددوا موعداً للزفاف و اتفقوا على
المبلغ المحدد والمهر و أشياء كهذه ، وقدم مروان لسارة بعض
المجوهرات و عقداً من الذهب لزفافها .

بدأت سارة تجهز لزفافها وتنتقي ملابسها و مجوهراتها و قاموا
بترتيب البيت استعداداً لحفلة الزفاف .

جهز مروان وأهله البيت وجددوا بعض الأشياء القديمة و غيروا
أثاث غرفة مروان و طلاءها وكانت السعادة تغمرهم في كل ما
يفعلونه .

مروان بسعادة : لا أصدق أن هذه غرفتي ، لقد أصبحت جميلةً
للغاية .

ريم تضحك قائلةً : صدق يا أخي أنها غرفتك ، أما أنا فلست أصدق
أنك ستتزوج .

مروان يقرصها على أذنها بمزحة : متى ستتزوجين و نرتاح من
تدخلك في كل شيء .

ريم تمسك أذنها وتركض قائلةً : لن أتزوج ، سأضل هنا لكي أتدخل
وَأز عجبك دائماً ،

ثم اختبأت خلف والدتها التي تطوي الملابس و مروان يلحق بها
وهما يضحكان وقال مروان : ابنتك مزعجة يا أمي ، ما رأيك أن
تزوجها لتخلص منها .

ريم تستفزه من وراء أمها : لن يتحقق لك ذلك .

مريم بهدوء : لقد طلبها صديق والدك لابنه في غيابك ، ولكنها
رفضته ، و هو أيضاً لم يكن يريد لها فقط والده كان يريد أن يصاهر
والدك .

مروان بجدية : من الأفضل أنها رفضت ، فعندما يتزوج الشخص
فتاة لا يريد لها قد تحدث خلافات كبيرة وتنتهي بطلاقهما .

ريم تتدخل من وراء والدتها : ألم تكن تريد التخلص مني قبل قليل ؟
مروان يهمز لأمه وهو يقول : سأذهب إليه وأخبره أنها موافقة على
الزواج منه .

صرخت ريم قائلة : لا ، أنا آسفة يا أخي ، لم أكن أقصد إزعاجك .
انفجر مروان من الضحك وقال : لست غيباً لأفعل ذلك ، أنا فقط
أغيظك .

مريم تضع الملابس في الخزانة وهي تقول : هل ستركضان في
البيت طوال الوقت كالأطفال ، لدينا زفاف بعد أسابيع ونريد أن
يكون كل شيء جاهزاً .

مروان يقبل رأس والدته قائلاً : نحن نهتم بكل شيء ، والبيت أصبح
جاهزاً نوعاً ما .

مريم بعطف : أنت لم تشتري بعد ملابساً جديدةً لزفافك .

مروان بابتسامة : سأخرج اليوم مع صديقي هشام وسأشتري لي كل
ما أحتاج .

ذهب مروان إلى صديقه هشام وخرج معه إلى السوق واشترى بعض الملابس له وبعض الملابس لعائلته بمناسبة زفافه و بينما هما يمشيان ويتحدثان .

هشام بتردد : كنت أريد أن أتكلم معك بموضوعٍ مهم وأريد أن أعرف رأيك ...

يقاطعه مروان : تكلم باختصار فليس بيننا إذن للكلام .

هشام توقف عن المشي وقال : كنت أريد أن أتقدم لخطبة أختك إن لم تمانعوا .

مروان بفرحة : تتقدم لخطبة أختي ! هذا يسرني كثيراً ، فأنا لن أجد لأختي شاباً أفضل منك .

ابتسم هشام وشعر بالراحة من كلام مروان ثم قال له : إذا سأخبر أهلي لنزورك في أقرب وقت .

مروان بابتسامة : أهلاً بك متى شئت ، فأنت أخٌ وصديقٌ عزيزٌ علي .

عاد مروان إلى البيت وقدم الهدايا والملابس لأهله ثم أخبرهم بطلب صديقه ليد ريم وسألوها عن رأيها به ، تفاجأت ريم من ذلك وترددت في اتخاذ قرارها ، ولكن مروان أقنعها بأنها لن تجد شاباً أفضل من هشام وقال لها : أنا أعرفه جيداً ، فهو وفئٌ ومخلص وهو طيب القلب كما أنه لن يقصر بحقكٍ مهما كانت ظروفه ، أنا أحترمه وأقدره كثيراً وقد وافقتُ عليه والقرار بيدك الآن .

تأثرت ريم بكلام أخيها و فكرت ملياً ثم وافقت عليه بكل قناعة .

الفصل الثامن

أميرة تتحدث عبر الهاتف : أنا سعيدة جداً لأجلها وأتمنى لو أستطيع مشاركتها فرحتها .

على الجانب الآخر إيمان : لماذا لا تستطيعين ، ألن تحضري زفاف صديقتك المفضلة ، وقد حضرت زفافك .

أميرة تتحجج قائلةً : عامر لديه أعمال كثيرة وهو مشغول هذه الفترة ، وأنا مرهقة بسبب الحمل وربما لا أستطيع الحضور .

إيمان : ولكنها ستفرح كثيراً بحضورك يا ابنتي .

أميرة تخفي حزنها قائلةً : إن لم أستطع حضور زفافها فأنت ستبلغينها سلامي ومباركتي لها ، وإن استطعت أخذ هدية معك سأكون ممنونة لك .

إيمان باستغراب : لماذا تقولين ذلك ، جعلتني أفكر أنك تتهربين من رؤية سارة ...

تقاطعها أميرة : لا ، الأمر ليس هكذا ولكنني لا أدري إن كنت سأتي أم لا لذلك قلت لك هذا الكلام .

إيمان : هناك وقت حتى زفافها لذلك يجب عليك أن تجهزي نفسك لحضوره .

أميرة تحاول أن تنهي المكالمة فقالت : مع السلامة يا أمي ، سأذهب لمساعدة حماتي في تجهيز العشاء .

إيمان بابتسامة : مع السلامة يا ابنتي .

تركت أميرة الهاتف من يدها و المشاعر تختلط في قلبها ، الفرح لأن صديقتها ستتزوج والحزن لأنها تعلم أن عامر لن يسمح لها بالذهاب لحفلة الزفاف ، ثم نزلت من غرفتها متجهةً نحو المطبخ تمشي ببطءٍ عل الدرج فلفت انتباهها عمر وهو يركض ليفتح باب المنزل ، هناك من يطرق الباب بشدةٍ وهلع ، أريج خرجت من غرفتها و جاءت كريمة من المطبخ .

فتح عمر الباب فدخلت رانيا تركض نحو أمها مسرعةً وهي تبكي بشدةٍ وتنظر وراءها كأن هناك من يطاردها ، و كانت هناك آثار كدماتٍ على وجهها والدم يسيل من أنفها ، تفاجأ الكل من حالها وشعروا بالخوف عليها .

كريمة تضمها وهي تطبطب على ظهرها وتحاول أن تهدئها : أنا معكِ يا ابنتي ولن يحدث لكِ شيء ، ولكن أخبريني من الذي فعل هذا بكِ .

رانيا ترتجف ولكنها لا تقول شيئاً ، وهم من حولها يستغربون ويحاولون مساعدتها لتهدأ ، في تلك اللحظات جاء عامر من العمل و كان يبدو هادئاً و لكن ملامحه تغيرت عندما رأى الصمت والخوف على وجوههم وعندما اقترب ورأى حال رانيا جن جنونه و اشتعل غضبه .

عامر ينظر في وجوههم بغضبٍ شديد : مالذي حدث هنا ؟
كريمة : نحن لا نعلم شيئاً ، لقد جاءت قبل قليل وهي على هذه الحال .

عامر يوجه كلامه لرانيا : من الذي فعل بكِ هذا ، أخبريني
وسأسحقه بيدي .

قالت رانيا وهي تبكي : أنا لم أعد أريد أن يستمر هذا الزواج .

ثم بدأت تقص عليهم القصة : لقد كنت على جدالٍ مع فارس و اليوم
عندما عاد من العمل كان يبدو غاضباً و أظن أنه لم يكن بوعيه وقد
قال لي ...

فارس بغضب : أنتِ لا تتفعين بشيئ ، متى سأستفيد من زواجي بكِ

رانيا بنبرة استفزاز : أنا التي لا أستفيد منك شيئاً ، ثم نظرت إليه
وقالت : أمازلت غاضباً لأننا لم نرزق بطفل ؟

فارس يرمي الأطباق من على الطاولة : نعم أنا غاضب ، لأنكِ لا
تستطيعين أن تحملي فأنتِ عاقر .

رانيا بغضب : ومن قال أنني العاقر ، ربما تكون أنتِ .

فارس بسخرية : انظري لزوجة أخيك ، تزوجت من بعدكِ وهاهي
حامل .

رانيا تثور غضباً و تدفعه قائلةً : وما دخلك أنتِ بها وبحملها .

فارس يخرج ملابس رانيا من الخزانة ويرميها على الأرض قائلاً :
أذهبي من أمامي ، لا أريد أن أرى وجهكِ ثانيةً ، عودي من حيث
أتيتي .

رانيا بغرور : سأذهب وأعود لأهلي ، فكل ما أملكه هو بفضل أهلي
وليس بفضلك أنتِ .

فارس يضربها على وجهها قائلاً : أهلك هؤلاء مثلكِ ليس لهم أي
فائدة ، هيا اغربي عن وجهي فقد مللت من تصرفاتكِ وسأريك الآن
عاقبة غروركِ ،

بدأ يضربها وهي تصرخ حتى تجمعت نساء البيت بأكمله عليهما
ولكنهن وقفن للمشاهدة ولم يتدخلن بشيء .

رانيا تصرخ وتدافع عن نفسها ولكنه يستمر في ضربها وهو يقول :
أنا لم أحبك يوماً ولن أحبك ما حييت ، أنا تزوجتك فقط من أجل
ثروتك ومال أخيك و ليس حباً لك .

كانت أمه تهز رأسها موافقةً على كلامه ولم تمنعه عن ضربها حتى
بكلمة صغيرة .

أفلتت رانيا من يده وركضت خارجةً وهو يلحق بها ويقول : لقد
تزوجتك لأحصل على ثروتكم ولكنني لم أحصل على شيءٍ غير
النكد من زواجي بك .

تنهي رانيا القصة وهي تقول : تزوجني طمعاً بأملاكنا وكان يستهين
بك يا أخي .

عامر يصرخ بأعلى صوته والغضب كالشرر في عينيه : ذلك الوغد
، سأريه من يكون عامر .

اتجه عامر خارجاً من المنزل والغضب يسيطر عليه و أمه تركض
وراءه : إنتظر يا ولدي مالذي ستفعله ، عامر ، عامر ...

لكنه لم يرد عليها و أكمل طريقه ، فعادت كريمة إلى رانيا وهي
تقول : لم يكن هناك داعٍ لكل هذا الكلام ، لقد جعلت أخوك يخرج
غاضباً ولا ندري إلى أين سيذهب ،

ثم قالت وهي تلطم خديها بقلقٍ وتمشي ذهاباً وإياباً : ربما يرتكب
جريمةً بسبب غضبه .

أريج بخوف : تضم أمها قائلةً : ادعي أن لا يفعل ذلك يا أمي .

رانيا بدمٍ بارد : ليفعل ، المهم أن يأخذ لي حقي من فارس ويرد لي
كرامتي .

كريمة تصرخ عليها بغضب : إسكتي قبل أن أرتكب أنا جريمةً بحقكِ ، لم تستمعي لنا عندما كنا نقول لكِ سنسأل عنه قبل أن توافقي عليه ، ولكنكِ كنتِ مجنوناً به و تعتقدين أنكما تحبان بعضكما .

رانيا تجادل أمها : لقد كنا نحب بعضنا ، ثم التفتت باتجاه أميرة وقالت بغضب : لقد عيرني بالعقم ، و هذا كله بسببكِ أنتي وحملكِ .

تفاجأوا من كلامها ونظروا إليها باشمئزاز بسبب وقاحتها ، ضربت كريمة رأسها بيدها وقالت : لقد جنت ابنتي وأصبح كل من حولها مذنباً .

عمر أمسك والدته قائلاً : إهدئي يا أمي ، لا تزعجي نفسك بكلامها . أميرة تنظر لرانيا بشفقةٍ واستغراب وهي تقول : وما ذنبي أنا في كل ما يحدث معكِ .

رانيا تصرخ في وجه أميرة قائلةً : إن لم تكوني حامل ، ما كانت حدثت كل هذه المشاكل .

صرخت كريمة في وجه رانيا : أنت تستحقين كل ما يحدث لكِ فأنتِ وقحةٌ وليس لديكِ احترام .

ذهبت رانيا إلى غرفتها بغضب ، وظل الجميع ينتظرون عودة عامر والقلق يأكل أعصابهم .

عامر يتعارك مع فارس في بيته وهما يلقيان اللوم على بعضهما . عامر بغضب : تستهين بي ، سأريك الآن من هو عامر ، سأجعلك تنتمي لو لم تعرفني في حياتك .

فارس يدافع عن نفسه بيديه ويقول : لقد جعلت أختك حياتي جحيماً منذ أن تزوجتها ، فهي لا تنفك تتفاخر بكل صغيرةٍ وكبيرة .

عامر يضربه بغضب : أنت أيها الحقير تزوجتها من أجل المال
والثروة .

يصرخ فارس قائلاً : نعم فعلت ذلك ، ولكنني لم أحصل على شيء ،
ولم أعد أريد تلك الحية زوجةً لي .

عامر بصوتٍ عالٍ : إذاً طلقها وسنجد لها أفضل منك أيها الجبان .

ضربه عامر ضرباً مبرحاً حتى وقع على الأرض ولم يستطع
النهوض فتركه وعاد إلى المنزل غاضباً وآثار الكدمات على وجهه
و جسده ،

ركضت أمه نحوه قائلةً : أين كنت يا ولدي ، مالذي فعلته ؟

عامر بنبرة غضب : ضربت فارس ولكنني لم أشفي غليلي منه بعد

.

كريمة تضم عامر وتقبله على رأسه بخوف قائلةً : أرجوك يا ولدي
لا تكن متهوراً في تصرفاتك ، كل شيءٍ يحل بالنقاش ، دعنا ننهي
هذه المشكلة بالعقل و ليس بالعنف والضرب .

عامر ينظر في وجه أمه ويقول بثقة : لقد علمته درساً لن ينساه ، و
سوف يطلق رانيا ولن تعود إليه مجدداً .

تطلقت رانيا وعادت إلى بيت أهلها وعاد كل شيءٍ كما كان ، أما
فارس فلم يسمعوا عنه أي شيءٍ بعد أن طلقها ، ولكنها لم تتعلم شيئاً
من كل ما حدث معها بل ظلت محافظةً على أسلوبها و وقاحتها و
كانت تبحث عن كل مايزعج أميرة لتضايقها و تنغص عليها ، ولكن
أميرة كانت تتعامل معها باحترام و تحاول أن تظل هادئة .

أصوات الزغاريد تملأ البيت و النساء يتجمعن حولها وهي جالسة على منصتها بكل خجلٍ و وقارٍ و الرقص والأغاني في كل أنحاء البيت يزيد من جمال الحفلة .

أسماء تهمس في أذن سارة : كل أشياءك وحقائبك جاهزة وعندما يصلون سيضعونها في السيارة كما اتفقنا مع مروان .

سارة تبتسم براحة وقالت : حفظك الله يا أمي .

وصلت إيمان وملاك ودخلن ليسلمن على سارة فدمعت عين إيمان وهي تنتظر لسارة بفتانها الأبيض وذلك الجمال الأسر ، مرت بين زحمة النساء حتى وصلت إلى العروس .

سارة ترحب بها و تسلم عليها بفرحٍ وهي تنتظر أن تظهر أميرة من خلفها .

إيمان تمد لها كيساً كبيراً مزيناً بالورد وهي تقول : أميرة تبارك لك بزواجك ، هي لم تستطع الحضور بسبب تعب الحمل ولكنها أرسلت لك هذه الهدية .

شعرت سارة بالحزن لأن صديقتها العزيزة لم تتمكن من حضور زفافها ولكنها قدرت ظروفها و شكرت إيمان على الهدية .

وصل مروان و أهله فدخلت أمه وأختيه ، سلمن على سارة وجلسن مع بقية النساء بينما كان مروان جالساً مع الرجال إلى أن يحين وقت دخوله لأخذ سارة .

خرجت ريم لتتكلم مع مروان و طلبت من أيمن مناداته للمجيئ .

جاء مروان مبتسماً و وجهه بشوشٌ ومبتهج ثم أشر بيده لريم وقال :
ماذا تريدين ؟

ريم تهمز له وهي تقول : فقط زوجتك تنتظر أن تدخل لنتقط لكما بعض الصور .

مروان ينظر لساعته ويسأل ريم : هل الكاميرا معك ؟

ريم تمسك بيده وتأخذه قائلةً : إنها مع ريم ، تفضل معي لأفسح لك الطريق .

دخلت ريم تفسح الطريق بين النساء ليتمكن مروان من الدخول إلى منصة العرس ، دخل مروان بكل أناقة وثقة ، تجمله ابتسامته الساحرة و تزيد وسامته تلك البدلة السوداء وربطة العنق ، وما إن لمح سارة وهي جالسة كالنجمة المضيئة في طرف المجلس لمعت عيناه وخطف جمالها انتباهه فأخذته خطواته المتسارعة باتجاهها وهو يبتسم لها و تبادلته الإبتسامة بخجل ، وقفت لتستقبله ثم جلس بجانبها وهو لا يصدق عينيه و لم يكن منتبهاً للنساء اللاتي ينظرن إليه ويتحدثن عنه .

..... متفاجئة : أهذا هو زوجها ؟ لم أكن أتوقعه هكذا .

..... تشرد بهما : إنظري كيف مشى إليها وكأنه لا يوجد سواها في المكان .

..... تضحك قائلةً : كاد يدوسني من دون أن ينتبه ، لقد سلبت عقله .

..... بحقد : إنها لا تستحق شاباً كهذا ، يبدو أنه مجنونٌ بها ، كم أتمنى أن يكون خطيبي مثله .

..... : خطيبك يحبك وقد تقدم لك بسبب حبه وجنونه بك .

..... بغرور : إنظري إليها كيف تبدو سعيدةً به ، وكأنها أول من تتزوج .

ريم تقدم كأسين من العصير وهي تقول بسعادة : سنلتقط لكما
صورةً وأنتما تشربان العصير .

ريما أمسكت الكاميرا وقالت بفرحة : قفا و ليشرب كلٌ منكما من
كأس الآخر بينما ألتقط لكما الصور .

وقفا ونظر كل واحدٍ باتجاه الآخر نظرة حبٍ و مودة وشربا العصير
ولبسا عقود الفل ثم رششن عليهما الورد وسط الزغاريد وهن
يلتقطن لهما الصور الفردية والعائلية و فرحتهم لا توصف .
ريما تهمس لمروان : هل وضعوا جميع الأشياء في السيارة ؟
مروان يجيبها : لقد أوكلت هذه المهمة لهشام و رامي و أظنهما
انتهيا من كل شيء .

ريما : أنا سأؤكد من ذلك ، لكي لا ننسى شيئاً عند ذهابنا .
تأكدت ريما من كل شيء وأصبح كل شيء جاهزاً للمغادرة و
السيارة التي ستأخذ العروسان وقفت في الخارج ومعها سيارة
أخرى لأهل العريس .

حان وقت الذهاب وبدأت الدموع بالتساقط وانخلطت المشاعر بين
حزنٍ وفرح ، يتصافح الجميع ويودعون بعضهم

علي يمسك يد مروان بحزن : أسلمك ابنتي الوحيدة ، وهي الآن
أمانةً في عنقك .

انفجرت سارة بالبكاء فضمتها أسماء وهي تبكي قائلةً : كوني له
زوجةً سالحةً يا ابنتي ، ثم نظرت لمروان وقالت : أنت مثل ابني
ولا تحتاج أن أوصيك بها .

مروان بثقة : سأضعها في عيني فلا تقلقا عليها .

علي يضم ابنته قائلاً : مع السلامة يا ابنتي ، كوني لهم ابنةً كما كنتِ لنا ، و اعنتي بمروان جيداً .

مروان يحاول أن يضحكها قائلاً : اسمعي عمي جيداً و اهتمي بي .

ابتسمت سارة والدمع في عينيها و قالت : حاضر يا أبي .

حميد : إنها ابنتنا و نحن أهلها ، فلا تقلق عليها يا أخي .

ريما تهدي سارة قائلةً : لا تبكي ، سيزول مكياجك .

يتدخل مروان قائلاً : ليس المكياج مهماً فأنا راضٍ بها كيفما كانت .

سارة تقبل رأس والديها والدمع ينهمر من عينيها : مع السلامة .

أسماء تمسح لها دموعها قائلةً : أستودعكم الله .

وضعت عباءةً على سارة ليغطيها و خرج الجميع بين أصوات الزغاريد وقرع الطبول والتصفيق ، خرجت سارة من بيت والدها و مروان يمسك بيدها و هن يمسكن فستانها ، خرجت بخطواتٍ بطيئةً تمر بها للأمام تاركةً خلفها كل ذكرياتها و طفولتها ، تجاوزت عتبة الباب لتطوي بها صفحةً من حياتها وتفتح أخرى ، ركبت السيارة مع مروان وعيناها تنتظران للبيت الذي يودعها بكل زواياه والنساء يلوحن لها من على السطح ومن النوافذ .

مروان يواسيها قائلاً : لا تبكي ، سنعود لزيارتهم متى شئت ، ثم قال ليضحكها : هل نعود الآن لزيارتهم .

ضحكت سارة ضحكةً خفيفةً وقالت : سأشتاق إليهم .

ظل مروان يحدثها طوال الطريق لينسيها حزنها على فراق أهلها وعندما وصلوا إلى البيت سبقهما البقية و استقبلوهما بالورد والزغاريد .

نزل مروان من السيارة وفتح الباب لسارة و مد لها يده وساعدها
على النزول ، علق فستان سارة في باب السيارة وهن ينتظرن
ليمسكن العروس ، التفتت سارة لتفكه فانحنى مروان وأفلت الفستان
، شعرت سارة بالخجل وقالت : كنت سأفعل ذلك بنفسى .
مروان يمسك بيدها ويبتسم قائلاً : أنا هنا لأفعل كل شيءٍ عنك ،
تدليلي فقط .

دخل الجميع والتم الجيران ليباركوا لهما وسلمت النساء على سارة
ورحبن بها .

ريما تهمس لسارة : أنت متعبةٌ لذلك لستِ مظطرةً للجلوس ، تعالي
سأريكِ غرفتكِ لترتاحي .

نهضت سارة وذهبت مع ريما إلى غرفتها ، ثم قالت ريما : أشياءك
وحقائبك كلها أصبحت هنا ، تفضلي بالجلوس بينما أحضر لك شيئاً
لتأكلي .

سارة بابتسامة : شكراً لكِ .

ريما : لا داعي للشكر ، نحن الآن أخوات ، و إن احتجتِ أي شيءٍ
لا تترددي في طلبه .

جاء مروان ورأى ريما خارجةً من الغرفة فقالت له : ماذا أحضرت
؟

مروان بيده كيسٌ كبير مليئٌ بالطعام فقال لها : أحضر هشام العشاء
الذي طلبته ، وسأذهب لأتغشى مع سارة .

ريما : من الجيد أنك أتيت ، لأن سارة ستكون جائعةً بعد هذا اليوم
الطويل .

دخل مروان إلى الغرفة بذلك الطعام و وضعه على الأرض أمام سارة ثم قال : تفضلي العشاء ، كلي ما تشائين .

مدت سارة يدها بخجل وأخذت لقمة صغيرة ، فأخذ مروان لقمة أكبر وأطعمها إياها ، نظرت إليه بخجل فقال لها : سأطعمك أنا لكي تشبعي ، وجهز لقمة أخرى .

سارة تمضغ اللقمة بصعوبة وهي تقول : لا ، سأكل بنفسي ، لم أستطع مضغ الأولى .

مروان يضحك قائلاً : حسناً ، تناولي الطعام على مهلك .

انتهيا من تناول الطعام فمدت سارة يديها لتأخذ البقايا وتضعها في القمامة ، أوقفها مروان وهو يقول : لا أريد أن تمسك هاتان اليدان المخضبتان أكياس القمامة .

سارة باستغرابٍ وخجل : لن أتركها على الأرض .. يقاطعها مروان : أنا سأخذها وأخرجها من هنا .

أخرج مروان تلك الأكياس و بقايا الطعام ، فقامت سارة لتنزع تلك الأشياء من على رأسها نزعت التاج والورود والمجوهرات ، وبينما هي تحاول نزع المشابك الصغيرة من شعرها دخل مروان وبدأ يساعدها بذلك .

مروان يتسائل : لماذا تنزع عينها ؟ هل أزعجتكِ ؟

سارة تشد شعرها قائلةً : إنها ثقيلةٌ و بدأت تضايقني ، لست معتادةً على ارتداء هذه الأشياء .

مروان يمسك يدها قائلاً : لا تسحبي شعركِ بعنف سيؤلمكِ رأسكِ .

توقفت سارة ونظرت باتجاهه نظرة استغرابٍ وحب ، كيف أنه يخشى عليها مالا تخشاه على نفسها .

انتهى من نزع كل المشابك فتدلى شعرها الطويل وهي جالسة حتى لامس الأرض ، استغرب مروان من جماله ونعومته فقال لها : أنه أجمل هكذا ، لا تربطيه أبداً أريد أن أراه هكذا دائماً .

سارة تبتسم بخجل : حسناً ، كما تشاء .

أخرج مروان علبةً من الخزانة وأعطها لسارة وهو يقول : هذه الهدية لكِ بمناسبة زواجنا .

فرحت سارة بتلك الهدية وفتحتها فوجدت سواراً ذهبياً رقيقاً نظرت إليه بفرحةٍ ثم التفت لمروان وقالت شاكرةً : هذه أجمل هديةٍ حصلت عليها في هذا اليوم .

مروان يرى الهدية أقل من أن تهدي لسارة وهو يقول : كنت أتمنى لو أعطيك أكثر ولكني قدمت لك ما أستطيع ، ثم ابتسم وقال : لكنني سعيدٌ لأنها أعجبتك .

شعرت سارة بالأسى عليه وقالت : قيمة الهدية ليست مهمة ، المهم أنك قدمتها بكل حب .

كان مروان سعيداً لحصوله أخيراً على حبيبته التي انتظرها طويلاً وكانت سارة لا تقل سعادةً عنه لأنها حصلت على شابٍ يقدرها ويحبها وهذا كل ما كانت تتمناه .

مر اليوم وأشرق الشمس معلنةً بداية يومٍ جديد فبدأ البيت بأكمله يشتعل فرحاً وتجهز الجميع استعداداً لاستقبال الضيوف والأهل والأقارب .

مريم تطرق باب الغرفة فيستقبلها مروان و سارة وهما بقمة الأناقة والجمال ، أطل مروان بملابسه الجديدة وخلفه تقف سارة مرتديةً فستاناً جميلاً وهادئ الألوان وشعرها مفروّداً على كتفها .

مريم بابتسامة : صباح الخير للعريسين ، ظننتكما ستنسيان أن لدينا اليوم حفلةً لأجلكما .

ردا عليها : صباح النور ، ثم قال مروان : لم ننسى وها نحن جاهزان لاستقبال كل الضيوف .

جاء أخوال مروان وخالاته وباركوا له بزواجه و تعرفوا على سارة التي تعاملت معهم باحترامٍ وأدب مما جعلهم يحترمونها ويحبونها ، ثم جاء والدا سارة وأخويها فاحتفل الجميع و ملأت الفرحة قلوبهم . عندما ذهب الضيوف بدأن بترتيب البيت وتنظيف تلك الفوضى التي خلفها الأطفال .

انتبهت ريم أن سارة تحاول مساعدتهن فقالت لها : مالذي تفعلينه ؟ أنتِ عروسٌ ويجب أن ترتاحي .

سارة بإصرار : أريد أن أساعدكن فالأعمال كثيرةٌ وسننجزها إن تعاوننا .

ريما : يا عزيزتي ريم معها حق ، أنتِ عروسٌ ويجب أن تكوني الآن في غرفتكِ ، هيا اذهبي ونحن سنقوم بهذه الأعمال .

ذهبت سارة إلى غرفتها و أخرجت ملابسها وأشياءها من الحقيبة ورتبتها في الخزانة ثم أخرجت الهدايا التي حصلت عليها لتفتحها ، جاء مروان وتلك الهدايا على الأرض فجلس بجانب سارة وقال : هل ستفتحين هذه الهدايا الآن ؟

سارة بتردد : إن كان ذلك يزعجك فسأتركها لوقتٍ آخر ..

يقاطعها مروان قائلاً : بالعكس أريد أن أرى ما فيها إن لم يكن لديك مانع .

سارة بابتسامة : ليس لدي مانع في ذلك ، بل سأكون سعيدة
بمشاركتك .

بدأت سارة بهدية أميرة فوجدت فيها فستاناً مطرزاً وغالياً وبجانبه
قلادةً منحوتةً عليها اسم (سارة) فدمعت عينها وهي تحاول إخفاء
حزنها عن مروان ولكنه انتبه لدمعتها وسألها عن السبب ؟

سارة حكّت له قصتهما بحزن ثم تنهدت وقالت : لقد كنا أختين ولم
نكن مجرد صديقتين ، وقد اشتقت إليها فأنا لم أرها منذ أن تزوجت .

شعر مروان بالأسى على سارة وقال لها : قد يأتي يومٌ يجمعكما من
جديد ، وإن استطعت مع الوقت سأخذكِ إليها .

وقفت سارة والفستان بيدها وقالت : أتمنى أن أراها قريباً ، ثم فردت
الفستان لتتنظر إليه كاملاً ف وقعت منه رسالة .

مروان يلتقطها من الأرض ويناولها لسارة قائلاً : هذه كانت داخل
الفستان .

أخذتها سارة بفرحةٍ وفتحتها ، قرأت مضمونها :

" صديقتي العزيزة .

كنت أتمنى أن أحضر زفافكِ ولكني لم أستطع ، فأتمنى أن تعذريني

أعرف أنكِ كنتِ تنتظريني و لكني متأكدةٌ أنكِ قدرتِ موقفي فأنتِ
الوحيدة التي تعرف ما في قلبي قبل أن يقوله لساني ، أنتِ الصديقة
التي لن أجد مثلها في أي مكان ، أنتِ الأخت التي كانت سنداً لي في
حياتي .

ستظلين في ذاكرتي مهما طال الغياب بيننا ، وستظلين أفضل
صديقةٍ إلى الأبد .

أتمنى لك أياماً سعيدةً و فرحاً دائماً .

صديقتك المخلصة أميرة .“

نزلت دموع سارة و ضمت الرسالة وهي تتذكر صديقتها ، ثم حاولت إخفاء ذلك الحزن و بدأت تفتح الهدايا الأخرى و مروان يساعدها ،

فتحا بقية الهدايا التي كانت تحتوي على الورد والهدايا الزجاجية والإكسسوارات ، و لكنها لم تكن مؤثرةً كهديّة أميرة .

مر شهرٌ على زواج سارة و بدأت أحوال مروان المادية تتناقص وبدأ يفكر كيف سيؤمن لسارة حياةً جيدة إن لم يكن يملك شيئاً .

مروان جالسٌ في غرفته و الهم يشغل باله ، دخلت سارة وهي تقول : هيا يا عزيزي العشاء جاهز إنهم ينتظرونك ، انتبهت سارة أنه مهمومٌ فجلست بجانبه و وضعت يدها على كتفه قائلةً : مابك ؟ مالذي يشغل بالك ؟

أمسك يدها و أجابها : سأخبرك لاحقاً ، دعينا نذهب لنتعشى .

جلست مع البقية على مائدة الطعام وكانت سارة تنتظر لمروان بحيرة وبالها مشغولٌ عليه و عندما انتهى الجميع من الأكل ذهبت سارة مع ريم إلى المطبخ و غسلت الصحون ثم عادت سارة مسرعةً إلى مروان وجلست بجانبه .

مروان يتنهد قائلاً : لا أدري ما أفعل أنا أريد أن أكمل دراستي وفي نفس الوقت لا أملك المال الكافي لذلك و لدي مسؤولياتٌ مترتبة عليّ

سارة تهده : سيفرجها الله ، لا تشغل بالك كثيراً ، ثم إنني سأواصل مشروعني هنا و ذلك سيساعدنا في توفير بعض المال .

مروان بحزن : أنا لا أريد أن تتعبني لتوفير المال .

سارة باستغراب : أنت اشتريت لي ماكينة الخياطة ، و لن أتركها مخبأة بل سأعمل بها ...

يقاطعها مروان : أنا اشتريتها لتحقيق حلمك و هوايتك و ليس لتتعبني نفسك بالعمل عليها .

سارة تحاول إقناعه : ما الفائدة من حلمي إن كنت لا أستفيد منه شيئاً ، أنا أردت تحقيق هذا الحلم لأكفل به أهلي ولكنني لم أستطع ذلك ، فدعني أحققه الآن .

مروان : أنا لن أمنعك من تحقيق ما تريد ، ولكنني سأعمل لأتكفل بكل شيء ، و لكي لا تتحملي أنتِ أعباء العمل .

ظل مروان يفكر ثم تذكر كلام الرجل العجوز الذي كان يعمل عنده و قال فجأةً : سأذهب للعمل عنده .

سارة باستغراب : من الذي ستعمل عنده .

أخبرها مروان القصة كاملةً و ما عرضه عليه ذلك الرجل .

سارة بحزن : هل ستذهب حقاً وتتركني ؟

مروان بابتسامةٍ وحزن : لن أتركك ما حييت ولكنني مضطراً للذهاب فإن جمعت المال سأستطيع تحقيق ما أريد .

سارة بحزن : أنت سألتني عن أحلامي وحققتها لي ، ولكنني لم أسألك عن أحلامك .

مروان بابتسامة : كان لدي حلمين ، الأول هو أنتِ فمنذ أن رأيتكِ أصبحتِ حلماً لا يفارقني ، والثاني كان حلمي بأن أصبح معلماً للغة الإنجليزية .

سارة بدهشة : حقاً ! هذه أول مرة أعرف ذلك عنك .

مروان بحزن : لكني الآن محتارٌ بين مواصلة الدراسة لتحقيق حلمي و العمل لتوفير حياةٍ أفضل .

سارة تمسك يده قائلةً : إتبع قلبك و اختر ما يريحك ويناسبك وأنا معك في كل خطوةٍ تخطوها .

فكر مروان بالأمر جيداً وقرر أن يتقدم لاختبار القبول في الجامعة و فعل ذلك ، وبعد أن تم قبوله فرح أهله كثيراً ، ولكنه قرر أن يعود للعمل عند ذلك الرجل و فكر أن يجمع بين العمل والمذاكرة .

أقنع مروان أهله بأنه سيعمل ويدرّس في نفس الوقت ، لم تكن سارة سعيدةً بذلك القرار لكنها وعدته أن تقف بجانبه و تسانده و فعلت ذلك .

جهزت سارة كل ما يحتاجه مروان لرحلته و طلبت منه أن يعود في أسرع وقت .

مروان يطمئنها قائلاً : أعدكِ أن أعود في أقرب فرصة .

سارة تحبس دموعها قائلةً : إنتبه لنفسك جيداً ، سأشتاق إليك .

مروان يضمها وهو يقول : لا تقلقي علي ، واهتمي بنفسكِ فأنا أريد أن أراكِ بأفضل حالٍ عند عودتي .

ودع مروان أهله وذهب فدخلت سارة إلى غرفتها و انفجرت بالبكاء على فراق مروان و ظلت تدعو له طوال اليوم .

فرح الرجل العجوز بعودة مروان كثيراً واستقبله بسعادة و جعله يدير المحل براتب أكبر من قبل وفعل كل ما بوسعه لإرضاءه و إقناعه بمواصلة العمل ، أما سارة فقد كانت تشتاق له ولكنها ظلت تشغل نفسها بتصميم الأزياء و كانت تكسب المال من عملها و تحاول أن تطور من شغلها ، أحياناً توفر أدوات الخياطة ببعض المال و أحياناً تدخره ، كان عمها وعمتها يدعمانها و يساندانها و كانت ريم تساعدها في تطريز بعض القطع وهكذا كانوا يتعاونون في كل الأعمال ويقضون أوقاتهم يوماً بعد يوم .

في قسم الإنتظار في المستشفى

أميرة بقلق : هل من الضروري أن أخضع للجهاز ؟ لماذا لا نصبر حتى يولد و يكون مفاجأة لنا .

كريمة تمسك يدها قائلةً : لا تقلقي يا ابنتي لن يحدث لك شيء ، إنها مجرد أشعة لمعرفة جنس الجنين ، ثم إن عامر مصرّ على ذلك ولن نستطيع إقناعه بالصبر .

في تلك اللحظة جاء عامر واللهفة على وجهه وهو يقول بشوق : إنه صبي أليس كذلك ؟

كريمة تؤشر له بيدها ليهدأ وقالت : لم ندخل بعد ، هناك امرأة قبلنا . ظل عامر يمشي ذهاباً وإياباً في الممر ينتظر أن يحين دورهم ، وعندما نادتهم الطبيبة للدخول أمسك عامر يد أميرة وجرها بسرعة نحو غرفة الطبيبة .

سألت الطبيبة أميرة بعض الأسئلة ثم قالت لها : استرخي لأمرر الجهاز على بطنك .

حاولت أميرة أن تظل هادئة وعندما مررت الطبيبة ذلك الجهاز على بطنها لم تكن نظرتها نحو تلفاز العرض مطمئنة .
أثار عامر القلق من نظرة الطبيبة وسألها : هل كل شيء بخير ، هل هو صبي ؟

الطبيبة تهز رأسها بالنفي قائلةً : وضع الجنين ليس مطمئناً فهو يبدو هابطاً قليلاً ، ولم يتبين جنسه لكنني أعتقد أنها أنثى .
ظهرت ملامح العبوس والخذلان على وجه عامر ولكنه ظل ساكناً يستمع لكلام الطبيبة مع أميرة .

الطبيبة تقدم بعض النصائح لأميرة : أنت الآن في نهاية شهركِ السادس و جنينكِ ليس بوضع جيد لذلك يجب عليك أن ترتاحي وتحافظي على سلامتك وسلامة طفلك .

أميرة تهز رأسها بالموافقة فتكمل الطبيبة كلامها : سأعطيك بعض الأدوية لتساعدك ولكن اهتمامك بصحتك أهم من كل شيء ، وابتعدي عن التوتر والقلق فهو ليس جيداً لصحتك .

سمعت أميرة كل النصائح وقررت العمل بها وعندما عادت إلى المنزل حاولت أن تخلق لنفسها جواً مناسباً للراحة ، استلقت على سريرها لترتاح فدخل عامر إلى الغرفة بغضبٍ واتجه نحو الخزانة ليأخذ بعض الملفات .

أميرة بقلق : ما بك يا عزيزي ؟ أنت تبدو غاضباً منذ عوتنا من المستشفى .

عامر بنبرة غضب : أنا غاضبٌ من كلام تلك الطبيبة ، فأنا أريد صبياً وليس أنثى .

أميرة بصدمة : كيف تغضب من أمرٍ كهذا فهو ليس بيدنا أو بيدها ،
ثم أنها قالت ربما و لم تقل أنها متأكدة ، وهذا ليس

يقاطعها عامر : لست مقتنعاً بكلامها وسأخذك لزيارة طبيبةٍ أخرى .

أميرة باستغراب : ما الفائدة من الذهاب إلى الأطباء ، فهم لن يغيروا
شيئاً و علينا أن نقتنع بما كتب لنا .

عامر يغلق باب الخزانة بغضب : لا أريد أن تناقشيني في قراري .

كلما كانت أميرة تحاول الإسترخاء و الهدوء كان عامر يزعجها
بغضبه و عناده من دون أن ينتبه لذلك و أحياناً تضايقها رانيا
بكلامها و غرورها ، كانت أميرة تتجاهل رانيا أما عامر فهي
تتحمل غضبه و تصرفاته و تظل ساكتهً لكي لا تتسبب بمشكلةٍ هي
في غنى عنها ، وذات يومٍ دخل عامر مسرعاً إلى الغرفة ليبحث عن
شيءٍ ما وبينما هو يخرج الملابس ويرميها على الأرض وقع
صندوقٌ صغيرٌ من الخزانة فلفت انتباهه فأخذه وفتحته ، وجد القلب
الخشبي الذي يحمل اسم أميرة و الرسالة التي بجانبه .

دخلت أميرة إلى الغرفة لترتاح لكنها وجدت كل شيءٍ على الأرض
و نظرت لعامر وهو واقفٌ أمام الخزانة يفتح الرسالة ولكنها لم تقل
شيئاً .

فتح عامر الرسالة. و قرأ بعض الكلمات "

" لأغلى إنسانةٍ في حياتي

أعرف أنك عندما تفتحين هذه الرسالة ستكونين بعيدةً جداً ، ولكن
تأكدي أنك محفورةٌ في قلبي كما حفر اسمك على هذا القلب .

لقد عشت معك أجمل الأوقات و لكنها ستصبح ذكرياتٍ تمر

انتبه عامر لوجود أميرة ولم يكمل قراءة الرسالة بسبب غضبه
فصرخ في وجهها وهو يريها الرسالة قائلاً : ما هذا ؟

أميرة بخوف : رسالة يقطعها عامر بأعلى صوت : أعرف أنها
رسالة ،

رمى الرسالة ثم أمسك بشعر أميرة وشدها قائلاً : من أعطاك إياها ؟
أميرة لا تدرك مالذي يجري ، تحاول أن تبعد يديه عن رأسها وهي
تقول : هذه هدية من صديقتي

دفعها عامر بقوة من دون أن يهتم لأمر حملها فأوقعها على الأرض
وهي تصرخ .

عامر أخرج القلب الخشبي وقال بغضبٍ شديد : أنتِ تخبئين عليّ
مثل هذه الأشياء ، أخبريني من أعطاك إياها و لا تكذبي أنها من
صديقتكِ ..

أميرة تبكي وتصرخ قائلةً : مالذي أغضبك فيها هل قرأتها لتتهمني
هذا الإتهام ؟

عامر انتبه لذلك و أخذ الرسالة ونظر لآخرها فسكت عندما قرأ
عليها "صديقتك المخلصة

سارة .“

أميرة تبكي قائلةً : أنت دائماً مشغولٌ بأعمالك ولا تهتم لما يحدث
معي و ليس لديك الوقت للحديث معي عن هذه الأشياء و لا تهتم
لمعرفة أي شيء يخصني ، أنت فقط تغضب من كل شيء وتلقي
علي اللوم

أمسكت بطنها وهي تصرخ بألمٍ حتى كاد يغمى عليها ، خاف عامر
من ذلك ونادى أمه فجاءت مسرعةً إليها .

كريمة بخوف : مالذي حدث معها ؟ إنها تنزف ويبدو أنها تجهض ،
ساعدني لنأخذها إلى المستشفى .

أسرعاً في أسعافها إلى المشفى ولكن الطبيبة لم تستطع إنقاذ الجنين ،
كانت أميرة في حالٍ يرثى لها تتألم بسبب الإجهاض وتتألم من
قسوة عامر وجنونه .

الطبيبة بأسف : الأم بخير ولكننا لم نستطع إنقاذ ابنها .

عامر باستغراب : هل كان لديها صبي ؟

الطبيبة : نعم كان صبياً في الشهر السابع وكان يمكن أن يعيش ،
ولكن يبدو أنها تعرضت لضربةٍ أدت لوفاته .

كاد عامر أن ينفجر من القهر لما أصاب زوجته وابنه بسببه ، ولكن
أميرة كانت ساكئةً و منهارةً ولا تريد حتى النظر في وجهه .

كريمة نظرت لعامر نظرة شك ثم قالت : أخبرني مالذي حدث معها
حتى أصبحت على هذه الحال ؟

عامر منعه حزنه عن الكلام واكتفى بالنظر إلى الأرض ندماً على
تسرعه .

كان الجميع حزيناً على ما أصاب أميرة عدا رانيا التي فرحت لأن
أميرة لن تصبح أمّاً وكانت تقول في نفسها : لقد وفر عليّ عناء
البحث عن حلٍ للتخلص من حملها .

عادت أميرة إلى البيت و هي مقهورةٌ من عامر لكنه وعدها أنه
سيتغير للأفضل وسيتوقف عن التسرع في الحكم عليها ، كان يبدو
نادماً على تصرفه معها وحمل نفسه مسؤولية إجهاضها الطفل ،
بدأت علاقته مع أميرة تتحسن مع تحسن صحتها لكن طباعه مازلت
كما هي و مازالت أميرة تحاول جاهدةً تغييره .

بعد مرور ثلاثة أشهرٍ على غياب مروان قرر العودة لمنزله و أهله
وعندما رجع إليهم كانت فرحتهم لا توصف وخاصةً سارة التي
كانت تنتظر عودته في كل يومٍ يمر عليها .

كان مروان سعيداً بعودته و أحضر معه الهدايا لأهله و مفاجأةً
خاصةً لسارة .

فتحت سارة هديتها فوجدت فيها هاتفاً ، كادت تطير من الفرحة .

مروان بفرحة : هل أعجبتكِ الهدية؟

سارة بقمة السعادة : أعجبتني كثيراً ، أشكرك لأنك تبحث دائماً عما
يسعدني وتقدمه لي .

مروان يبتسم قائلاً : أنتِ تستحقين كل ذلك وأكثر ، ثم أخرج شيئاً
من جيبه وقال : هناك مفاجأةً أخرى لكِ .

سارة بفرحة : حقاً ! أخبرني فأنا لا أستطيع الصبر ، بسرعة .

أراها مروان تذاكر الألعاب وهو يقول : سأخذكِ غداً إلى حديقة
الألعاب لأننا لم نذهب لأي مكانٍ بعد زفافنا .

كانت سارة سعيدةً جداً و تشعر أنها مهما شكرت مروان لن توفيه
حقه في ما يقدمه لها ثم تذكرت أن تسأله فقالت : هل ستبقى معنا أم
ستعود للعمل هناك ؟

مروان يمسك يدها قائلاً : سأعود للعمل بعد أسبوع ، و لكن لا
تزعجي نفسكٍ بالتفكير في عملي دعينا نقضي أجمل الأوقات خلال
هذا الأسبوع .

سارة تبتسم بحزن وهي تفكر في نفسها : لا أصدق أنه عاد إلي
وهاهو سيتركني ويذهب مجدداً .

في اليوم التالي تجهز كلٌ من مروان و سارة للذهاب إلى الحديقة و خرجا ، أمسك بيدها وهما يتجولان و يتحدثان ، وجدا رجلاً يبيع الورد فاشترى لها وردة ، و كلما وجد شيئاً يعجبها يشتريه لها كغزل البنات والحلوى و اشترى لها دباً صغيراً أبيض وعليه قلبٌ أحمر . سارة تهمس له قائلةً : ليس هناك داع لكل هذا ، أنت تصرف الكثير من المال على هذه الأشياء .

مروان : أنا أعمل لأكسب المال و أصرفه وليس لأخبأه ، دعينا نتسلى ونعيش أجمل اللحظات ، فالمال يعوض ولكن الأيام لا تعود . شعرت سارة أن كلامه صحيح فوافقته الفكرة ثم قالت : أين سنتغدى .

مروان يؤشر لها بيده نحو الأشجار قائلاً : سنطلب الطعام ونتغدى هناك ، أما إذا كنت تحبين الأكل في المطعم سنأكل في المطعم . احتارت سارة ثم قالت : أنا لم أجرب الأكل في المطعم من قبل . مروان : إذا سنتغدى في المطعم ثم نعود للجلوس تحت الأشجار لتناول الحلوى .

جلسا على إحدى الطاولات و طلبا الطعام وبعد تناوله أخذوا الحلوى وذهبا لتناولها تحت الأشجار ثم قال مروان : لنذهب للعب قبل أن تزدهم الألعاب .

سارة تنظر لتلك الألعاب بدهشة وهي تقول : كم هي كبيرة وضخمة .

مروان يؤشر لها للصعود على إحدى الألعاب ، شعرت سارة بالخجل لأن المكان كان مكتظاً بالناس و قالت : لا أستطيع اللعب أمام الناس لنجلس هناك فقط ونشاهد الألعاب .

مروان يهمس لها قائلاً : لم نأتي إلى هنا لمشاهدتها ، إصعدي ولا تستحي ، فكري فقط كم أن اللعب ممتع وستنسين وجود الناس من حولنا .

صعدت معه على اللعبة وما إن ارتفعت عالياً شعرت سارة بالسعادة كأنها تطير في السماء و شعر مروان بالسعادة بسبب فرحة سارة .
جربا معظم الألعاب و استمتعا بوقتتهما كثيراً .

مروان يؤشر لها بيده : أشعر بالعطش ، إجلسي هنا بينما أحضر الماء .

جلست سارة على إحدى المقاعد تنتظر مروان فلفت انتباهها شاب واقف يسلم على بعض الناس ، كانت سارة تحاول تذكر ذلك الشاب ، عاد مروان ومد لها الماء لتشرب فتذكرت قائلةً : إنه عامر .

مروان باستغراب : عامر ؟ من هو عامر ؟

سارة تؤشر له بيدها : ذلك الواقف هناك هو عامر زوج صديقتي أميرة .

فرح مروان بذلك وقال لها : ربما تكون موجودةً معه ، تعالي لنرى فربما تجمعكما الصدفة من جديد .

كان عامر يتحدث مع أناسٍ من طبقةٍ راقيةٍ وكانت أميرة واقفةً على بعد مسافةٍ منه وعندما انتهى من الحديث معهم عاد إليها وأمسك بيدها فقالت له : أريد أن أصعد على تلك اللعبة فهي تبدو ممتعة .

ضغط عامر على يدها بقوةٍ وتكلم من بين أسنانه قائلاً : نحن لم نأتي إلى هنا للعب ، كوني راقيةً و تصرفي بتعالٍ و رقي ، لا أريد أن يقول الناس زوجة عامر تلعب بالأطفال .

سكتت أميرة وابتلعت حزنها وفي تلك اللحظة اقتربت منها سارة
وقالت لها : أميرة .

نظر إليها عامر باستغراب و تفاجأت أميرة بوجود سارة فضمت كل
واحدةٍ منهما الأخرى بفرحٍ شديد ، مد مروان يده لمصافحة عامر
فصافحه عامر بكل تعالٍ و نظر باتجاه أميرة مستفسراً فقالت له :
هذه صديقتي من أيام المدرسة .

عامر بلا مبالاة : حسناً ، هيا لنذهب فلدي أعمالٌ كثيرة .

أميرة تهمس له بترجي : دعني أتكلم معها قليلاً ولن أطلب شيئاً آخر

نظر عامر لساعته وقال : لديكِ دقيقتين فقط لتتكلمي معها لذلك
اختصري كلامك ولا تكثري الحديث ، ثم أخرج هاتفه وظل يتحدث
عبره .

ابتعد مروان مسافةً لتتكلما براحتهما ، فسألت كل واحدةٍ الأخرى
عن أحوالها وحياتها ، واكتفت كل واحدةٍ بالإجابة أنها بخير .
أميرة بفرحة : لا أصدق أنني رأيتكِ بعد كل هذا الوقت ، هذه صدفةٌ
جميلة .

سارة تبادلها الفرحة : وأنا أيضاً .

أميرة تحاول أن تسرع بالحديث : هل لديكِ هاتفٌ أو أي شيءٍ يمكننا
التواصل عبره .

سارة بفرحة : نعم لدي هاتفٍ أهداني إياه مروان بالأمس ، سأعطيكِ
رقم هاتفني لنبقى على تواصل .

أخذت أميرة رقم هاتف سارة وقالت لها : والآن يمكننا أن نتحدث
مع بعضنا كلما أردنا .

انتهى عامر من مكالمته والتفت لأميرة قائلاً : تعالي معي لمقابلة عائلة المدير العام .

ودعت أميرة صديققتها بسرعةٍ و ذهبت مع زوجها ، استغرب مروان من سرعة انتهاء حديثهما مع أنهما لم تلتقيا منذ وقتٍ طويل فسأل سارة عن السبب .

سارة تفهمت وضع أميرة فشرحت ذلك لمروان وقالت : أشعر بالتعب لنعد إلى المنزل .

مروان يمسك يدها قائلاً : هيا بنا .

الفصل التاسع

عندما وصل مروان و سارة إلى البيت جلسا قليلاً مع العائلة و بعد ذلك ذهبا لغرفتهما ، أخرجت سارة علبةً و أعطتها لمروان قائلةً : لقد ادخرت بعض المال من عملي في الخياطة ، ربما نستفيد منه

.....

يقاطعها مروان قائلاً : لا يا حبيبتي ، هذا مالك و تستطيعين إنفاقه كما تشاءين و أنا سأهتم ببقية الأشياء .

سارة : ولكن لما لا تأخذه ، ليس هناك فرقٌ بيننا وكل ما هو لي هو لك .

مروان يهز رأسه بالنفي قائلاً : لن آخذه وأنتِ قد بذلتِ جهداً لتجميعه ، لذلك سأذهب معكِ إلى السوق غداً وسنشترى لكِ به ما تريدين .

و في صباح اليوم التالي ذهب مروان مع سارة إلى السوق و دخل محلاً لبيع الذهب فلفت انتباهه حلقٌ رقيق المنظر ، أشربيده نحوه وهو يقول لسارة : مارأيكِ بذلك الحلق ؟

أعجبت به وقالت : إنه جميل ولكن قد يكون سعره غالٍ .

سأل مروان صاحب المحل عن سعر ذلك الحلق فأجابته ، لم يكن مال سارة كافياً لشراءه ولكن مروان أخرج المال من جيبه و دفع بقية المبلغ .

سارة تهمس له قائلةً : ليس من الضروري شراءه ، فأنا أملك يقاطعها مروان بهمس: بلى ، لقد اعجبني وسيكون أجمل عليكِ ، ثم إننا لم نضيع المال بل سنحتفظ به على شكل ذهب .

اقتنعت سارة بكلامه و أخذت الحلق ، اشترى مروان بعض الأشياء للغداء و عادا إلى البيت و بعد أن انتهوا من تناول الغداء لبست سارة الحلقات على أذنيها و سرحت شعرها و ما إن رآها مروان لم يوفر كلمةً واحدةً في مدحها والتغزل بها .

رن هاتف سارة فتفاجأت برقمٍ غريب يتصل بها ردت عليه وهي ساكنة .

على الجانب الآخر : كيف حالكِ يا صديقتي ، هذه أنا أميرة .

ردت سارة بفرحة : أميرة ! فكرت أن أتصل بكِ لكنني تذكرت أنني لم آخذ رقم هاتفكِ بالأمس .

ذهب مروان إلى الجانب الآخر من الغرفة لتأخذ سارة راحتها بالحديث مع صديقتها ثم انشغل بكتبه ومحاضراته .
على الهاتف أميرة تضحك قائلةً : لا بأس ، ها قد اتصلت بكِ بنفسي .

سارة : كيف حالكِ و كيف تعيشين ، لم نستطع التحدث بالأمس لأنكما كنتما مستعجلين .

أميرة بنبرة هدوء : أنا بخير و كل شيءٍ بخير ، حياتي قد تغيرت تماماً بعد أن تزوجت ، وأنتِ مالجديد لديكِ ؟

سارة بفرحة : لا يكفيني الوقت لأحدثكِ عن حياتي ولكن المهم أن أحلامي بدأت تتحقق ، لقد اشترى لي مروان ماكينة الخياطة و أنا الآن أعمل على بعض التصاميم المبتكرة .

أميرة بفرحة : أنا سعيدةٌ جداً لأجلكِ وأتمنى لكِ التوفيق في كل ماتفعلين .

سارة بنبرة حزن : ماذا عنكِ يا صديقتي ؟ يبدو أن أحلامكِ لم تتحقق ، ألم يسمح لكِ عامر ...

تقاطعها أميرة قائلةً : لا لا أنا التي تخليت عنها ، فقد أدركت أنها كانت مجرد طموحاتٍ طفولية .

سارة تتفهم موقف صديقتها ولكنها تحاول مساندتها : لا بأس ربما تجدين حلماً أفضل مع مرور الوقت .

أميرة تخرج من الموضوع قائلةً : اتصلت لأخبركِ أنكِ معزومةٌ عندي غداً ، فهل ستأتين لزيارتي ؟

سارة بفرحة : من دواع سروري ، سأسأل مروان و أرد لك جواباً .
أميرة تودعها قائلةً : مع السلامة ، سأكتب لك العنوان في رسالة .
وضعت سارة الهاتف على الرف وجلست بجانب مروان تحدثه ثم
سألته إن كان بإمكانها زيارة صديقتها فوافق مروان على ذلك وقال
: لها سأخذك إليها بنفسي .

فرحت سارة بذلك كثيراً ثم انتبهت أن مروان لم يمنعها من الذهاب
فسألته لماذا ؟

مروان بابتسامة : هي صديقتك و لن أمنعك منها ، فأنا أضع نفسي
في مكانك وسأحزن كثيراً لو امتنعت عن صديقي .

تأثرت سارة بكلامه فقبلت يده قائلةً : أنت تفاجئني دائماً بوجهة
نظرك العميقة ، حفظك الله لي يا عزيزي .

وصلت رسالة أميرة التي شرحت فيها عنوان منزلهم و في اليوم
التالي بعد الظهر تجهزت سارة و اشترت بعض الهدايا لصديقتها ثم
أخذها مروان إلى نفس العنوان و عندما وقفت سارة أمام البيت
انذهلت من كبره وجماله .

مروان : سأذهب لمقابلة هشام و آخذ منه بقية المحاضرات و عندما
تريدين الذهاب اتصلي بي لآتي .

سارة تودعه بحب : حاضر يا عزيزي .

ذهب مروان فدقت سارة على جرس الباب و عندما فتحت لها أميرة
كادتا تطيران من الفرحة ، استقبلتها أميرة بمجبة و فرحة ولم تكلف
نفسها الكثير لكي لا تشعر سارة بالإحراج ، أخذتها إلى غرفتها
لتشعر أنها ما زالت مميزة و ليست كبقية الضيوف .

أميرة بفرحة : تفضلي بالجلوس ، لقد أنار البيت بوجودك .

سارة بابتسامة : تذكرت أيام المدرسة حين كنا نذاكر معاً ، كانت أجمل أيام .

أميرة تمد لها طبق الضيافة قائلةً : نعم ، و أوقاتنا في المدرسة ، ثم أضافت قائلةً : ألا تعرفين شيئاً عن بقية صديقاتنا ؟

سارة تهز رأسها بالنفي قائلةً : منذ أن ودعناهن في ذلك اليوم لم أعد أعرف شيئاً عنهن ، ولكن من يدري ربما الصدفة ستجمعنا بهن كما جمعتني بك .

جاءت كريمة و سلمت على سارة بابتسامةٍ قائلةً : أهلاً بك في بيتنا يا ابنتي .

فوقفت سارة وقبلتها على رأسها .

كريمة تخاطب أميرة : أهذه هي سارة التي أخبرتني عنها ؟

أميرة بفرحة : نعم ، قاطعها دخول أريج مسرعةً وهي تقول : هل وصلت سارة ؟ وعندما نظرت إليها سلمت عليها بفرحة : أهلاً بك ، أنا أريج .

سارة بابتسامة : تشرفت بك ، و أنا سارة .

أريج بابتسامة : لقد أخبرتني عنك أميرة وكيف كانت صداقتكن في أيام المدرسة ، هي لا تكف عن الحديث عنك لدرجة أنني اشتقت للتعرف عليك أكثر .

سارة نظرت في وجه أميرة فضحكت أميرة قائلةً : كلما اشتقت إليك أحدثهن عنك .

في تلك اللحظة دخلت رانيا تمشي بكل فخر و جلست على الكرسي ثم قالت بابتسامةٍ مصطنعة : أهلاً بك .

سارة تبادلها الإبتسامة قائلةً : تشرفت .

بدأن بتبادل الأحاديث و تعرفن أكثر على سارة و أحببناها أما رانيا فقد كانت منهمكةً على هاتفها غير مباليةً بهن .

سارة تسأل أميرة : ألم تفكري في إنجاب طفلٍ بعد ؟

أميرة نظرت لحمايتها وتلبكت بالحديث قائلةً : بلى ، كنت سأفعل ، لكن لم

تتدخل رانيا مقاطعةً أميرة : لقد مات في بطنها وهو في شهره السابع .

كريمة تهمز لرانيا لكي لا تكون وقحةً أكثر ، فتركت رانيا هاتفها على الطاولة وخرجت من الغرفة .

سارة فهتت من تصرفاتهن أن هناك شيئاً ما فحاولت أن تغير الموضوع لكي لا تُخرج أميرة أكثر ، فقالت : عندما تذهبين لزيارة والدتكِ أبلغيهما سلامي .

ابتسمت أميرة قائلةً : لكِ ذلك ، وهل تريدين الخبز بالجبن كما كانت تفعله لكِ .

ضحكت سارة قائلةً : لا مانع لدي ، أحب خبزها كثيراً فلمستها في صنع الطعام مميزة .

ضحكت كريمة وقالت : إن كنت أعرف صنعه سأعده لكِ لكي تحبيني مثلها .

سارة بابتسامة : أحببتكِ من دون أن تعديه لي .

أريج بفضول : أيهما أفضل الدراسة أم الزواج ؟

احتارت سارة ثم قالت : هما تجربتان ولكل تجربةٍ زمانها و مكانها ، لست أدري أيهما أفضل ولكنهما جيدان بالنسبة لي .

أريج : كلامك جميل ، ومن الآن فصاعداً سأكون صديقتك أيضاً .
سارة بابتسامة : سأكون سعيدةً بصداقتك .

كريمة تهمز لأريج وهي تقول : المعذرة منك لدي بعض الأعمال ،
إجلسن براحتكن .

وقفت أريج قائلةً : سأساعدك يا أمي ، ومرت بجانب الطاولة فوق
هاتف رانيا على الأرض ولم ينتبه له أحد ، وعندما خرجت سألت
أمها قائلةً : لماذا لا نجلس معهن لقد كان الحديث ممتعاً .

كريمة تهمس لها قائلةً : لقد جلسنا بما فيه الكفاية فلنترك لهما وقتاً
للحديث فهما صديقتان مقربتان ولم تلتقيا منذ وقتٍ طويل .
أريج بتفهم : معك حق يا أمي ، أنت تفهمين كثيراً في التعامل مع
الناس ، على عكسنا .

كريمة بابتسامة : لا يجب أن يكون الشخص متطفلاً على أمور
غيره ، وهكذا يستطيع الإنسان كسب محبة الجميع .

اعتذرت أميرة عن عدم حضورها زفاف سارة فعذرتها ، تحدثن و
استرجعن ذكريات المدرسة و خططن للمستقبل إلى أن حان وقت
الذهاب ، اتصلت سارة بمروان لكي يأتي لأخذها ثم ودعتهن
وخرجت فوجدت مروان ينتظرها في الخارج وذهبت معه .

سارة : هل أخذت جميع دروسك أم أنني قاطعتك ؟

مروان بابتسامة : أخذتها كلها ، ثم أضاف قائلاً : هل نركب الباص
أم نتمشى قليلاً ؟

سارة بفرحة : لنتمشى قليلاً أفضل فالجو لطيفٌ جداً قبل الغروب .

أمسك مروان بيدها و مشيا معاً و بينما هما يتحدثان لفت انتباه سارة فتاةً تتحدث مع عامر وتلكمه على كتفه فهمست لمروان وهي تقول باشمئزاز : هذا عامر زوج أميرة ، مالذي يفعله مع تلك الفتاة ؟

مروان يهمس لها قائلاً : ربما تكون إحدى أقاربه .

سارة تنفي ذلك قائلةً : خرجتُ الآن من منزلهم وكلهن في البيت ، إنظر كيف يتحدث معها فلا أظنها من أقاربه .

كان عامر يتحدث مع الفتاة ويضحك ثم ودعها قائلاً : ستبدأين العمل في السكرتارية من الأسبوع المقبل .

ضحكت الفتاة ولوحت له بيدها تودعه ، فركب سيارته وذهب .

كانت سارة غاضبةً جداً من تصرفه ، و ظلت تتمتم : ذلك الأحمق لديه أميرةٌ في البيت لن يجد مثلها في العالم ، ويركض وراء تلك الحمقاء قليلة الأدب .

مروان بانزعاج : تصرفه غير لائق ، ولكن ماذا عسانا نفعل فليس بيدنا شيء .

سارة : هل أخبر أميرة بذلك

يقاطعها مروان قائلاً : إياك أن تفعلي ذلك ، ستتسببين بمشكلةٍ كبيرةٍ بينهما وقد يصطلحان وتظلمين أنتِ سبب الفتنة .

فكرت سارة بكلامه والتزمت الصمت ولكن حزنها على صديقتها مازال قائماً .

في بيت عامر ...

قلبت رانيا البيت رأساً على عقب : لقد كان كان هنا ، لقد سرقتَه
صديقتكِ الرخيصة .

أميرة تصرخ في وجهها قائلةً : صديقتي ليست سارقة ، أنا أسكت
عن الرد عليكِ ولكن ليس هذه المرة ، ولن أسمح لكِ أن تذكرني
صديقتي بسوء .

رانيا بوقاحة : حقاً ! صديقتكِ تلك سرقت هاتفي و من غيرها سيفعل
ذلك فالناس من الطبقة المتوسطة طماعون جداً و

تقاطعها أميرة وهي ترفع سبابتها قائلةً : ابحتي عن هاتفكِ ولا
تذكرني سارة على لسانكِ مرةً أخرى فهي أشرف منكِ ومن طبقاتكِ
الغبية .

أريج تتدخل قائلةً : أنا سأبحث عنه فلا داعي للشجار .

جاءت كريمة على صوت صراخهن وسألتهن عما يحدث .

جلست أريج لترى إن كان تحت الطاولة و مدت يدها تتحسس .

رانيا تضع يديها على خصرها قائلةً : تركت هاتفي على الطاولة
ويبدو أن صديقتها العزيزة قد سرقتَه .

كريمة بغضب : كيف تتهمينها بسرقتَه من دون دليل ، ابحتي عنه
ولا تذكرني الناس بسوء .

رانيا بغضب : أنتِ دائماً تقفين في صفها ، و تغضبين مني بسببها

...

تقاطعها كريمة بغضب : لأنكِ لا تعرفين شيئاً عن الأدب والأخلاق

.

أريج تصرخ بفرحٍ قائلةً : لقد وجدت الهاتف .

نظرن باتجاه رانيا نظرة احتقار بسبب تصرفاتها وتسرعها ، فأخذت هاتفها من يد أريج وذهبت نحو غرفتها .

جاء عامر مبتسماً و نظر إليهن فابتسمن في وجهه لكي لا يعرف بمشاكلتهن ويغضب .

كريمة بابتسامة : كيف كان يومك يا بني ؟

عامر يهز رأسه قائلاً : جيد و سأعين سكرتيرةً جديدةً في المكتب .

كريمة باستغراب : وماذا عن سكرتيرك السابق ؟

عامر : إنه ليس لبقاً في الحديث مع الناس و لم يكن جيداً في عمله .

تفاجأت أميرة من كلامه ولكنها ظلت ساكنةً تستمع لنقاشه مع أمه ، ثم التفت إليها وقال لها : هل استضفتِ صديقتك أم لا .

ابتسمت أميرة قائلةً : بلى ، شكراً لأنك أذنت لي باستضافتها .

وصل عمر من رحلته في قضاء العطلة فرحب به الجميع وخاصةً

عامر الذي ضمه قائلاً : لقد اشتقت إليك يا أخي ، فبادله عمر نفس

الشعور .

في بيت مروان

مريم تخاطب سارة بفرحة : لقد طلبت إحدى السيدات طليبةً بخمسة فساتين من تصميمك .

سارة بفرحة : حقاً ، أنا سعيدةٌ جداً ، لقد بدأت تصاميمي تنال إعجاب الكثيرات .

فرح مروان بذلك كثيراً و قال : أهنيك على تقدمك وسأدعمك حتى النهاية .

ريم : وأنا أيضاً سأكون بجانبك و سننجز كل الطلبات بأسرع وقت

حميد بابتسامة : أتمنى لك التوفيق يا ابنتي فأنتِ تعملين بجدٍ و
إخلاص .

فكر مروان في زيارة عمه وعمته وطرح على أهله الفكرة
فاستحسنها الجميع و في اليوم التالي ذهبوا لزيارة أهل سارة
فاستقبلوهم كالعادة بفرح وترحيب .

انتهى أسبوع إجازة مروان فجمع أشياءه و تجهز للعودة إلى عمله ،
ذهب و أهله يودعونه بالدموع و الدعاء ، فعادت سارة لأقمشتها
وخيوطها تشغل نفسها في غياب مروان ، جهزت الطليبة و استلمت
ثمنها ، كانت سعيدة جداً بما تفعله وكان الكل يشعر بالرضى تجاهها

سارة تتحدث عبر الهاتف : أشعر أن حياتي ستتغير للأفضل .
على الجانب الآخر أميرة : أنتِ تستحقين الأفضل دائماً وأنا
مسرورةٌ لأجلك .

سارة تودعها قائلةً : أشكركِ ، والآن سأذهب لمساعدتهن في إعداد
العشاء ، مع السلامة .

ودعتها أميرة و تركت الهاتف على سريرها ثم قامت لتفتح خزانها
فسمعت الهاتف يرن عادت لترد على الإتصال ..

أميرة بفرحة : مساء الخير كيف حالك يا أبي ؟

أحمد : بخير يا ابنتي ، كيف حالكِ أنتِ ؟

ظلت أميرة تتحدث مع والديها عبر الهاتف ، وفي الأسفل عاد عامر من عمله غاضباً و متعباً فصعد إلى غرفته و وقف في الباب يتنصت على اتصال أميرة

أميرة بفرحة : حقاً يا أمي ! ومتى سيكون ذلك ، كيف تخططون لشيئ من دوني .

إيمان : هانحن ذا اتصلنا بك لكي تأتي لزيارتنا ، و عليك الحضور غداً و المكوث عندنا لنلم شمل العائلة .

أميرة بتردد : غداً ! لا أدري ، سأسأل عامر وأرد لكم جواباً .
ودعوها فأغلقت الخط وتركت الهاتف ثم التفت فوجدت عامر واقفاً في الباب .

أميرة بابتسامة : مساء الخير يا عزيزي لم ألاحظ وجودك ، متى عدت ...

يقاطعها عامر بنبرة غضب : أي خيرٍ وأنتِ تتحدثين على الهاتف منذ أن وصلت ولا تنتبهين أنني أتيت متعباً من العمل .

أميرة بارتباك : لم أكن أعرف أنك قد وصلت و إلا لكنت أغلقت
عامر يرمي هاتف أميرة على الأرض قائلاً : هذا الذي يشغلك عني سأخلص منه .

تطير الهاتف إلى قطع صغيرة و أميرة تنظر إليه بصمت فقال لها عامر : لن نتحدثي مع أحدٍ مرةً أخرى ولن يشغلك عني أحد .

أميرة بحزن : ولكنني كنت أتحدث مع والدي ...

يقاطعها عامر قائلاً : من يكون والدك حتى يشغل تفكيرك و وقتك

...

أميرة بنبرة غضب : إنه والدي وليس من حقك أن تتكلم عنه بهذه الطريقة .

عامر بسخرية : والدك ليس شيئاً من دوني ، و إن لم تكن مساعدتي له في ذلك اليوم لكان الآن يشحذ في الشوارع مثل

تقاطعها أميرة قائلةً : أنت لن تتغير أبداً ، كيف تتكلم عن أبي بهذه الطريقة ، هو لم يطلب منك المساعدة

ضربها عامر على وجهها بيده قائلاً : لقد بدأ لسانك يطول ، جلست أميرة على الأرض من الضربة ، ثم قال لها بكل فخر : الفضل كله يعود لي فتجارة والدك ازدهرت بسببي و إن كان ثرياً اليوم فكل ذلك بفضلني .

أميرة تنظر إليه نظرة احتقار و هي ساكته ، أما هو فيستمر في مدح نفسه والانتقاص من قيمتهم : أنتم لا تساوون شيئاً من دوني وقد على شأنكم عندما أتيت أنا إليكم فأصبحتم ترون أنفسكم مهمين .

أميرة تقول في نفسها : يال وضاعته ، كنت أعرف أنه لم يفعل ذلك لخيرٍ أبداً بل ليمنّ علينا ويهيننا ، وها قد جاء اليوم الذي كنت أخشاه

حاولت أميرة الوقوف وهي تقول له : أنا لم أعد أتحمل الحياة معك ولن أتحمل إهانتك لأهلي لكنها شعرت بالغثيان فذهبت مسرعةً إلى الحمام لتتقيأ .

سكت عامر و هو يفكر في نفسه مالذي حدث معها ، أما هي فقد شعرت بالحزن واليأس لأنها عرفت أن تلك أعراض الحمل ، لم تكن تريد أن يحدث ذلك فقد تعبت من الحياة مع عامر وكانت تفكر في إنهاء تلك المهزلة ولكن هذا الطفل سيغير مسار حياتها .

خرجت أميرة من الحمام منهارَةً تماماً والحزن بادٍ على وجهها ،
نظر إليها عامر باستغراب ولكنها لم تبدِ أي اهتمام ، مشت باتجاه
خزانتها وهي مكسورة الجناح كأنها خسرت المعركة ، أخرجت
شالها و وضعته على رأسها ثم خرجت من الغرفة .
عامر يلحق بها وهو يصرخ بغضب : إلى أين تذهبين أنا لم أنه
كلامي بعد .

أميرة تواصل النزول على الدرج من دون أن تهتم لأمره .
كريمة تلاحظ عامر وهو يلحق بأميرة فنادته قائلةً : مالذي يجري
هنا ؟

أمسك عامر بيد أميرة وثناها إلى الخلف وهو يقول بغضب : لماذا لا
تستمعين لي ، أنا أتحدث معك وليس مع الجدار .
كريمة تركض نحوه وتفك يده وهي تقول : ماذا تفعل ألم تقطع وعداً
بأنك ستتوقف عن هذه التصرفات .
أميرة لا مبالية بما يحدث حولها .

تدخل عمر قائلاً : كيف تعامل زوجتك بهذه الطريقة ؟
عامر بغضب : إخرس أنت أنا لا أريد سماع صوتك .
كريمة تضم أميرة قائلةً : مابك يا ابنتي ، لما تبدين حزينةً هكذا ؟
أميرة بصوتٍ خافت : أظن أنني حامل .

فرحت كريمة وقالت : و مالذي يستدعي الحزن في هذا الخبر
السعيد من الجيد أن تكوني حامل .

فرح عامر لسماع تلك الكلمات و قال : هل هي حاملٌ بالفعل ؟

أميرة بحزن : أنا لا أريد أن أنجب هذا الطفل ، فأنا أفكر أن أنهي
علاقتي بعامر وسأطلب الطلاق .

تفاجأت كريمة من هذا الكلام : طلاق ! لماذا يا ابنتي ، عليك أن لا
تتسرع في اتخاذ قرار كهذا ، وما ذنب الطفل .

عامر باستغراب : تطلبين الطلاق ! كيف تفعلين ذلك وأنت تعلمين
أنك حامل بالطفل الذي انتظرناه طويلاً .

كريمة بنبرة غضب : أنت الوحيد الذي لا يحق له السؤال ، كيف
تلومها على قرارٍ اتخذته بسببك وبسبب تعاملك معها .

عامر بإصرار : أنا لن أطلقها أبداً ، ستظل معي و ستنجب هذا
الطفل مهما كان الثمن .

أميرة ساكتةً ولا تقول أي شيء .

كريمة بغضب : كيف ستبقى معك وأنت تنغص عليها العيش هكذا ؟
أنا لا ألومها على أي قرارٍ تتخذه ...

يقاطعها عامر قائلاً : لن أفعل شيئاً يؤذيها بعد الآن ، ولكن يجب
عليها أن تبقى ، وسأشتري لها هاتفاً جديداً .

كريمة تخاطب أميرة قائلةً : إن أردتِ البقاء فأنتِ فوق رؤوسنا وإن
أردتِ الذهاب فلن ألومك على أي شيء .

أميرة بعد تفكير : سأعطيه فرصةً أخيرة وسأبقى ، ولكن إن وجدت
منه ما يسيء لي أو لأهلي فلن يرى وجهي بعد الآن .

عامر يضم يديه وهو ساكتٌ ولا يرد عليها .

كريمة تضع يدها على كتف أميرة قائلةً : أنا معك ولن أتخلى عنك
أبداً ، وإن وجدتِ منه ما يسيء فأخبريني بذلك حالاً .

بعد أسابيع

سارة تتكلم عبر الهاتف بفرحة : أنا متأكدة من ذلك ، وما كنت لأخبرك إن لم أتأكد عدة مرات .

على الجانب الآخر مروان يكاد يطير من الفرحة : أنا لا أصدق أنني سأصبح أباً ، هذا أجمل خبر سمعته و سأعطيكَ ما تطلبين يا حبيبتي .

سارة بخجل : أنا لا أريد سوى أن تكون بخير يا عزيزي .

مروان بفرحة : أعرف أن الحامل تتوحم لذلك لا أريد أن ينقص عليك شيء ، أريد أن تكون لدي أجمل طفلة في العالم .

سارة باستغراب : هل تريدها فتاة ! لماذا لا تقول أنه ولد .

مروان بلطف : الفتاة ستكون لطيفةً و مدللةً أكثر من الولد ، وستكون جميلةً مثل والدتها .

سارة بابتسامة : أهذا رأيك ! إذاً لننتظر ونرى ما سيكون ...

يقاطعها مروان قائلاً : أياً كان فأنا سعيدٌ جداً به ، و في أقرب وقتٍ سأخذ إجازةً و آتي .

سارة بفرحة : لقد اشتقت إليك و أتمنى أن تصل بالسلامة يا عزيزي .

كان الكل سعيداً بخبر حمل سارة و كانوا يحاولون إعطاءها ما تشاء و ما تشتهي نفسها ، لم يستطع مروان الصبر أكثر فطلب إجازةً لثلاثة أيام و عندما علم الرجل العجوز أن مروان سيرزق بطفل أعطاه بعض الهدايا و كافأه كبشارةٍ لهذا الخبر السار و ضاعف له الإجازة لمدة أسبوع و بارك له أصدقاؤه و زملاؤه في العمل ، عاد

مروان إلى البيت محملاً بالهدايا فتفاجأت سارة بعودته وفرحت كثيراً ورحب به أهله و استقبلوه بسعادة ، مد مروان لسارة كيساً كبيراً وعندما فتحته وجدت فيه كل ماتحب من أنواع الحلوى والفواكه فشكرته بكل تهذيب ثم أخرج بدلة طفلٍ صغيرةً مع قبعتها و زوجاً من الجوارب نظرت سارة لتلك البدلة الصغيرة فضمتها بفرحةٍ و شوقٍ قائلةً : ما أصغرها ، وهذه الجوارب ألوانها زاهيةٌ وجذابة ، ما أصغر هذه القبعة .

ضحك الجميع من تصرفات سارة الطفولية فأخذتهم ريم من يدها و هي تقول : دعيني أرى ، أنا سأكون عمته لذلك سأخبئهم له إلى أن يولد .

مروان يخطف البدلة من يدها وهو يضحك قائلاً : أنتِ عمّةٌ سيئةٌ ومزعجةٌ لذلك لن تأخذي ملابسه .

رامي بفرحة : أنا سأكون أقرب شخصٍ إليه لأنني أصغركم هنا .
يشارك حميد في الجدل قائلاً : أنا جد هذا الطفل لذلك سيحبني أكثر منكم فلا تتعبوا أنفسكم .

مريم : لدينا ثمانية أشهر حتى يولد و ها أنتم تتشاجرون عليه منذ الآن .

تضحك سارة قائلةً : سيحبكم جميعاً ولكن ليس أكثر مني لأنني أمه .

مروان يساندها : معكِ حق فأنتِ من ستتعبين في حمله و ولادته .

حاول مروان في أسبوع إجازة أن يوفر كل ما تحتاجه سارة في فترة حملها و ترك لها بعض المال لوقت الحاجة ، انتهت إجازة فعاد لعمله وقلبه معلقٌ بزوجته ، مرت الأيام والأسابيع بسرعة .

أميرة تصرخ بألمٍ شديد وهي تمسك بطنها .

كريمة بتوتر : تماسكي يا عزيزتي ، تنفسي ، حاولي المحافظة على أنفاسك لكي لا تتألّمي أكثر .

أريج تتحدث عبر الهاتف بصوتٍ عالٍ : أين أنتِ ؟ إنها تتألم يجب أن تسرعني .

كريمة بقلق : ماذا قالت الطبيبة ؟

أريج بنبرة خوف : هاهي في الطريق ستصل في أي لحظة .

فتح عمر الباب للطبيبة قائلاً : إصعدي إلى غرفتها سريعاً .

أريج تركض نحو الطبيبة بسرعة : تعالي معي ، أخذتها إلى غرفة أميرة فدخلت الطبيبة إلى جانب كريمة وجلست أريج في الممر ، أما رانيا فلم تكن مهتمةً كثيراً لما يحدث وظلت تتجول في أنحاء البيت ممسكةً بهاتفها .

بعد دقائق خرجت كريمة من الغرفة لتحضر أجر الطبيبة فدخلت أريج إلى الغرفة مسرعةً لتطمئن على أميرة .

أميرة تنظر في وجه أريج و تبتسم وهي متعبةٌ ومنهكة ، الطفل يبكي بين يدي الطبيبة فاقتربت منه أريج بحذرٍ وهي متشوقةٌ لضمه .

الطبيبة تخاطب أميرة قائلةً : يجب أن ترضعي طفلك رضاعةً طبيعيةً فهي أفضل لصحته ونموه .

أميرة تهز رأسها بالموافقة ، فقالت أريج : إطمأني نحن هنا و سنهتم به ، ثم التفتت إلى الطفل وهي تقول بنبرة لطيفة : أليس كذلك يا عزيزي .

دخلت كريمة و أعطت الطبيبة أجرها ثم أخذت الطفل وهي تنظر إليه بفرحة .

و عندما عاد عامر من عمله فرح بذلك الخبر و كان مسروراً لأنه أصبح أباً لصبي جميل ، فمدته كريمة إليه ولكن عامر نظر إليه من دون أن يحمله أو يقبله .

كريمة باستغراب : لقد انتظرتة طويلاً ، لماذا لا تحمله بين يديك ؟
عامر ينظر إليه قائلاً : لا أستطيع حمله فهو لا يزال صغيراً جداً .
أميرة بابتسامة : ماذا سنسميه ، أم أنك مازلت مصرراً على اسم سامي ؟

عامر يبتسم قائلاً : لقد سميته سامي منذ أن كان في بطنك ولن أغير قرارى ، ثم أضاف قائلاً : سوف أدلله و سأعطيه كل ما يريد و حين يكبر ...

تقاطعته أمه قائلةً : يا بني الحب للولد ليس في توفير كل ما يطلبه ، بل في توفير حاجته وتعليمه وتربيته تربيةً سالحة .

أميرة تبتسم لكلام حماتها و تهز رأسها بالموافقة ، أما عامر فلم يكن مقتنعاً بكلامها و ظل مصرراً على رأيه فأمر بتجهيز إحدى الغرف لإبنه و ملاً الخزانة بملابس الطفل و الأحذية و ملاً الغرفة بالألعاب و الدمى و الكرات الملونة .

بعد عدة أيام

مروان يعتذر قائلاً : إنها في شهرها التاسع لذلك يجب أن أكون بجانبها وقد وعدتها بذلك .

الرجل العجوز : أنا لا أرفض لك طلباً يا بني ولكنك تطلب إجازةً طويلة وأنت تعلم أنني لم أعد قادراً على حمل مسؤولية المحلات .
تدخل صديق مروان قائلاً : لا تقلق يا عم نحن هنا ولن نقصر في شيء ، إعتد علينا .

مروان يضيف قائلاً : ثم إن اختباراتي في الجامعة ستكون بعد أسبوعين و عليّ التحضير لها .

ابتسم الرجل وقال : أعرف أن لديك ضغوطات كثيرة و قد زدتك همماً فوق همك و لكنني أعتبرك مثل ابني لذلك أتدخل ...

يقاطعه مروان قائلاً : الأمر ليس هكذا ، إن فضلك عليّ أكبر من أن أستطيع رده ، ولكن كل ما في الأمر أنني أحتاج لبعض الوقت و هؤلاء الشباب سيتولون كل شيء في غيابي وأنت ستشرف عليهم فقط .

الرجل : لك ما تشاء يا بني ، ولكن قبل أن تذهب أريد أن أعطيك شيئاً .

قدم الرجل لمروان حمولة كبيرة تحتوي على الملابس و الحلوى والمعلبات و أشياء أخرى كهدية بمناسبة الولادة .

مروان يرفضها قائلاً : أشكرك ولكنني لا أستطيع أخذها ...

الرجل يصر عليه قائلاً : ستأخذ كل شيء فهذا ثمن أتعابك و لن أقبل أن ترده لي ، لقد جمعت هذه الأشياء خصيصاً لهذا اليوم لأنني أعرف كم ستحتاجونها ، ولا تقلق فكلها محسوبة من مكافأتك .

مروان : ولكن كيف سأخذ كل هذا بالحمولة كبيرة و

يقاطعه الرجل قائلاً : سأستأجر لك سيارة لأخذها وستوصلك إلى باب بيتك .

شكر مروان الرجل و سلم عليه مودعاً إياه بكل احترامٍ وتقدير ثم
وضع أشياءه على السيارة وأخذته إلى البيت .

وصل وسلم على أهله و زوجته كان سعيداً وهو ينظر لبطن سارة
الكبير و يقول : لقد عاد والدك .

ضحكت سارة قائلةً : أما زلت مصراً على أنها أنثى .

مروان يبتسم قائلاً : أحس في قلبي أنها فتاة و سأسميها لين .

الجميع أحب اسم لين وبينما سارة تفكر في الإسم قال مروان : إن لم
يعجبك تستطيعين تسميتها بنفسك لأنك أنتِ تعبتِ بحملها و ...

سارة تبتسم قائلةً : لين إسم جميل ولطيف لقد أعجبنى كثيراً ،
ولكنني كنت أفكر ماذا سنسميه لو كان صبياً .

دخل رامي وقال : لقد انتهينا من نقل كل الأشياء التي كانت في
السيارة .

مروان : شكراً لك يا أخي ، سنأتي الآن لتفقدنا .

فرح أهل مروان كثيراً بتلك الأشياء التي أحضرها وشكروه عليها .

مريم بفرحة : أشكرك يا بني ، ولكن كيف عرفت أننا سنحتاج لهذه
الأشياء ؟

مروان بابتسامة : لا تشكروني ، فالفضل كله يعود لذلك الرجل ،
إنه لا يفوت فرصةً إلا وكافأني فيها بكرمه .

مريم حمدت الله ودعت للرجل قائلةً : ليزده الله من فضله ، ثم
نظرت لابنها وقالت : كل معروفٍ يجازى بالخير و فاعل الخير لا
يلقى إلا خيراً .

حميد : ضعوا أشياء سارة في غرفتها قبل كل شيء و المواد الغذائية اتركوها في المطبخ لوقت الحاجة .

جهزوا لولادة سارة وفرشوا غرفتها لتكون ملائمةً لها و للطفل و احتاط مروان بعض المال ليكون عوناً في حال حدوث أمرٍ طارئٍ و ظل يطعم سارة التمر و العسل لأنه سمع أنهما يساعدان المرأة على الولادة .

في منتصف الليل

سارة نائمة في مكانها و مروان يقرأ دروسه تحضيراً لاختباراته ، استيقظت سارة و هي تشعر بالألم في بطنها ثم جلست و استندت على الجدار .

وقف مروان بقلقٍ و أخذ وسادةً و وضعها خلف ظهر سارة ثم قال : مابك يا عزيزتي ؟ أتشعرين بالألم .

سارة تحاول التماسك قائلةً : ليس كثيراً ، ألم بسيط في بطني ليس أكثر .

مروان بخوف : سأنادي أمي لترى ما ستفعله .

خرج مروان من غرفته ينادي أمه بأعلى صوتٍ من دون أن ينتبه فاستيقظ على صوته البيت بأكمله و خرجوا من غرفهم يركضون نحوه و يتسائلون فقال لهم : سارة تتألم ، ستلد في أي لحظة .

دخلت مريم لتفقد سارة ثم قالت له : لقد أفزعتني يا بني ، هذا فقط بداية الألم ، ربما تلد في الصباح وربما تتأخر أكثر في الولادة .

مروان بقلق : وهل ستظل تتألم هكذا حتى الصباح ؟ ألا يوجد حلٌ آخر لمساعدتها .

مريم تصرخ في وجه قائلةً : مروان إهدأ أنت تزيد من توترها
وقلقها بتصرفك ، إخرج من الغرفة .

مروان يفرق بأصابعه قائلاً : سأحضر لها طبيبةً لتساعدنا ...

تقاطعها أمه قائلةً : لا داعي للطبيبة أنا هنا وسأهتم بكل شيء .

سارة تخاطبه : إهدأ يا عزيزي ، فأنا لا أشعر بشيءٍ بعد .

ظل الجميع مستيقظين ليكونوا مستعدين لأي مساعدةٍ تطلبها منهم .

جهزت مريم مشرطاً وخيطاً معقمين و وضعت إناءً كبيراً من الماء
على النار ثم وضعت المناشف القطنية و ملابس الطفل لتكون
جاهزةً بجانب سارة .

أشرقت الشمس وما زال ألم سارة خفيفاً ولا يبشر بالولادة ، مر
الوقت وقبل الظهر بقليل بدأ ألمها يشتد بسرعة ، صرخت سارة
صرخة ألم حتى كاد مروان يجن وراء باب الغرفة وبعد عدة
صرخاتٍ عم الهدوء في الغرفة مما زاد من قلق مروان وخوفه ،
فجأةً سمع بكاء الطفل فابتسم من أعماق قلبه .

نادت مريم ابنتها ريم لكي تدخل وتساعدنا ، و جهزت الطفل
وغسلته ثم لفته بالقماش وغيرن لسارة ملابسها وفرشن لها و غطينها
ورتبنا الغرفة ثم فتحناها ليدخلوا ويطمأنوا عليها وعلى الطفل .

دخل مروان والفرحة تملأ وجهه يركض باتجاه سارة فقبلها على
رأسها قائلاً : لقد تألمت كثيراً يا عزيزتي .

سارة بابتسامة : أنا الآن بخير ، ألا تريد أن ترى لين ؟

مروان بفرحة : لدي طفلة ! هاتيها يا أمي أريد أن أراها .

مدتها إليه وهي تقول : إنتبه لكي لا توقعها ، ثم أشارت له قائلةً :
أمسكها هكذا .

مروان يمسكها بحذرٍ و قلبه يرجف فرحاً فقال لها : يالكِ من طفلةٍ صغيرة ، لقد سرقتِ قلبي قبل أن تراكِ عيني ، لدي مفاجأةٌ لكِ يا صغيرتي .

مريم تضحك قائلةً : هذا يكفي أعطني إياها ، ثم التفت لسارة تسألها إن كانت تريد أي شيء .

في تلك اللحظة سحب مروان يد ابنته برفقٍ من بين لفات القماش ثم أمسك أصابعها فأمسكت بإصبعه ، صرخ وهو يقول بفرحة : ما أطف أصابعها الصغيرة هذه أجمل لحظاتٍ في حياتي .

صرخت مريم في وجهه : ما هذه التصرفات الطفولية ، ستبرد عندما تخرج يديها .

مروان يتأسف والفرحة تملأ وجهه : لم أكن أعرف ، ولكنها لطيفةٌ جداً ويديها الصغيرتين تبعثان السعادة في قلبي .

أخذتها مريم من بين يديه و تركتها على الأرض بجانب أمها ، وقف مروان و فتح خزانته يبحث عن شيء ، جاءت ريم بطبق طعامٍ دافئ لسارة فقالت مريم : كلي يا ابنتي لأنك فقدت كثيراً من طاقتك أثناء الولادة .

ساعدت ريم سارة على الجلوس ثم وضعت الطعام أمامها .

جلس مروان بجانب ابنته وهو يخاطبها قائلاً : لقد كان قلبي يحدثني أنك ستأتين لذلك جهزت لك هذه الهدية ، أخرج من العلبة سلسلةً صغيرةً من الذهب معلقٌ عليها اسم (لين) تفاجأن ونظرن لبعضهن بغرابة ثم سألنه من أين أحضرته .

مروان يبتسم قائلاً : كنت أشعر أنها ستكون فتاةً لذلك اشتريت هذا العقد الصغير وخبأته لها ، و لم أكن أنوي إظهاره إن كان الطفل ولداً .

ريم تضحك قائلةً : لقد جن جنونك يا أخي بسبب ابنتك وكأنك أول أب في العالم .

دخل حميد لرؤية حفيدته ثم جاء رامي ، تسابق الجميع لرؤية تلك الطفلة التي ملأت بيتهم وقلوبهم بالفرحة و كانوا سعداءً لأنها أضافت لحياتهم نكهةً جديدة .

عندما علم أهل سارة بولادتها جاءوا لزيارتها فاجتمعت العائلة بفرحة .

أخرجت أسماء من حقيبتها فستاناً صغيراً وهي تقول لسارة :
إنظري ماذا أحضرت لابنتك .

سارة بفرحة : هذا فستاني عندما كنت صغيرة ، مازلت محتفظةً به !

مروان يضحك قائلاً : كان فستانك والآن ستلبسه ابنتك ، هذا رائع .
علي بابتسامة : كأنها كانت ترتديه بالأمس ، من يصدق أنها أصبحت أمّاً .

ريم تسكب لهم القهوة قائلةً : انتهت أيام شبابك يا عمي لقد أصبحت جداً .

علي يضحك قائلاً : أنا لم أعد أظن نفسي شاباً ، لقد ابيض شعري منذ زمن ..

يقاطعه حميد وهو يضحك قائلاً : يا رجل أنا لم أعترف بالشيب رغم أنني أكبر منك ، فلماذا تستعجل لتكبر نفسك .

مريم تخاطب زوجها : لقد كبرت و لكنك لا تزال تظن نفسك شاباً

ريما تدافع عن والدها قائلةً : أبي ليس عجوزاً وكذلك عمي ، بل نحن الذين نكبر سريعاً لنلحق بهم .

كانت نقاشاتهم و مزحاتهم تضيف لوقتهم المتعة والضحك وكان مروان يجلس مع العائلة وقتاً ثم يذهب وقتاً آخر لمراجعة دروسه تحضيراً لاختباراته .

سارة ترضع طفلتها وهي تلاحظ التوتر في تصرفات مروان فقالت : مابك يا عزيزي ، إهدأ قليلاً فهذا القلق لن يفيدك في شيء .

مروان يلم كتبه ثم يبعثرها وهو يقول بقلق : أنا أبحث عن بعض النماذج المشابهة للإختبار لقد كانت هنا ، لا أعرف ماذا سأفعل غداً في قاعة الإمتحان .

سارة تحاول التخفيف من قلقه : توكل على الله ولا تشغل بالك كثيراً ، عليك أن تثق بنفسك و بجهدك فأنا واثقة أنك ستنتجح .

مروان يبتسم في وجهها قائلاً : أشكركِ على ثقتكِ بي ، وسوف أبذل كل جهدي .

فعل مروان كل ما بوسعه و اجتاز عقبة الإختبارات آملاً أن يكون النجاح حليفه ، بعد ذلك ودع أهله وابنته الصغيرة وترك لهم مابقي من مال لديه ثم ذهب عائداً لعمله في التجارة وإدارة المحل ، أما سارة فقد استعادت عافيتها و عادت لمواصلة الخياطة وكانت تصنع الملابس لابنتها بنفسها و تنجز طلبيات زبائنها ، بعد طلوع نتائج امتحانات الجامعة كانت علامات مروان جيدة جداً فاحتفل الجميع بنجاحه واتصلوا به يباركون له ويهنئونه .

مرت الأيام و هم على نفس الحال يغيب مروان لأشهرٍ ثم يعود إما لزيارتهم أو من أجل اختبارات الجامعة التي يعرف أخبارها أولاً بأول من صديقه هشام و تظل سارة تشغل نفسها في تصميم الفساتين والملابس المختلفة ، وكانوا يتساعدون جميعاً في توفير مصاريف البيت لأن راتب حميد لم يعد يكفيهم بعد تقاعده ، كبرت لين وأصبحت مدللةً ولطيفةً يحبها جميع من في البيت و يهتمون بها ، تزوجت ريم من هشام الذي أحبها و وضعها كالتاج على رأسه فهو لم يكن أفضل حالاً منهم ولكنه كان يبذل كل جهده لتحقيق ماتريده وما تتمناه فعاشت معه بحبٍ و سعادة .

أكمل مروان دراسته في الجامعة مع صديقه هشام وكان النجاح حليفهما فتكالت أتعابهم طوال هذه السنين بحفل تخرجهم و كانوا مسرورين بهذه المناسبة السعيدة ، كان مروان مبتسماً على منصة التكريم يحمل ابنته بين ذراعيه وينظر بسعادةٍ نحو سارة وبطنها الكبير ، النقطوا لهم الصور وألبسوهم عقوداً من الفل ، كانت السعادة لا تفارقهم رغم عناءهم و فقرهم ، رغم سعيهم للحصول على أبسط الأشياء في هذه الحياة .

عاد مروان إلى ذلك الرجل العجوز باعتبارها المرة الأخيرة التي يعود إليه فيها ولكنه لم يجده في المحل وعندما سأل عنه أخبروه أنه مريضٌ في منزله فذهب إليه .

الرجل العجوز بابتسامة : أهلاً بك يا بني ، تفضل بالجلوس .

سلم مروان على الرجل وقبله على رأسه ثم جلس بجانبه وقال :
سامحني يا عم لقد تأخرت عليك ، ولكنني جنئت هذه المرة لأخبرك أنني سأذهب ولن أواصل العمل عندك ، لقد وعدتك أن أقف إلى جانبك حتى يكبر ابنك وهاهو ذا قد أصبح شاباً .

الرجل بحزن : سامحني يا بني لقد كنت أنانياً و تركتك تعمل من دون أن أهتم لما تريده أنت ..

يقاطعه مروان : لقد عملت عندك وأنا راضٍ عن عملي ولست نادماً على أي شيء .

أكمل الرجل بحزن : لقد اعتدت عليك عاماً بعد عام و أنت بجانبني ولا أستطيع تحمل غيابك ، سعل ثم أكمل قائلاً : و لكن هل وجدت عملاً حتى تترك العمل عندي ؟

مروان يهز رأسه بالنفي قائلاً : ليس بعد ولكنني سأبحث عن عملٍ يكون قريباً من أهلي فقد تعبت من الغياب عنهم وأنا اشتاق لابنتي الصغيرة و زوجتي ستلد بعد أيام .

الرجل يقترح عليه حلاً آخر : لمَ لا تحضر زوجتك وتأتي للعيش هنا في تلك الشقة بجانب منزلي ، و ستواصل العمل عندي ولن أتخلى عنك إلى أن تجد عملاً آخر .

مروان يتنهد بحيرة : لا أدري ، ولكنني سأفكر في الأمر .

الفصل العاشر والأخير

أميرة بحزنٍ شديدٍ : أريد الذهاب لزيارتها فقد أخبروني أنها مريضةٌ جداً .

عامر يلاعب ابنه بدر اجته الجديدة ويحاول تجاهل حزن أميرة ثم قال بنبرةٍ عاديةٍ : أنا مشغولٌ هذه الفترة ولا نستطيع الذهاب ... تقاطعه أميرة قائلةً : إن كنت مشغولاً فسيوصلني عمر بسيارته ولن نتأخر ...

ينظر إليها عامر بغضبٍ : ألا تفهمين ؟ ليس الوقت مناسباً للزيارات والمناسبات .

نزلت دموع أميرة وهي تقول : هذه ليست حفلةً ل تمنعني من حضورها ، أمي مريضةٌ ويجب علي زيارتها في أسرع وقت .
في تلك اللحظة جاءت كريمة تنادي أميرة ثم قالت : سنذهب غداً لزيارة والدتك .

تدخل عامر قائلاً : منذ متى تخططن لهذه الزيارة ؟

كريمة : الأمر لا يحتاج إلى تخطيط ، أمها مريضةٌ وعلينا زيارتها وستأخذنا إليها غداً .

عامر بنبرة غضب : لدي أعمالٌ كثيرة غداً ، أنا أخطط لبيع المحل التجاري وافتتاح معرض سيارات و أنتم تخططون لهذه الزيارة ... تقاطعه أمه قائلةً : إن كنت مشغولاً سنذهب في سيارة عمر ، فلا تتحجج بعملك ، أنت لا تهتم بالعلاقات فكل ما يهمك هو المال .
عامر بلا مبالاة : أفعلوا ما تشاؤون ولكن إن تأخرتم في العودة فسيكون لكم حديثٌ آخر معي .

في اليوم التالي أخذهن عمر بسيارته و لكنها تعطلت قبل وصولهم بقليل .

عمر يضرب بيده على وجهه : يبدو أنها تعطلت ، ماذا سنفعل الآن ؟

أميرة : لا بأس ، لم يبقى سوى مسافةٍ قليلة سنقطعها سيراً على الأقدام .

كريمة بنبرة قلق : وهل تعرفين الطريق ؟

أميرة بابتسامة : أعرف الطريق القريب من المدرسة و إن سلكناه سيكون ذلك أسهل .

خرجوا من السيارة وأكملوا الطريق مشياً على الأقدام و أصبحوا قريبيين من المدرسة و بينما أميرة تستعيد ذكرياتها في المدرسة وتتحدث عنها معهم كانت هناك شابةٌ تنظر لأميرة محاولةً تذكرها ثم ركضت نحوها وقالت : أميرة !

أميرة بفرحة : بثينة ! ثم ضمتها قائلةً : كيف حالكِ و مالذي فعلينه هنا ؟

بثينة بابتسامة : لقد تزوجت من أخ هيام ولدي طفلين وأنا الآن أعمل معلمةً في هذه المدرسة .

أميرة بابتسامة : من الجيد أنكِ مازلتِ تأتين إلى هنا ، أخبريني كيف حال المعلمة سماح ؟

بثينة بحزن : لقد توفيت قبل عامين بنوبةٍ قلبية .

أميرة بحزن : رحمها الله ، لقد كانت أمأً و ليست مجرد معلمة .
بثينة تنظر لساعتها قائلةً : لقد سعدت بلقائكِ لكنني مستعجلة ، وداعاً .

أميرة بابتسامة : مع السلامة .

واصلوا طريقهم فسمعوا شابةً تتشاجر مع الأولاد قائلةً : ينقصكم بعض الأدب ، كيف ترمون الحجارة أمام دكاني ، سأكسر رؤوسكم إن رأيتم هنا مجدداً .

التفتت ثم نظرت باتجاه أميرة وقالت بفرحة : أميرة ! كيف حالكِ يا صديقتي ؟

أميرة بفرحة : هيام ، مازلت كما أنتِ لا تتركين أحداً إلا وتشاجرتِ معه .

ضحكت هيام ثم قالت : أهذا ابنك ؟

أميرة بابتسامة : نعم ، وأنت هل لديك أطفال ؟

هيام تضحك قائلةً : أنا لم أتزوج بعد ، لقد افتتحت هذا الدكان الصغير لأقضي وقتي فيه .

أميرة بأسف : المهم أن تكوني سعيدةً بوقتك ، من يدري أين قدرك ومتى سيأتي .

هيام تبتسم قائلةً : لقد تقدم لي رجلٌ لديه ولدين وقد توفيت زوجته ، لكنني محتارةٌ في أمري أو افق أم لا .

تدخلت كريمة قائلةً : ليس عيباً أن يكون أرملاً أو لديه أطفال ، المهم أن يكون رجلاً صادقاً و محبوباً و سمعته بين الناس جيدة .

هيام : الناس يمدحونه ويتكلمون عنه بالخير ، لكنني لا أدري إن كان مناسباً لي .

أميرة بابتسامة : إن كان من نصيبك سيكون لك ولو بعد حين ، ثم قالت مغيرةً الموضوع : والآن ماذا ستبقيين لنا ؟

هيام بفرحة : تفضلن ، خذن مايعجبكن .

اشترت أميرة منها بعض الأشياء ثم ودعتها وذهبن و عندما وصلن

قال لهن عمر : أنا سأعود للبحث عن من يصلح السيارة لتكون جاهزةً عند عودتكن .

دخلن وسلمن على الموجودين ، و كانت حالة إيمان سيئةً جداً وأكياس العلاج والحقن بجانبها ، شعرت أميرة بالحزن لرؤية والدتها بهذه الحال فجلست بجانبها وانفجرت بالبكاء .

إيمان تمسك يد ابنتها وهي تقول بصوتٍ مبحوح : لا تبكي يا ابنتي سأتحسن قريباً ولن يحدث لي شيء .

أميرة بحزن : ماذا أفعل لأجلك يا أمي ، وكيف أستطيع مساعدتك .
كريمة بنبرة حزن : سنأخذك لمستشفى المدينة لكي تجري
الفحوصات اللازمة ...

تقاطعها إيمان وهي تشير بإصبعها رافضةً ذلك ثم قالت : لقد
أجريت الفحوصات وهاهو العلاج ، سأستخدمه وسأشفي بإذن الله .
جلسن بجانبها مكتوفات الأيدي ينظرن إليها ولا يدرين ما يفعلن
لأجلها .

كانت بعض الحاضرات من أهلن وبنات خالاتهن يتحدث مع أميرة
ويقلن لها : أنت الوحيدة التي أفلحت بزواجها ، لديك زوج ثري و
عائلة سعيدة وذهب كثير ومجوهرات ، حياتك أفضل منا بكثير ،
حتى ملابس ابنك تبدو باهضة الثمن .

أميرة تبتسم في وجوههن ابتسامةً مصطنعة وهي تحاول إخفاء
قهرها و حزنها بسبب هذه الحياة التي يحسدنها عليها ، ثم قلن لها :
أصبحت متكبرة منذ أن تزوجت فوالدتك مريضة منذ أيام ولكنك
جئت لزيارتها اليوم .

تدخلت ملاك قائلةً : نحن لم نخبرها بمرض أمي فكيف ستعرف
بذلك .

نظرت لساعتها و رأت أن الوقت قد حان للذهاب ثم أشارت لحمايتها
و تجهز للذهاب ، قبلت أمها وضممتها وهي تدعو لها بالشفاء ثم
وقفت لتسلم على الحاضرات .

ملاك باستغراب : هل تريدين الذهاب فعلاً ! أمنا مريضة ويجب أن
نكون بجانبها فهي الآن في أمس الحاجة إلينا .

ضمت أميرة أختها وهمست في أذنها قائلةً : تعرفين عامر ،
سيغضب إن تأخرت ، ثم قالت بصوتٍ مسموع : طمئنيني على
حالتها في كل حين .

ملاك تططب على ظهر أميرة قائلةً : لا بأس يا أختي ، أنا سأعتني
بها وسأطمئنك عليها .

ودعتن أميرة ثم خرجت وقلبها يتقطع على حال أمها ، لكنهن
مازلن يتحدثن عنها وعن غرورها الزائد وتكبرها حتى التعامل مع
والدتها .

أوصلهن عمر إلى المنزل ثم خرج ، كانت أميرة غارقةً في حزنها
على والدتها ولكن عامر لم يكن يهتم بالأمر كثيراً ، وبعد يومين
جاءها اتصالٌ في منتصف الليل فاستيقظت وأخذت هاتفها لترد عليه
و استيقظ عامر على صوت رنين الهاتف وقال لها : من يتصل في
هذا الوقت المتأخر ؟

أرته اسم ملاك فنظر كل واحدٍ منهما للآخر نظرة استغراب ثم ردت
على الهاتف .

ملاك بنبرة حزن : أين أنتِ يا أختي ، عليك المجيء غداً لزيارة
أمي فهي مريضةٌ جداً وتريد أن تراك .

شعرت أميرة بالقلق ثم قالت : هل كل شيءٍ بخير ، أخبريني ،
أعطي الهاتف لأمي أريد سماع صوتها .

ملاك تكتم حزنها قائلةً : لن تستطيع التحدث معكِ الآن ، تعالي غداً
فالأمر ضروريٌّ جداً .

أميرة بخوف : مالذي يحدث يا أختي ؟ ملاك أجيبيني ملاك .

أغلقت ملاك الهاتف فازداد قلق أميرة و دب الخوف في قلبها على أمها فألحت على عامر أن يذهباً في الصباح لزيارتها فوافق على ذلك .

لم تتم أميرة بسبب قلقها و خوفها وعندما بدأ ضوء الصباح يتسلل إلى النافذة قفزت من على السرير متجهةً نحو الخزانة و أخرجت ملابسها لتجهز نفسها للذهاب ، ألبست إبنها و تجهزت وعندما استيقظ عامر وجد كل شيء جاهزاً و تناول إفطاره ثم ذهبوا .

عندما وصلت أميرة خرجت من السيارة أمام البيت ولم يكن هناك سوى أصوات البكاء والنواح أخذت ابنها ودخلت تركض نحو غرفة أمها فوجدت النساء يتزاحمن أمام الغرفة وهن يصرخن ويبكين ، حاولت المرور من بينهن وهي تنادي : أمي ، ملاك ، أين أمي ؟ نظرت إليها إحدى النساء الجالسات على الأرض وانفجرت بالبكاء قائلةً : أمك ماتت يا ابنتي ، أمك ماتت .

وقعت أميرة على الأرض من الصدمة وجاءت ملاك تركض نحوها ثم جلست بجانبها وضمتها وهي تبكي قائلةً : لقد ذهبت أمنا يا أختي ، انقطعت عنا الرحمة والحنان ، لقد ذهبت وهي تناديننا ولكننا لم نستطع فعل شيءٍ لمنعها من الذهاب .

أميرة تنظر لكل شيءٍ حولها بصدمة و لا تستطيع استيعاب ما يحدث نزلت دمعاً من عينها من دون أي بكاء ، فأخذت خالتها الولد من أمامها لكي لا يدهسنه وهن يتزاحمن .

تفاجأ عامر بذلك الخبر وشعر بالحزن قليلاً على أم زوجته ولكنه التزم الصمت و دخل لمواساة أحمد وجلس بين الحاضرين .

أخت إيمان تخاطب أميرة وهي تبكي قائلةً : ادخلي لرؤيتها يا ابنتي لأنهم سيأخذونها بعد قليل .

سحبت ملاك يد أميرة وعبرت بها بين زحمة النساء حتى وصلت إلى فراش أمها ، فتحت ملاك عن وجه أمها لتتمكن أميرة من رؤيتها ، كانت أميرة تنظر إليها ولم تصدق أن تلك الملفوفة في قطعة القماش البيضاء هي أمها ، أثرت فيها الصدمة حتى أصبحت كالدمية لم تستطع البكاء ولم تستطع قول أي شيء .

ملاك بحزن : مابك يا أختي ، على الأقل قبلها ، ودعيها قبل أن تذهب بعيداً ، املاي عينيك من نور وجهها لأنها ستغيب عنا للأبد .
تدخلت أحد النساء وقالت : إنها مصدومة وليس الأمر بيدها ، عليها أن تبكي لتخرج ما تكبته في أعماقها وإلا لن تعود كما كانت .
ملاك تمسك بكتفي أميرة و تهزها قائلةً : لماذا لا تقولين شيئاً ؟
جاء أحمد يناديهن بحزن قائلاً : أفسح الطريق ، سيدخلون لأخذها

تحت النساء جانباً فدخل أهل إيمان بالنعش و وضعوها عليه ثم أخرجوها وهم يهللون ويكبرون والنساء يبكين و يلطمن على وجوههن ، أما أميرة فلم تبدي أي حركةٍ أو حزن فتدخلت امرأة كبيرة وضربتها على وجهها حتى أفاقَت من صدمتها فصرخت وانفجرت بالبكاء : أمي أين أنتي يا أمي ؟ لماذا تركتني وحيدةً هنا ؟

ملاك تضمها و يبدأن بالبكاء ، أميرة تلطم خديها قائلةً : لقد ذهبت من دون أن تودعني ، أردت فقط أن أسمع صوتها للمرة الأخيرة ، أردت أن أكون بجانبها و لو لدقيقةٍ واحدة ، مالذي فعلته لأحرم منها بقية عمري ، أريد أن ألحق بها ، عودي يا أمي

ملاك تضمها وهي تبكي قائلةً : إهدئي يا أختي ، إهدئي لن تغيري القدر ، لن تعود أمي ..

جلست خالتهن بجانبهن وقالت : إدعين لها بالرحمه أفضل من النواح عليها .

أميرة تتسائل : مالذي حدث معها ، وكيف حصل ذلك ؟

خالتها تجيبها : قمنا بإسعافها قبل يومين و عندما وصلنا إلى المستشفى أجرى لها الطبيب بعض الفحوصات ثم أخبرنا أنها تعاني من مرضٍ خطير وقد انتشر في جسدها وقال إنه لم يعد يستطيع معالجتها ، ثم أعطاها بعض المسكنات لتخفف عنها الألم ...

تقاطعها أميرة قائلةً : لماذا لم تخبروني بكل هذا ؟

خالتها بحزن : أمكِ طلبت أن لا نشغل بالكِ ولكنها لم تكن تعلم عن مرضها فقد أخفينا عنها كلام الطبيب لكي لا تزداد حالتها سوءاً ، ولكننا لم نكن نعلم أنها تعيش آخر لحظات حياتها .

ملاك تبكي قائلةً : بالأمس كانت تهلوس وتنادينا ولكنها لم تعد تعرف أياً منا و قبل منتصف الليل عادت إليها ذاكرتها فسألتنا أين أميرة ولكنها بعد ذلك ماتت على الفور .

انفجرت أميرة بالبكاء فقالت لها ملاك : كنت سأتصل بكِ لكي تأتي وهي مازالت حية و لكنها سبقتنا وذهبت ، سامحيني يا أختي .

أميرة تبكي قائلةً : أنا التي لن أسامح نفسي ، لقد غبت عنها كثيراً وتركتها وهي في أمس الحاجة لوجودي .

كان الحزن يملأ البيت و أهله لا يكفون عن البكاء و ذرف الدموع كان هذا أصعب يومٍ بالنسبة لهم ، بدأت الشمس تنسحب و تفسح الطريق لظلمة الليل ، تجلس الأختين بحزنٍ مع ابنة خالتهن يواسين بعضهن .

عامر يهمس لأميرة : هيا لنذهب فلم يعد هناك داعٍ للبقاء هنا .

نظرت إليه أميرة نظرة غضبٍ وقهر ثم فجرت غضبها في وجهه
قائلةً : أنا لن أذهب من هنا و لن أترك هذا البيت مجدداً ، لقد
خسرت كل شيء ، ماتت أمي وأنا بعيدةٌ عنها وكل هذا بسببك .
تفاجأت من كلام أميرة و غضبها و اندهش عامر من تصرفها وقال
لها : تعالي معي أريد أن أتحدث معكِ ..

تقاطعته أميرة وهي توجه إليه سبابتها قائلةً : أنت لا تهتم سوى
بنفسك ، لقد اتخذت قراري ولن أعود معك إلى المنزل .
ينظر إليها عامر بغضب فتتدخل ملاك لحل المشكلة : تعالي إلى هنا
، أشارت لابنة خالتها لتأخذها ثم نظرت باتجاه عامر قائلةً : لقد
فقدت صوابها بسبب صدمة وفاة أمي ، إنها مجرد فترةٍ وستعود إلى
طبيعتها لذلك امنحها بعض الوقت .

عامر بنبرة غضب : كيف تتحدث معي هكذا أمامك ؟
ملاك تبرر له : ستعود إلى رشدنا و عندها ستعتذر منك ولكنها
تحتاج لبعض الوقت ، دعها تبقى هنا حتى تتحسن حالها .
عامر بغضب : حسناً سأذهب ولكنني سأعود لأخذها بعد أيام ، و
أرجوا أن تصلح كل ما أفسدته .

ملاك : لماذا لا تبقى هنا معها ؟

عامر يخرج مفاتيح سيارته من جيبه قائلاً : أنا ذاهب .
دخلت ملاك إلى الغرفة فوجدت أميرة جالسةً على ركبتيها وهي
تبكي وابنة خالتها تواسيها أما ابنة الصغير كان يلعب أمامها ببراءة
، جعلتها تلك اللحظات الحزينة تبوح بكل مشاعرها وأحزانها .
جلست ملاك إلى جانبها وقالت لها : لقد ذهب عامر وكان يبدو
غاضباً منك .

أميرة تنظر إليها قائلةً : ليذهب فأنا لم أعد أريده أن يبقى ، أتمنى أن يتركني هنا وأن لا يعود إليّ ثانيةً .

ابنة خالتها : لا تقولي هذا ، إنه زوجك و كلنا نعرف كم يحبك ..
نقاطعها أميرة بنبرة غضب : زوجي و يحبني ، هذه الكلمات لا تنطبق عليه أبداً ، أنتن لا تعرفن عنه شيئاً تنظرن فقط لمظهره الخارجي و ليس لأعماقه ...

ملاك تمسك يد أميرة قائلةً : إهدئي يا أختي ، لا تجعلي نوبة غضبٍ تدمر علاقتكما وتنتهي زواجك بيديك .

أميرة تبكي قائلةً : أي زواجٍ هذا ، إنه يعاملني كما لو كنت شيئاً من ممتلكاته ، لا يهتم أبداً لما أريد ، يملأ فقط يديّ بالأساور حتى أصبحت كالأصفاد ، أنا أرتمي قيوداً ذهبيةً وأعيش في سجنٍ فخم .

ابنها بكى فضمته وأكملت كلامها : حتى هذا الطفل يحصل على أغلى الملابس و الألعاب وكل شيءٍ عدا الحب والإهتمام ، أنا لا أريد أن يعطيني الثروة والمجوهرات ، أريد فقط أن يقدم لي الإحترام ويعاملني كزوجة ، حتى أنه يتحدث مع النساء ويقابلهن في الأماكن العامة وأنا ساكئةٌ عنه رغم قهري .

تتنهد ملاك قائلةً : لقد انخدعنا به وظننا أن كل ما يقدمه لك هو بسبب الحب والتقدير ...

نقاطعها أميرة قائلةً : تحسدني النساء عليه و لكنهن يجهلن أن حياتهن أفضل من حياتي ، أنا لم أعد أستطيع التحمل أكثر سأطلب منه الطلاق .

انصدمن من كلامها فقالت ملاك : كيف ستطلبين منه الطلاق بعد هذه السنين ؟

تدخلت ابنة خالتها قائلةً : أتريدين الطلاق الآن ؟ بعد أن أصبح لديك طفلٌ سيضيع في غيابك .

نظرت أميرة لطفلها وضمته إلى حضنها وانهارت بالبكاء ، فأكملت ابنة خالتها الحديث : ضعي عقلك في رأسك وفكري بالأمر جيداً ، ستدمرين بيتك بطلاقك منه و الشخص الذي كان سنداً لك في هذه الحياة هي أمك وقد ماتت ، أما الأب يا عزيزتي سيبحث عن امرأةٍ ويتزوجها و أخوك مازال صغيراً ليقف بجانبك ...

توافقها ملاك الرأي : معها حقٌ يا أختي ، لن يبقى لديك أحدٌ حين تكونين منكسرة ، و المجتمع لا يرحم المرأة المطلقة وخاصةً من كانت تعيش في الرفاهية ، وكما يقولون أن المرأة ليس لها سوى بيت زوجها أو قبرها .

سكنت أميرة وهي تفكر في كلامهن فقالت لها ابنة خالتها : كلنا لدينا أطفالٌ ومشاكل أسرية و صعوبات ولكننا نواجهها بالصبر ونتعامل معها بحكمة ، ليس كل مشكلةٍ تحل بالطلاق .

ملاك : إصبري يا أختي إن لم يكن من أجله فمن أجل ابنك الذي ستفسد عليه الحياة من بعدك ، فكري جيداً قبل اتخاذ القرار .

فكرت أميرة في كلامهن و أعادت النظر في قرارها و هي تمسح بيدها على رأس ابنها النائم بين ذراعيها ، أدركت أنهن على حقٍ تماماً وأخذت بنصيحتهن .

بعد انتهاء العزاء اعتذرت أميرة من عامر وتأسفت عن تصرفها معه متحججةً بحزنها على موت والدتها فقبل اعتذارها و عادت معه إلى المنزل .

في بيت مروان

كانت الحيرة تشتت أفكاره و هو يقف بين خيارين ، تحقيق حلمه بأن يكون معلماً أم العمل في مجال التجارة .

سارة تمسك بيده قائلةً : لقد احترت في أمرك ولم أعد أدري ماذا تريد أن تكون .

مروان يتنهد قائلاً : لقد بذلت جهداً و وقتاً لتحقيق حلمي بالتعليم و لكنني لم أجد الوظيفة بعد ، ومن جهةٍ أخرى أشعر أنني بارعٌ أكثر في التجارة والتسويق ، هناك شيءٌ في داخلي يخبرني أن التجارة أفضل .

سارة : بما أنك لم تجد وظيفتك في التعليم عليك العمل في التجارة حتى تجد الوظيفة .

مروان ينظر لطفليه يلعبان ويبتسم قائلاً : إن كنت سأعود للعمل في التجارة سأخذكم معي إلى هناك .

سارة باستغراب : تأخذنا إلى هناك ! مالذي سنفعله نحن هناك ؟

مروان بابتسامة : ستكونون بجانبني فأنا لم أعد أستطيع فراقكم أكثر .

اتخذ مروان قراره في نقل زوجته وأولاده للعيش معه في تلك المنطقة كما أخبره الرجل العجوز ، فرتبوا أشيائهم و عفشهم استعداداً للذهاب ، لم تكن سارة مقتنعةً بقراره لكنها حاولت الوقوف معه كما أن أهلها أكدوا لها وأقنعوها أنها ستكون سعيدةً بذهابها معه ، ودعوا أهلهم و أخذوا أشيائهم وذهبوا .

عندما وصلوا إلى منزل الرجل العجوز فرح بهم كثيراً ورحب بهم كما لو أنهم أبناءه ، رتب مروان و سارة تلك الغرفة جيداً و وضعاً أشياءهما فيها و استعدا لأسلوبٍ جديدٍ في حياتهما .

وضعت سارة ماكينتها في زاويةٍ من الغرفة لكي تعمل عليها و عندما علم الرجل أنها تصمم الأزياء تشاور مع مروان لافتتاح قسمٍ خاص بالخياطة والأزياء ، فرح مروان بتلك الفكرة وعرضها على سارة فوافقت بسرور .

افتتح الرجل معمل خياطةٍ بأثاثٍ جديدٍ و آلات خياطةٍ حديثة وكل ما يحتاجه الخياط من أدوات ثم وظف بعض النساء اللاتي يستطعن الخياطة ويردن تعلمها ثم أوكل سارة إدارة المحل وتركها تشرف على كل شيء .

بعد عدة أعوام ...

سارة بفرحة : لقد تحقق حلمي وأصبحت تصاميمي توزع في شتى المناطق وليس ذلك فحسب ، لقد أصبحت أدير كل شيءٍ وكأني سيدة أعمال .

مروان بفرحة : أنا سعيدٌ جداً لأجلك يا عزيزتي ...

تقاطععه لين : أبي إنظر لقد تفوقت مجدداً وأنا في المرتبة الثانية على مستوى الصف .

مروان يضمها بفرحةٍ قائلاً : أنا فخورٌ بك يا عزيزتي الصغيرة ، ثم نظر لابنه الذي يدرس في الصف الأول وقال : ماذا عن محمد ؟

محمد يضحك قائلاً : أنا أيضاً ذكي ولكنني حصلت على المركز الخامس .

مروان يضمه بفرحةٍ قائلًا : أنا فخورٌ بك أيضاً يا عزيزي ، أنتما
الأفضل بالنسبة لي .

تتدخل سارة قائلةً : ماذا عن أحمد و ليان ؟ ألسنت فخوراً بهما ؟
ضحك مروان و همز لسارة قائلًا : مايزالان صغيرين لأفخر بهما .
انشغل الأطفال باللعب و سارة تنظر إليهم ثم تنهدت قائلةً : لقد مرت
الأعوام بسرعة و ها قد أصبح أطفالنا كباراً وأنت يا عزيزي لم
تكمل مابدأت به ...

يقاطعها مروان : ماذا تقصدين بكلامك و لما تبدين حزينة ؟
سارة بنبرة حزن : أقصد أنك لم تستطع تحقيق حلمك في أن تصبح
معلمًا ، وشهادتك الجامعية مرميةً بين بقية الأشياء ولم تستفد منها
شيئاً .

ابتسم مروان وقال : لم أعد أفكر في أن أكون معلمًا ، في الحقيقة لقد
وجدت حلمي و حققته بالفعل .

سارة باستغراب : وما هو هذا الحلم ؟

مروان بسعادة : أن تكوني بجانبني أنتِ و أولادنا وأن أفعل كل ما
أحب وأنا راضٍ عن نفسي ، لقد اكتشفت أنني مبدعٌ في التجارة و
عرفت أنها هوايتي ، و سعادتي الحقيقية تكمن وراء ابتسامة الناس
في وجهي .

ابتسمت سارة وقالت : لقد كنت أشعر بالأسى عليك و لكنني ارتحت
الآن بسماع هذا الكلام .

عمل كلٌّ من مروان و سارة وجمعا المال و قاما بشراء أرضيةٍ
والبناء عليها ، توفي الرجل تاركاً كل ما لديه لابنه الذي تعامل

بحكمةٍ مع كل تلك الثروة حتى لا يضيع جهد والده سدىً ، و كان مروان سنداً له في كل شيء .

الشاب : لقد أوصاني أبي أن لا أفرط فيك و أن تظل مكانتك كما هي كأنه مازال موجوداً ، وأنا أعتبرك مثل أخي الأكبر و ستظل أخي .

مروان بثقة : اعتمد عليّ يا أخي ، أنا مدينٌ لوالدك و لن أخلف بوعدني له ما حييت ، سأكون بجانبك دائماً ، وكلما احتجت إلي ستجدني أمامك .

الشاب بابتسامة : أنا أثق بك و أحترمك كثيراً .

انتهى مروان من بناء بيته و طلب من والديه المجيئ للعيش معه في تلك المنطقة ، تزوج أخوه رامي وجلس في بيت والديه بينما هما كانا يتنقلان للعيش أحياناً عنده وأحياناً عند مروان ، وكانوا بين الحين والآخر يذهبون لزيارة أهل سارة ويطمأنون عليهم .

أخذت سارة إجازةً من عملها لحضور زفاف أخيها إياد و أحضرت له الهدايا و اعتذرت لأن مروان لم يستطع حضور الحفل بسبب ضغوطات العمل ، احتفلت معهم وعندما انتهى الزفاف عادت لعملها ولكنهم لم ينقطعوا عنها وعن أخبارها لأنهم ظلوا يتواصلون عبر الهاتف و يطمأنون على بعضهم البعض .

مرت السنوات وكبر الآباء بكبر أبناءهم الذين أصبحوا شباباً و أصبحت لديهم طموحاتهم الخاصة ، أصبح مروان رجلاً ثرياً وتاجراً معروفاً في البلد حيث أسس تجارته الخاصة و كانت سارة الداعمة الأساسية له ولأبناءها الذين يدرسون بكل جدٍ ليتخصصوا في مجالاتٍ مختلفة ، و كانت أخلاقهم و تربيتهم شعاراً يميزهم أينما كانوا و أثبتوا بذلك أن تعب أهلهم في تربيتهم لم يضع .

في بيت عامر

سامي يركض مستعجلاً ليخرج من المنزل و أميرة تناديه بقلق : إلى أين يا بني ، ألا تسمعني ؟

سامي يرد على عجلة من أمره : سأذهب مع أصدقائي إلى النادي .
أميرة تتنهد قائلةً في نفسها : لقد أفسدك دلال والدك كثيراً حتى أصبحت مثله تماماً ، إنه لا يسمح لي بالتدخل في تربيته وهذا يزيدكم تمرداً .

عاد عامر إلى البيت وجلس على طاولة الطعام منتظراً العشاء وعندما جاءت أميرة تحمل أطباق الطعام سألتها : أين سامي ؟
أميرة : لقد خرج من المنزل مسرعاً وركب سيارته ليذهب إلى النادي مع أصدقاءه .

عامر بابتسامة : لقد كبر ابني وأصبح شاباً ناضجاً ، لذلك سأخصص له حصة شهرية من المال ليوفر به ما يريد .

أميرة لم توافقه الرأي فقالت : لا تجعله يحصل على كل ما يريد بهذه السهولة ، علمه أنه سينال ما يحب بالتعب والجهد وليس ...

يقاطعها عامر قائلاً : إنه ابني وأنا أدري بمصلحته ولا أريده أن يقضي عمره في العمل كما فعلت أنا ، لذلك سأدلل أولادي كما أشاء .

جاءت سندس – أصغر أولاد عامر – راكضةً إلى حضن والدها وقالت : أبي أريد جهاز كمبيوتر خاصاً بي لأن سامح لا يعطيني جهازه .

عامر يبتسم قائلاً : غداً سأشتري لك أفضل من جهاز سامح .

سامح يمثل الحزن قائلاً : وأنا يا أبي لقد وعدتني عندما أصبح كبيراً
ستشتري لي سيارةً مثل أخي سامي .

عامر يضم ابنه قائلاً : بقي لديك عامين بعد لتحصل على سيارة .
تعشى الجميع وذهبوا إلى غرفهم ، عاد سامي في وقت متأخر و
ذهب إلى غرفته للنوم .

خصص له أبوه حصةً شهريةً من المال كما وعده فاستحسن سامي
الفكرة فازداد طمعه و ارتفع سقف طلباته ، كان يسرف في إنفاق
المال على رفاقه وسهراته وكلما حاولت أميرة التدخل يمنعها عامر
بحجة أن ابنه واعٍ ويحتاج المال لمصالحه الشخصية .

ذات ليلةٍ كان عامر غاضباً ويصرخ في وجه أميرة قائلاً : أنتم
ستصيبونني بالجنون ، أموالي تسحب بطريقةٍ ما وإن استمرت على
هذه الحال سنفلس و سينتهي بنا الحال في الحضيض .

سامح و سندس يقفان خلف والدتهما وهما يرتجفان من الخوف ، في
تلك اللحظة دخل سامي يدور بمفتاح سيارته بيده منتشياً و السيجارة
في فمه ورائحة الدخان تنبعث منه ، جلس على الكرسي ونظر إليهم
باستغراب .

نظر إليه عامر وقال بغضب : أين كنت ؟

سامي بنبرةٍ عادية : كنت مع أصدقائي في النادي ، ثم قال بسخريةٍ
كأن شيئاً لم يكن : نسيت إخباركم أن صديقي سيتزوج قريباً
وسأتكفل أنا بتوفير بعض الأشياء لزفافه .

الجميع ساكتون أما عامر فكان الغضب يتطاير من عينيه وابنه غير
مبالٍ بشيء و يستمر بالحديث : مابكم ؟ لما أنتم غاضبون هكذا ؟

عامر يتكلم من بين أسنانه قائلاً : ألا تعلم لماذا نحن غاضبون ؟
ستضيعنا بإسرافك وتبذيرك للمال ، أنت غير مسؤول و تنفق
أموالي بالملايين على أصدقاءك الحثالة .

سامي بنبرة غضب : لا تتكلم عن أصدقائي هكذا ، إنهم يحترمونني
ويقدرونني أكثر منكم .

ثم اتجه نحو غرفته غير آبه بهم ، وأكمل عامر صراخه و تأنيبه
لأميرة قائلاً لها : إنظري إليه إنه يدخن السجائر و فوق ذلك لا
يحترمني عندما أتكلم معه ، أنت لا تتكلمين مع أولادك ولا تقدمين
لهم النصح .

أميرة بخوف : دلالك الذي أفسدهم ولست أنا

يقاطعها عامر بغضب : و تجادليني أيضاً ، هيا اذهبوا من أمامي لا
أريد أن أرى وجوهكم .

ذهبوا من أمامه راكضين إلى غرفهم و انشغل كل منهم بما يسليه .

ظلت أميرة تبكي في غرفتها و تلوم نفسها بحزنٍ على ضياع
أولادها وفساد تربيتهم ، أما عامر ظل طوال الليل يفكر كيف
سيعوض ماضع من ثروته و كيف سيتعامل مع أبناءه بحرصٍ بعد
أن أوشكت ثروته على الإنهيار .

ذهبت أميرة إلى غرفة ابنها سامي وجلست أمامه لتتحدث معه .

سامي بنبرة حزن : لا أريد التحدث مع أحد ، أنتم لا تهتمون
لمشاعري ولا تقفون إلى جانبي عندما أكون حزيناً و كئيباً .

أميرة تمسك يده قائلةً : أنت ابننا ونحن نهتم لأمرك كثيراً ، نحن
نهتم بكم جميعاً ولكن ضغوطات العمل لا تسمح لوالدك بالبقاء وقتاً
أطول معكم .

سامي بنبرة غضب : إنه لا يهتم بنا أبداً ، و كل ما يشغله هو المال و فوق ذلك يغضب عندما ننفقه ، ثم نظر في وجه أمه مستعظفاً وقال : ما العيب في أن أعطي أصدقائي بعض المال و أساعدهم ؟ أميرة بحيرة من أمرها : ليس عيباً أن تنفق المال و تساعد به الناس ، ولكن عليك اختيار من يستحق المساعدة و ليس إنفاقه بتبذير على أصدقاء السوء و التدخين و السهرات

يقاطعها سامي قائلاً : حتى أنتِ تظنين أنهم أصدقاء سوء ؟

أميرة تتلبدك قائلةً : لم أقصد ذلك ، ولكن يجب عليك أن تعلم من تصادق لكي لا تجد نفسك يوماً في الطريق الخطأ و تصبح نادماً على ما فعلت .

سامي : أنا أشعر بالنعاس و أريد النوم ، تصبحين على خير يا أمي . خرجت أميرة من غرفة ابنها حزينةً عليه ، فاقدةً أملها بأنه سيصلح فقد أصبح نسخةً عن والده بل أسوأ منه ، ذهبت نحو غرفتها وهي تقول في نفسها : لقد فات الأوان على تربيته ، بعد أن أفسده بدلاله يريد مني أن أصلحه .

في طريقها إلى غرفتها سمعت ابنتها تتحدث عبر الهاتف قائلةً : لقد مللت و لم أعد أتحمل الحياة معهم ، لذلك اتصلت بك فأنت الشخص الوحيد الذي أهرب إليه من مشاكل هذه الأسرة ...

دفعت أميرة الباب و دخلت مسرعةً نحو ابنتها وهي تقول : مع من تتحدثين ؟

سندس أغلقت الهاتف وقالت بارتباك : هذه صديقتي ، كانت تسألني عن دروس اليوم ...

تقاطعها أميرة قائلةً : لقد سمعت حديثك ولم يكن مع فتاة ، أخبريني الحقيقة قبل أن يعلم والدك و يرتكب جريمةً بسببك ، من ذلك الشاب

سندس بخوف : إنه زميلي في المدرسة ولكنه ينوي أن يتقدم لخطبتي .

أميرة بنبرة غضب : من ينوي التقدم لخطبتك سيأتي إلى أهلك وليس بالحديث الفارغ عبر الهاتف ، ثم أمسكت بيد ابنتها وقالت : عندما تقدم لي والدك كنت في مثل سنك ولم نكن نعلم شيئاً عن بعضنا ... تقاطعها سندس وهي تسحب يدها قائلةً : ولكنه ليس مثل والدي ، إنه شابٌ لطيف وحنون و إلا ما كنت لأتواصل معه .

أميرة بغضب : تقاطعيني وتدافعين عنه أمامي ، أنا أحذرك للمرة الأخيرة إقطعي تواصلك معه وكوني أرقى من ذلك ، وإن كان يحبك فعلاً ستجدينه في بابنا طالباً يدك .

سكنت سندس وظلت تفكر في كلام والدتها التي انهالت عليها بالنصائح لكي توعيتها أكثر ثم قالت لها : فكري في كلامي جيداً أنت ابنة عامر وكل الشباب سيطمعون بك لأجل ثروة والدك وليس حباً لك أما الشاب الذي سيحبك فعلاً سيأتي إلينا بكل احترام ، فكري يا ابنتي ولا تجلبي العار لعائلتنا فوالدك لن يرحمك أبداً .

أخذت سندس هاتفها وفصلت بطاريتها وأخرجت الشريحة من داخله ثم قالت : معك حق يا أمي فقد لاحظت أن بعض أسئلته كانت عن مصروفي وعن أشياءي الجديدة و كم يوفر لي أبي ومثل هذه الأشياء ، لكنني اعتقدت أنه يهتم بأتفه تفاصيل حياتي بسبب الحب وليس الطمع ، سأغير رقم هاتفني ولن أعطيه لأحدٍ هذه المرة .

ابتسمت أميرة وقالت : أنا فخورةٌ بكِ يا ابنتي ، أنتِ واعيةٌ و أريد
أن تبقي هكذا .

ضمت كل واحدةٍ منهن الأخرى ثم عادت أميرة إلى غرفتها وجلست
تفكر في حال أولادها وتبكي .

ظل جميع من في المنزل مستيقظاً ، أحدهم يبكي ضعفاً وآخر حزينٌ
على ثروته و شخصٌ يفكر في حياته و مستقبله ...

أشرقت الشمس معلنةً صباح يومٍ جديد فخرج سامي من غرفته
ونزل مسرعاً على الدرج لكي لا ينتبه له أحد ثم خرج من المنزل و
هو يقول في نفسه : أجمل يومٍ هو الذي أخرج فيه من دون أن أرى
وجوههم التي تعكر صفو يومي .

ركب سيارته ثم ذهب مسرعاً ، سمع عامر صوت السيارة فركض
نحو سيارته وركبها ليلحق بابنه ثم اتصل به و لكنه لم يرد عليه .
أسرع عامر حتى لحق به و ناداه قائلاً : توقف لأتحدث معك ،
واجهني إن كنت تستطيع ..

لكن سامي قاد سيارته بأقصى سرعةٍ ليغيب عن نظر والده وفي
الطريق كانت هناك امرأةٌ كبيرة تقطع الشارع مع ولديها ، لم يستطع
سامي إيقاف السيارة حتى دهسهم جميعاً فتطايرت أجزائهم ودمائهم
في كل مكان .

تجمع الناس ليروا الحادث أو ما وصفوه بالجريمة فخرج سامي من
سيارته مذهولاً وخائفاً ، وعندما بدأ الناس ينظرون إليه كالمجرم
صرخ في وجوههم قائلاً : ماذا تريدون مني ، لقد كان حادثاً غير
متعمد ، ثم أخرج المال من جيبه ورمى به على الأرض قائلاً :
سأدفع ديتهم ما تشاؤون من المال .

وصل عامر ليجد تلك الفاجعة أمامه ولم يدرك ما يفعل تجاه الأمر و لكنه وقف بالنهاية في صف ابنه ودفع لأهل المتوفيين ديبتهم و دفع تكاليف العزاء .

كان الناس يتحدثون عنهم قائلين : أولئك الأغنياء حتى أرواح الناس يشترونها بمالهم ، يبدو أن أمه لم تربيه ولم تعلمه الأخلاق ، إنهم يدللون أولادهم كثيراً وهذه نتيجة دلالهم و غرورهم

عاد عامر إلى البيت مكسور الجناح و ابنه سامي وراؤه و عندما أخبرهم بالقصة انفجرت أميرة بالبكاء وقالت : بئس الولد أنت ، أنت ابتلاءً من الله أنت مصيبةٌ و قعت علينا ، و ظلت تلطم خديها قائلةً : مالذي فعلته في حياتي لأعاقب هكذا ؟

عامر بنبرة حزن : أنا الذي أعاقب وليس أنتِ ، أنا من أعطيته كل التصريحات وجعلته يصل إلى هذه الحال ، لقد دللته لكي لا يعاني كما عانيت أنا ، لقد أضعت شبابي بالعمل ولم أرد أن يشقى كما فعلت أنا و لكنه أثبت لي العكس تماماً ، إنه لا يستحق أن أعطيه ما أعطيته .

سامي جالسٌ على الكرسي يستمع إليهم و هو ساكت و عندما نفذ صبره قال لهم : لا تكبروا الأمر هكذا ، إنه مجرد حادثٍ غير متعمد وقد دفعنا لهم المال بالمقابل ...

صرخت أمه في وجهه قائلةً : أنت تتكلم فقط بلغة المال ، ألا تدري حجم المصيبة التي فعلتها ، قتلت ثلاثة أشخاص دفعةً واحدة ، حرمت أسرته منهم وتقول مجرد حادث ، هذه جريمةٌ بشعة ... يتدخل عامر قائلاً : لن ينفع معه الكلام والصراخ ، سأعاقبه بطريقتي وسأخذ منه السيارة وسأسحب حصته من المال . سامي بنبرة غضب : خذوا ما تشاؤون ، و افعلوا ما يحلو لكم .

ثم صعد إلى غرفته وأغلق الباب على نفسه ، ظل عامر يلوم نفسه على دلالة الزائد لأولاده وظلت أميرة تبكي بسببه وبسبب ابنها أما سامح وسندس كانا يتفرجان على كل ما يحدث حولهما بصمتٍ و خوف .

يوماً بعد يوم ظلت مشاكلهم تتزايد ، وكلما نقصت ثروتهم قليلاً ازدادت شجاراتهم و جنونهم و كلما حاول عامر معاقبة ابنه سامي يزداد سامي عناداً و عصياناً و يفتعل المشاكل والخراب لكي يغيظ والديه فيضطر عامر لدفع الملايين تستراً على ولده وحفاظاً على مكانة عائلتهم ، و خلال أشهرٍ قليلة خسر عامر حوالي ثلثي ثروته و عندما عاد أخوه عمر بعد أن سافر للعمل في دولةٍ أجنبية تفاعاً بالحال الذي وصل إليه عامر وقد بدأ رأسه يبيض شيئاً وقهراً بسبب ولده .

كانت أميرة تقف مكتوفة الأيدي في وجه مشاكلهم و جنونهم وذات يومٍ انهارت و أغمي عليها فسارع عامر وأخوه عمر بإسعافها .

الطبيب بقلق : حالتها سيئةٌ جداً ، إنها تعاني من نوبةٍ قلبية و كان من الممكن أن تموت إن لم تصل إلى هنا في الوقت المناسب ، من الجيد أنها مازالت على قيد الحياة فحالتها لا تبشر بالخير أبداً .

عامر بخوف : افعل كل شيءٍ لمساعدتها وأنا سأدفع لك ماتشاء من المال .

الطبيب : كل ما يمكنني فعله الآن هو مراقبة حالتها و إعطائها الأدوية و يجب عليكم أن توفرُوا لها الراحة و لا تزعجوها فكثرة القلق والتوتر سيزيدها سوءاً .

عادت أميرة إلى البيت و كان أولادها يشعرون بالقلق عليها
ويفكرون بصعوبة الحياة بدونها ، أما الوضع في البيت فقد ظل
مستمراً كما كان .

في بيت مروان

أنهى الجميع أشغالهم ثم ركب مروان سيارته و بجانبه سارة وركب
أولادهما خلفهما و هم سعداء بالذهاب للتنزه معاً ، وقضوا أجمل
أوقاتهم في اللعب والمرح و عادوا إلى البيت و الراحة تملأ قلوبهم .
كان مروان متواضعاً رغم مكانته ومقتصداً رغم ثروته يساعد
المساكين والمحتاجين و يعلم أولاده الأخلاق و العطاء ، يعطيهم
أساسيات الحياة و يبعدهم عن الترف والمغريات التي ليس لها داعٍ .
أصبح الفقير غنياً بجهده وتعبه وأخلاقه ، وأصبح الغني فقيراً
بتبذيره وإسرافه وتعاليه على الناس ، تغيرت حياتهم وكان عملة
الحظ انقابت على الوجه الآخر لتعكس كل الموازين ، وهكذا تظل
الحياة تتقلب بين الناس ولا تستقر بهم على حال .

الختام

الحياة دروسٌ ومواعض تعلمنا الكثير

والمال ليس كل شيء ، فقيمة الإنسان الحقيقية تكمن في أخلاقه
ومبادئه وليس بممتلكاته وثروته .

فكم من فقيرٍ له مكانةٌ بين الناس يحترمونه أينما كان لتواضعه ، وكم
من غنيٍ ينظرون له بعين الإحتقار لوضاعته .

كم من فقيرٍ لا يجد قوت يومه لكنه يغط في نومٍ عميقٍ على سجادةٍ
قديمة ، وكم من غنيٍ لا يستطيع النوم على سريره الحريري بسبب
قلقه على ثروته .

كم من فقيرٍ يبتسم بسبب فراشةٍ تقف على زهرة ، وكم من غنيٍ لا
يستطيع الإبتسام حتى لا يمتلكه بساتيناً مثمرة .

الفقير يقطع مسافةً صغيرةً مشياً على قدميه الحافيتين ويراه إنجازاً
عظيماً ، والغني يلف بلداناً بسيارته ولا يزال يشعر بالنقص .

الفقر اكتفاءً بالذات ، والغنى نقصٌ رغم اللذات .

الحياة يا أعزائي وجهين مختلفين ، الحياة أحداثٌ مبهمَةٌ و غريبة ،
ومهما ادعينا أننا أصبحنا نفهمها ، فنحن لازلنا على جهالةٍ
بمجرياتها .

و نظل رغم ذلك نحاول أن نتعلم منها .

نحاول حتى النهاية .

تدور الأحداث حول جانبين متناقضين من الحياة
وهما الغنى والفقير

وكيف تتبدل الحال بينهما

كيف يرفع التواضع من قيمة الإنسان

وكيف يسقط الغرور أشخاصاً رغم مكانتهم.

الحياة تدور ولا تقف على أي حال.